

رُبعُ عقلٍ وانحراف

فاتن حمّود

شغف
shaghaf



ربع عقل وانحراف

ربع عقل وانحراف

رواية

فاتن حمّود





ربع عقل وانحراف

التصنيف : رواية

تأليف: فاتن حمّود
faten_hamoud@hotmail.com

لوحة الغلاف: فاطمة مباركي
Instagram : iii_someone

تصميم الغلاف: فاطمة الحسيني
Behance : FatmeHusseini

الطبعة الأولى : 2023
عدد الصفحات : 312
ISBN 978-9969-513-02-8

بيت الياسمين للنشر
Baytelyassamin

منشورات شغف
shaghaf.books

المؤلفة
Fatenhammoud88



40 - شارع رقم 50 ـ الدهاليز الثلاثة ـ الطابق الأرضي ـ بلدية الحراش الجزائر

Baytelyassamin@gmail.com

Baytelyassamin

Bayt elyassamindar

dar__Baytelyassamindar

الإهداء

إلى كل أنثى سقطت سقوط أعمى في فخ الفراغ العاطفي، وتمردت بالعشق كما لو أنها الأنثى الوحيدة بين نساء الأرض، وعاشت أكثر من عمر، في عمر واحد..

إلى كل رجل تكبّر وعصى أمام الحب أو مات حباً بمن لا تستحق..

إلى جميع الذين يعيشون تحت هذه السماء.. هنا حب، هنا وجع وقليل من الحياة، وكثير من الواقع والجنون والانحراف.

الثالوث المحلّل في مجتمعنا

يشكِّل الدين والسياسة والحرب، الثالوث المحلل في مجتمعنا، في حين يشكِّل الحب والموسيقى والسلام الثالوث المحرَّم؛ هذه هي محلّلات مجتمعنا ومحرماته، إذ ليت الحياة تُزهر سلاماً والموسيقى تسقي القلوب عشقاً والحب لا يبقى مجرد كلام.. فما أجمل أن ننظر إلى الحياة بعين الحب، أن نفهم الدين بشكل أدق وتنقلب الحرب إلى حُب ونبتعد عن السياسية وندنو نحو دروب السعادة بشكل أدق، إلّا أن هناك عقولاً مغلقة، لا تودّ أن تنطلق نحو الحق.. يفتخرون بجهلهم ويسيرون بكل ثقة نحو الشر.. كفاكم جهلاً، فالحياة تبغض التعساء وتفتح أحضانها كي يغرق فيها أولئك السعداء، لعل تلك البقعة السوداء تتحول إلى ساحة بيضاء وتزهر الأرض حياة.. ويصبح الحب والموسيقى والسلام محلّلات الحياة، ويُفهم الدين ويعتدل الميزان بالحق وتزول علامات الحرب (لعلنا نصبح إنسانيين يوماً ما).

أكذوبة الحب هي الشيء اللذيذ الذي يتلذّذ به العاشقون

آمالُنا، أحلامنا وحتى تضحياتنا تضعف وتتلاشى من نفسها أمام خمرة الحب. في زمن الطائفيّة والحرب، يعمّ الانحرافُ الإنساني أمام أطعمة الأغنياء وبكاء الفقراء ولحظةِ الموت المفاجئ الذي بات يتصاعد بشكل مرعب في زَماننا المتخلّف الذي يدّعي الثقافةَ بالقليل من اللغات البعيدة عن لغتنا، فقد بات نصفُ شعبنا في الغربة يحلُم بالماضي، والنصفُ الآخر جسداً بلا روح... تراودها معتقدات لا وجود لها أوجدوها لأنفسهم كي يقتلوا أرواحهم وهم على قيد الحياة.

أجل فلطالما حلمت بالسلام وأن يعود أخوها الذي لم يصدّق عقلها بعد أنه رحل.. تعتبر فيروز صديقتها الوحيدة، صديقةَ طفولتها، وغنوةَ بلدها، وأرجوحةَ مشاعرها الراقية.

لين تعشق القهوة من دون سكّر، لأن القهوة هي الشيء الوحيد اللذيذ بالنسبة إليها رغم مرارتها، ولا تستطيع أن تمضي يومها من دون أن تتناول الشوكولاتة أو أن تستمع إلى القيصر.. تعشق الحياةَ رغم أنها تصارعها منذ ولادتها.. هي أنثى طفوليّة

جدّاً تشبه زهرةَ الجوري، تعيش مع والديها وأخيها بدر.. أقصد صورة بدر التي تسكن لوحةَ الجدار، بدر الذي مات خلال إحدى الحروب التي حدثت في لبنان دون أن يتجاوز السبع سنوات.. هو لم يؤذِ أحداً ولم يقتل ولم يرفع سلاحاً في وجه أحد.. كان يريد اللعب، ذنبه أنه جاء إلى الدنيا في وطن لم يبقَ فيه حياة.. كان سببَ سعادتها وسرّ بسمتها الملائكية.. لكن بعد رحيله عنها انطفأت شمعةُ حياتها، وباتت ملامحها باهتة وحزينة وروحها رماديّة ومنهكة.

تمكث هي وعائلتها في موطن والدها لبنان، وتبلغ من العمر تسعة عشر خريفاً، ولطالما تمنّتها ربيعاً، فقد كانت عمراً من الشتات لا أكثر.. بشرتها قمحية اللون وعيناها رمادية، وشعرها أشقر كأنه الشمس حين الشروق.

لم تكمل دراستها بسبب وضع عائلتها المادي..كانت تحلُم بحياة تليق بها، وما كانت تحبّ أن ترى صديقاتها أفضل منها.. لكنها للأسف ما استطاعت أن تملك إلّا حياةً تملؤها التعاسةُ والبؤس.. فهي تحمل مسؤوليةَ مصاريف المنزل، بسبب عجز والدها بعد إصابة قدمه اليسرى أثناء الحرب، وقد أصابته صدمة عنيفة جراء وفاة ابنه بدر... فقد أصبح رجلاً شديد الانفعال أكثر مما كان عليه.. كانت تعشق التصوير منذ الصغر، وحينما ترى الصور الجميلة تطبعها في مخيّلتها، كي تمنحها بألوانها أملاً جميلاً.. لطالما تمنّت أن تقتني آلةَ تصوير احترافية كي تصوّر بها

كلّ ما تشاء.. لكنها لم تملك المال الكافي كي تحصل عليها.. كانت أنثى ذكية تعرف كيف تدير أمورها الحياتية، وتجعل الأمورَ المهمة دوماً في قائمة أولوياتها حتى لو كانت على حساب نفسها وعلى حساب طموحها وأحلامها.. رسمت عالمها الشخصي داخل مخيّلتها كطفلةٍ ولدت وعلى شفتيها بسمةٌ عفوية.. حلمت أن تكون أميرة، وأن تقتني الكثير من الأزياء الفاتنة، والمجوهرات البسيطة التي تبرز مفاتنها المخبأة في جسدها العذري.

ذات صباحٍ مشرق، استيقظت لين كعادتها على صوت معشوقتها فيروز.. اتجهت إلى المطبخ لتقومَ بتحضير كوبٍ من القهوة... لكنها لم تجد من البنّ ما يكفي لتحضير ذلك الكوب، شعرت حينذاك أن مزاجها قد اعتكر، وهي التي كانت تقول عن قهوتها إنها معشوقتها أيضاً، وتتغزّل بها دوماً.. فقد كتبت لها على جدار المنزل الخلفيّ رسالةً كي لا يراها أحد تقول فيها:

«إلى قهوتي، أنت الشيء الوحيد الذي لا يفارق يومي ولا يملني، يُسكر عقلي ويرافقني مع قراءة الكتاب... أنت السمراء، خيالُ الليل في لونكِ، مرارُ الحياة في طعمك، سكر اللحظة يحلو في وجودك وعشقي لك لا يُشكّ فيهِ... لا تخونيني كما الحياة، لا تتشاجرين معي كرفاقي، ربما أنت الحياة بالنسبة إلي وأنا لا أعلم... شكراً لكلّ فنجانٍ ساخن منك، فقد أخمد ألفَ حنينٍ وحنين في داخلي من دون أن يدري».

«هي مزاجيّةٌ جدّاً، رغم أنها عادة لا تحصل على ما تشاء..

تدهورت حالة والدها النفسية قبلَ الصحية، وما عاد يستطيع السيرَ بتاتاً.. لكن لين كانت أذكى من والدتها ولم تطمر ذاتها في القوقعة نفسها التي قبعت بها والدتها».

وكما قال نزار:

«هناك ثقافةٌ واحدة هي ثقافةُ القوّة..

حين أكون قويّاً يحترم الناس ثقافتي

وحين أكون ضعيفاً، أسقط أنا

وتسقط ثقافتي معي».

تعرّفت إلى سيدة عبر موقع التواصل الاجتماعي «الفيس بوك» من خلال المحل الذي تعمل فيه.. وقد أرسلت بعض الصور إليها، عندئذ طلبت منها أن تراها.. واندهشت من جمالها ورشاقتها وقوام جسدها الفتّان.. فقررت أن تطلبها كي تأتي وتعمل لديها عارضة أزياءٍ لمجموعتها الخاصة.

لين مقتنعة أن الحياةَ واحدة، ولا يحقُّ لأحدٍ سواها أن يعيش حياتها.. فحينما سقطت سُلطة والدها وتدهورت حالته الصحية، وبات بحاجة إلى المال كي يسدَّ مصاريفَهم الحياتيّة بعد أن باع منزلهم الذي اشتراه بثمن مكتبته بالعراق..، وسكن مرغماً عنه بالإيجار.. قررت لين أن تستغلّ ضعفَ والدها، وتردّ ضعفَ ما سرقه الزمن من فرحتها، وتحديداً بعد وفاة أخيها بدر... ما عادت تأبه لأيّ أمرٍ، فقد كان بدر بمثابة طفلها.. حزنت على رحيله المؤلم.. وعندما استعادت وعيها من صدمتها القاسية، تمرّدت

وقرّرت أن تحرّر سماءها من قفص الظلم الذي سجنها فيه والدها وكبّره عجزُ وخنوع أمها.. للحظة واحدة اعتقدت أنها ستنهار، وستستسلم لرغبة والدها اللامنطقية.. لذلك قررت لين أن تلعب لعبةَ العمر، وأن تخبر والدها أن هناك سيدة أعمال في السعودية، جاءت منذ فترة قصيرة واختارت بعض الفتيات المميزات، كي يحصلن على فرصة للعمل لديها.. وأنها قد طلبتها الآن كي تعمل لديها في بوتيكها الخاص، بائعة للأزياء.. تشجّعت لين بعد عشرة أيام من التردّد ثم أتت إلى أبيها وقالت: أبي..

الوالد: ماذا بك؟ إياك أن تكوني قد ارتكبت مصيبة كي لا أدفنك وأستريح منك.

لين: لا يا أبي، لا تقلق أنا أذهب إلى عملي وأعود من دون أن يفارق صوتك رأسي..

الوالد: جيد، إذاً ما بك!

لين: إنّ وضعنا المادي سيئ جدّاً، وما عاد المال يكفينا كي نلبي متطلّبات الحياة الرئيسة من إيجار المنزل والطعام، إلى تكاليف الماء والكهرباء، والبلدية التي تأخذ منّا مبالغ طائلة كلّ شهر.. أخشى أننا لا نستطيع أن نكتفي بثلاثمئة دولار وهي راتبي الشهري..

الوالد: ماذا تقصدين!! تريدين مني أن أعمل وأنا دون ساق؟ تريدين أن تضعي اللومَ عليّ لأني أرسلك للعمل دون أن أعمل.. الناس لديهم سيقان ولا يجدون عملاً، فكيف لي أن أعمل وأنا

ليس لي سوى ساقٍ واحدة، لعنة الله عليك كم أنك حمقاء، ولا تجيدين ترتيب مصطلحاتك مع والدك، الذي لولاه ما كنت.. ثم شرع أحمد بضرب لين بعصاه، وكأنها أجرمت حينما كانت تناقشه في موضوعها، ظنّاً منه أنها تعيّره بانكساره وضعفه..

وقد سقطت طريحة الفراش مدة يومين، بسبب الكدمات التي أصابتها من ضرب والدها.. ومن بعدها دخل إلى غرفتها قائلاً: هيا انهضي كفى نوماً وتكاسلاً، جاءت صديقتك وقالت إنك تغيّبت عن العمل، وسوف يتمُّ الخصم من راتبك، لا ينقصنا سوى أن يخصموا من أجرتك كي نعيش بنعيم أكبر..

«تبّاً لك».

لين: لكن يا أبي إنني متعبة ولا أستطيع السير على قدمي..

الوالد: اصمتي وانهضي هيا، نومك لن يفيدنا..

- لين: حسناً كما تريد يا أبي

نهضت لين من فراشها وكأنها تحارب الموت، الكدمات متفرقةٌ في جسدها بسبب لطمات والدها.. وهي لا تعلم كيف تشرحُ لزملائها ما حدث معها.. لكنها ذهبت، وعندما سألتها رنا عن سبب هذه الكدمات المريبة، قالت لها إنها تعرّضت لحادث عندما كانت عائدةً إلى المنزل في ذلك اليوم، ولأجل ذلك لم تستطع أن تأتي إلى العمل.. لكن إياس لم يصدقها، كان يحبها بصمت ويحزن لضعفها، لأنه يعلم أغلب ما يدور في منزلها

بسبب صراخ والدها وعصبيته.. فهو جارُها يسكن المنزل المجاور لمنزلها، لكنه لم يخبرها ولم تره من قبل أمام باب المنزل ولو مصادفة.

قال لها: لين، أنا حزين حقّاً لأجلك.. أتمنى ألّا يصيبك مكروه بعد اليوم..

أشكرك إياس. هي تشعر بحبه لكنها لا تودّ أن تقترب أو تفكر في أي أمر له علاقة بالعاطفة، رغم أنها تفتقدها وتحتاج إليها بشدة.. لكنها تخشى من والدها أن تحلّ لعنته عليها لمجرّد الشك، بأن قلبها يعرف ما معنى كلمة حب.. اتصلت الريم بلين عبر الموقع الإلكتروني، وسألتها ماذا حصل معك.. ولمَ لم تردي عليّ كل هذه الفترة؟

قالت لها: أعتذر منك، لكن عليّ أن أخبرك بالعديد من الأمور الخاصة بي، وإن شئت أن تستمري في عرضك لي، فهذا من فضل الله ومن ثم فضلك.. أما إن شئت أن تتراجعي فالأمر لك، وبالتأكيد ستجدين الكثير من الفتيات الأفضل مني..

الريم: ما بك يا لين، ما هذا الحزن الذي يعتريك؟

لين: لقد كذبت عليك..

الريم: بمَ؟

لين: أولاً أنا من عائلة فقيرة جدّاً، فقيرة من السعادة قبل فقرها من المال.. ثانياً أبي رجلٌ متعصب جدّاً، وأمي امرأة مسكينة، وأخي قد توفي في الحرب.. أما أنا، فلست كما تظنين، أني حرّة

وسعيدة وأعيش حياةً سعيدة.. أرتدي حجابي دون رغبة مني، إلى درجة أن والدي قد فرضه عليّ في عمرٍ مبكر ولم يجعلني أختار ما أريد، ولم يفسح لي في المجال لكي أقتنع به.. جعلني أكرهه لمجرد أنه فُرض عليَّ دون رغبة منّي.. أصرف على عائلتي بأكملها، وأحياناً أشتهي لوحاً من الشوكولاتة الرخيصة.. لكن المال لا يكفيني، أخشى أن يعلم والدي أني بذّرت قرشاً على لوح شوكولاتة أشتهيه فيجن جنونه عليّ، فهو يضربني لأقل الأسباب وأتفهها، وكأني جارية تعمل لديه، لا ابنة تربّت بين يديه.. أحلم بحياة أطهرَ من حقد حياتي... أودّ أن أعيش كباقي البشر، دون خوفٍ أو قلق... لكني مكسورة الطموح والأمل.. حتى أني لا أملك شهادة للعمل، فأنا أعمل بائعة للملابس في أحد محال مدينتنا.. لكني غير سعيدة، ولست بخير أبداً.

الريم: حسناً، لا تقلقي.. فأنا قد ساعدت العديد من النّساء المضطهدات في مجتمعنا، ومن جميع الجنسيات وتحديداً المعنّفات منهن.. لذا، سأقوم بمساعدتكِ قدر ما أستطيع... لكن بالنسبة إلى خلع حجابك، فلا علاقة لي بذلك.. أنت المسؤولة أمام ربك.

لين: أنا لم أرتدِه عن رغبةٍ، ولا نيةَ لي به.. إني أصلي وأخاف ربي خوفاً شديداً ولم أعصه يوماً، ولم أخرج عن طاعة والدي بأي أمرٍ... لكني تعبت، أجل تعبت جدّاً.. وأريد أن أعيش كباقي البشر دون أن أغضب الله.. والله أعلم بحالي وبصدق مقالي.. لم

أقتنع بأي أمرٍ حصل لي فيما سبق من حياتي، فقد كانت كلّ أفعالي من تدبير أبي، وكأني دميةٌ اشتراها من سوق العادات والتقاليد... أرغمني على ارتداء الحجاب دون اقتناع مني.. بات يخنقني جدّاً، ليس لأنه حجاب، بل لأن أبي قد وضعه على رأسي ولم يسمح لي أن أناقشه بعدم رغبتي فيه في الوقت الحالي.. حتى في منزلنا لا يسمح لي أن أفكّ رباط شعري، يخشى أن تؤثر هرمونات أنوثتي في أحاسيسي.. ويحرمني حتى من وضع قرطين في أذني.. وحينما ينام في آخر الليل أفكّ رباط شعري، وأحاكي أنوثتي السجينةَ أمام مرآة دورة المياه... لكن روحي كانت تخشى اللحظة التي سيستمع بها أبي لأنفاس سعادتي، فأنا مقيّدةٌ في نومي أيضاً.. أنام في صالة المنزل الصغيرة على البلاط البارد على فرشة رقيقة وأتغطى بلحاف خفيف.. ورغم أني لا أملك غرفةً خاصة إلّا أن أبي يقوم يوميّاً في منتصف الليل بجولة مراقبة عليّ، فهو يخشى عليّ الانحراف في غرفةٍ مؤلّفة من صوفة صغيرة، وتلفاز لا يبثُّ القنوات الفضائية، وقطعتَي ملابس وصندوق صغير ونافذة عالية ترسل لي القليلَ من الشمس كلّ صباح..

أنا فتاةٌ تقبع في حجرتها الصغيرة تفضفض عن كبتها دون أن تصرخ، دون أن تبكي.. تحتسي كوبَ قهوتها، تشتكي إلى قطع الشوكولاتة عن حالها... تفكّر في أفكار قذرة، تشعر من خلالها أنها كارثةٌ مرة المذاق في هذا الكون الفسيح... ترغب أن ترحل إلى كوكب غريب، لا يسكنه بشر، ولا تلوّنه ألوان العذاب والتجريح.

كانت تقول لنفسها، سأتعلّم لأجل عائلتي لغةَ الصمت، فهي أرقى اللغات حين لا يعود للكلام دورٌ في قطار الحياة.. باتت تتحمّل كلّ ما هو مهين بحق نفسها؛ تتحمل المرّ كما لو كانت مخلوقةً من حجر، وتصمت دون شكوى لأجل والدتها التي لا نصيبَ لها من كل الأحداث التي تجري في حياتها، فهي أضعفُ من صمت ابنتها.

كانت تخشى الزواج كثيراً.. وتخاف أن يزوّجها أبوها أول طارق بابٍ يطلب يدها.. فقد كانت تقوّي نفسها دوماً بأفكارها وتقول لصديقاتها.. إنها من النساء اللاتي لا يردن الزواج للزواج فقط، بل تريد الزواج كي تنجبَ منه الحبّ لعالمها... كي تنجب منه الطاقة والأمل... فهي تحتاج إلى كفّ حنون يداعب خصلاتِ شعرها وليس إلى رجل متعجرف يصفعها وقتما يشاء بكفّ يده على وجهها..

فلا تنبهروا بصورة الأزواج يوم الفرح وأمام الخلق، فأنتم لا تعلمون تفاصيلَ حياتهم الخفية عن أعينكم... فجدرانُ المنزل تخبّئ خلفها ألفَ قصة اضطهاد وظلم، محكوم على أصحابها بالصمت تحت التهديد... مجبرون بها أن يكونوا سعداء أمام الأغراب كي لا يثيروا الشكَّ.

لقد مللت هذه الحياة، فكل ما فيها يحتاج إلى إعادة صياغة، هي حياتُنا تُبنى على المظاهر ولا يعلم عما خلف الأبواب سوى الأشخاص الذين يحاربون أنفسهم بأنفسهم... فمتعة الحياة أن

تغامر بها، كي تستطيع أن تأخذَ منها ما تشاء بطريقتك الخاصة وبأسلوبك المنفرد، بعيداً عن التقاليد التي اعتادها البشر.. فأنا مرهقة من كل التفاصيل المملّة في حياتنا، فكلّها مكررة.. حتى ابتساماتنا باتت مصطنعة... وقد كانت تقول لهم أيضاً إن نصف من في الحياة لا يستحقون الحياة.. فقد سألتها صديقتها مرام: هل تستطيعين أن تثقي بمن حولك.. فقالت لها: أستطيع أن أمنح ثقتي للجميع دون أن أثق بهم بشكل تام.. أستطيع أن أسامح، لكن من المحال أن أنسى الجرح... أستطيع أن أتكلّم كل ثانية بشخصية مختلفة وأبصم بالعَشر أني متناقضة... فكل شيءٍ في الحياة يحتاج إلى شخصية غير متوازنة..

..أستطيع أن أحبّ نفسي لأني أرى فيها كل ما لا أراه بغيري، أجل أستطيع ولم لا!!

كان الجميع يحبّون حديثها.. فقد صنعت من المرّ الذي تعيشه في حياتها طاقة من القوة لها ولمن حولها، كان أبوها قاسياً جدّاً عليها، وعلى نفسه.. فقد ولدت كي تموت وهي على قيد الحياة..

الريم: حسناً، هل أخبرتِ والدك بأمر العمل؟

لين: لا، فقد وبّخني وضربني قبل أن يسمع ما أودّ قوله..

الريم: ألهذه الدرجة!!

لين: نعم، بل وأكثر..

الريم: حسناً أخبريه بشكلٍ مباشر برغبتك في العمل لديّ وأنك ما عدت تودين هذه الحياةَ السوداء..

لين: ماذا!.. تقصدين أنه يجب عليّ أن أخبره بالحقيقة وأني سأسافر كي أعمل عارضة لتصاميمك الخاصة؟!

الريم: أجل.. وهل تستطيعين إخباره عكسَ ذلك؟

لين: أتعلمين ماذا سيحلّ بي وقتئذ؟ ستقرئين الفاتحة على روحي..

الريم: يا إلهي، إلى هذا الحد!!

لين: لا بل وأكثر.. سيحرقني وأنا على قيد الحياة ومن ثمّ يرميني رماداً في مياه البحر..

الريم: لا لا، أعتذر منك يا لين، لا أودّ أن أتسبّب لك بمكروه..

لكن عليك أن تجدي حلّاً لحياتك المأسوية..

لين: الحلّ الوحيد بيدي الآن، لكن حتى لو كشفت أوراقي فيما بعد، ففي كلتا الحالتين لم يختلف الوضع، إن كان سيقتلني أو يتركني على قيد الحياة، فالموتُ لن يختلف عن واقع حياتي.. فأنا أعيش الموتَ كل يوم ألف مرة...

لين: سأقول لهم إني سأسافر كي أعمل لديك بائعة في محلّ الأزياء الخاص بك.

الريم: ولكن إن اكتشفوا الحقيقة، فماذا سيكون وضعك!؟

لين: لا تقلقي، فقد قلت لك بأن موتي لن يختلف عما يجري في أيامي..

- حسناً.. لا مانعَ لدي.
- لكن هل ستوفرين لنا منزلاً!!
- بالتأكيد يا لين، لا تقلقي بهذا الشأن.. سأتكفّل بكلّ مصاريف والديك وهذا عهدٌ مني لك..
- وتذاكر السفر؟ فأنا لا أملك مالاً في الوقت الحالي.
- سأقوم بتأمين كلّ هذه المتطلّبات، أنتِ لن تعملي لديّ وحسب، أنا سأعاهدك أمام ربي بأني سأساعدك كما لو كنت أختاً لي..
- أشكرك كل الشكر، لا أعلم إن كان هذا الكلام مجرّد حلم أو أن الله رغب أن يستجيبَ لدعواتي طوال الأعوام السابقة..
- الله كريم يا لين، لا تيأسي من رحمة الله، فإنه مجيبُ الدعاء.
- والنعم بالله..

عادت لين إلى المنزل، بعد أن استجمعت كلّ قوتها.. تناولت كوباً من النسكافيه، كي تسترخي أعصابها قليلاً... وتناولت الشوكولاتة التي جلبها لها إياس، لأنه يعلم كل العلم بعشقها لها، رغم أنها لا تبالي باهتمامه بها، ومن ثم اتّجهت إلى والدها، مقررةً أن تبدأ من الصفر.. لقد كانت تعيش حياةً بلا عقل، ليس لها قرارٌ محدد..

هي تشعر بتناقضاتها، لكنها لا تشعر أنها مختلّة التوازن.. بل ترى في نفسها كيان أنثى مثابرة رغم المخاطر، إلا أنها مجازفة، ذهبت لتحدّث أباها قائلة: أبي، ماذا تريدين؟ لقد جاءتني فرصةُ عمل في الخارج.

قهقه الأب طويلاً ثم قال: إلى أين سيذهب بك جهلكِ، ومن سيطلبكِ ومن أجل ماذا؟ لا تستصغري عقلي..

تمالكت لين أعصابَها وأخذت نفساً عميقاً، ومن ثم قالت له: المبلغُ الذي أحصل عليه في العمل قليل جدّاً، ولا يكفي كلّ احتياجات المنزل..

- ألا تفهمين، تكررين الكلام نفسه.. أترغبين أن أدفنك حيّة؟..

- لا، أنا أخبرك ما حدث معي، أرجو منك سماعي..

لقد جاءت سيدة أعمال من المملكة العربية السعودية، تبحث عن فتيات للعمل..

- وما هذا العمل، لا بد أن يكون محرّماً.. تريد فتيات، وأنت جاهلة.. أيٌّ كان يستطيع الضحك عليك...

أنا لستُ جاهلة، أنا لم أتعلّم لأنك لم تدخلني إلى المدرسة، ليس لأني لم أطلب العلم، وضعُنا يحتاج إلى إعانة، وصاحب البيت قرّر أن يرفع السعر علينا.. هذه الفرصة ممتازة، وستسافران أنت وأمي معي، وسيكون لنا منزلٌ صغير وعمل جيد كبائعة ملابس في مكان مغلق، لا يدخله سوى النساء لدى تلك السيدة

السعودية.. وقد جاءت في وقت سابق وأخذت العديد من الفتيات غيري... والأهم أنه سيكون لدي مبلغٌ ماليٌّ جيد...

- وكم هو المبلغ!!
- بحدود ١٥٠٠$..
- ماذا!! من ٣٠٠$ إلى ١٥٠٠$ ما زال لدي عقلٌ لا تستهيني بي...
- لا يا أبي، لو شئت أن تكلّمها فلك ذلك..
- تتكلمين الصدق؟

أجل..

- حسناً دعيها تهاتفني، أعطيها رقمي أو دعيها تأتي..
- ستهاتفك، لكنها سافرت اليوم بعد أن أعطتني فرصةً للتحدّث معك... لكنك لم تسمعني، وقمت بضربي وتمزيق جلدي... لقد جاءت اليوم وقالت لي إنها ستنتظر ردّي، فإن لم يكن لديكما مانع فسيأتي شخصٌ تابعٌ لها ليقوم بتحضير أوراقنا وتأمين تذاكر سفرنا، وستؤمّن لنا منزلاً صغيراً هناك..
- دعيها تهاتفني ومن ثمّ أفكر..
- لكن يا أبي، ستختار فتاةً غيري إن لم أمنحها الجواب بشكل سريع لا سيما أنها منحتني الوقت سابقاً.. ففي نهاية الأمر أنت وأمي ستذهبان معي.. لن أكون وحدي، ولن نرغم على دفع إيجار المنزل هناك...

- حسناً دعيها تتحدّث معي لأفهم منها التفاصيل.. ولو كان لديكِ رقم هاتفها فأرسلي إليها رسالةً واطلبي منها أن تتصل بي...

- لكن يا أبي، كيف أطلب منها أن تهاتفني هي؟

- افعلي ما أطلبه منك..

أرسلت لين رسالة على الفور من هاتف والدها، كتبت بها الرجاء من حضرتكِ الاتصال بي، أنا لين..

اتصلت الريم فوراً، ورد أحمد عليها..

- مساء الخير

- مساء النور، أنا والد لين...

- تكلّمت معي لين بخصوص عمل لديك في السعودية، أهذا الكلام صحيح؟

- أجل، ابنتكَ خلوقٌ وتعمل بشكل جدّي.. وقد سألت صاحب المحلّ عنها، فأثنى على أخلاقها وتعاملها وهدوئها.. لذا أودّ أن تعمل لدي

- أشكركِ.. وما هو العمل، هل يمكن أن تشرحي لي وتخبريني براتبها الشهري..

- لا تقلق أبداً يا عم، أنا أعمل مصممة أزياء ولديّ مركز خاص بي يقوم بإدارته أشخاص يعملون معي، لكني أحتاج إلى فتيات من جنسيّات مختلفة..

من أجل ذلك أتيت إلى لبنان، كي أبحثَ عن فتاة تستطيع أن تتحمّل مسؤولية البيع والبائعات...

- حسناً، كم راتبُها الشهري، وهل سيكون هناك منزلٌ وتأمين صحيّ؟

- أجل كلّ شيء متوافر، الأمرُ يعود لقرارك، لأن لين رفضت أن تعطيني رأيها قبل رأيك..

- حسناً لا مانعَ لدي، لكن إن كان كلامُك غير صحيح فماذا سأستفيد؟

- سأرسل لك غداً ١٠٠٠$، سلفةً عن الشهر الأول للين، كي تحضروا ما شئتم قبل سفركم.. وسيكون راتبها الشهري ١٥٠٠$.

- حسناً، لا مانع لدي..

- سيأتي شخصٌ في صباح الغد، ليسلّمك المبلغ ويتسلم منك بعض الأوراق وجواز السفر كي يقومَ بتحضير الأوراق المطلوبة... وخلال أسبوع إن شاء الله، ستكون أنت وزوجتك ولين في السعودية وسيكون منزلكم جاهزاً.

- أشكركِ.

- الشكر لله يا عم..

أغلق أحمد الهاتف، وقال للين: «والله وطلع منك ع آخر هالزمن».

قالت لي إنك ستعملين في مكان مغلق، وستقومين ببيع

الملابس والإشراف على البائعات... لكن، من الآن أحذّرك من القيام بأي أمر تعلمين رفضي له..لن ينقذك مني سوى الموت.

ذهبت لين إلى والدتها وهي تبكي وتبتسم.. أمي سنسافر..

سنسافر يا أمي، سنخرج خارج إطار هذه الحياة الكئيبة..

لم تكن تعلم لين أن حياةَ أمها بلا حياة، إن كانت هنا أو هناك..

من الصعب أن يتفهّم جرح مريم أيّ شخص كان لكنها ابتسمت بسمةً صامتة للين وتمنّت لها التوفيق..

نامت لين وهي تتخيّل حياةً عكس حياتها، حياة فيها ربيع... في وسط الشتات الذي يتعمق داخلها.

عند الصباح استيقظ الجميع في المنزل، وجهّزت لين نفسها كي تذهب إلى العمل...

وإذ بها تسمع طرق الباب.. تسمعُ صوت رجل، تنادي والدها كي يفتح الباب، ويرى من الرجل...

أحمد: أهلاً وسهلاً.. من أنت!!

الرجل: أنا من قبل الريم..

أحمد: هل أرسلت معك النقود؟

الرجل: أجل، وطلبت مني أن آخذ منكم بعض الأوراق... تفضّل هذا المبلغ لك، والرجاء إحضار كلّ الأوراق الخاصة وجواز السفر الخاص بكلّ شخص منكم..

أحمد: حسناً لكننا لم نصدر جوازاً للين..

الرجل: لحظة من فضلك؛ اتصل بالسيدة ريم وأخبرها.. فطلبت منه أن يأخذ والدها كي يصدر لها جواز السفر، وأنها متكفّلة بكل هذه المصاريف..

لم يمانع الأب، وطلب من لين بعد أن تيقّن أن الأمر حقيقي.. ولمس المال بيديه، أن تترك العمل وتخبر صاحب المحل، أن الريم تريدها..

فهو يعتقد أن صاحب عملها يعلم عن السيدة ريم، وأنهما تحدّثا سابقاً...

قالت له: حسناً، سأفعل ذلك.. طلب من الشاب المرسل أن يحضر سيارةً لأنه لا يستطيع السير بشكل جيد... قال له إنها في الخارج لا تقلق..

ذهبت لين وإذ بإياس يسمع ما قالته لصاحب العمل، أنها ستسافر.. فكاد يصاب بالجنون.. أسرع وأحضر طعاماً كي يلتقيها على الفطور، ويحاول أن يشرح لها عن شعوره..

قال لها صاحب العمل: حسناً، لكن ما زال لديك يومان كي يستحق راتبك.. أخبرته أنها ستأتي إلى العمل خلالهما، ولا مشكلة لديها.. وعندما خرجت، وجدت إياس أمامها..

قال لها، تفضلي لقد جلبت الفطور..

- لا، لا أريد، شكراً إياس...

- أرجوك فهناك موضوع أودّ التحدّث به معك.

لين: تفضّل...

إياس: تفضّلي أنت بالجلوس أولاً...

حسناً، هل لنا أن نأكلَ أولاً.. كان يودّ أن يكسب الوقت معها وأمامها..

تناولا الفطور، وطلبت منه أن يخبرها بالأمر، كي لا تتأخر عن العمل أكثر...

قال لها بشكل مباشر: لين.. «أنا أحبك».

فوجئت لين ويدا التعجّب على وجهها.. كيف!! لم أفهم..

إياس: أنا أعشقكِ يا جارتي الجميلة...

- جارتُك!!

- أجل أنت جارتي، لكنك لا تعلمين لأنك لا تخرجين إلا إلى العمل.. لكنني أراك دون أن تريني، وأحبك دون أن تشعري..

كانت لين تشعر باهتمامه، وتحب تناول الشوكولا التي كان يجلبها لها بشكلٍ يومي..

لكنها لم تفكر في الحب بتاتاً، وتحديداً لا تؤمن بحياتها، فهي تحقد على كلمة حب التي سلبها والدُها من قلب أمها ظلماً..

قالت له: أنت شخصٌ جيدٌ يا إياس.. لكن عليّ أن أسافر، لا أستطيع أن أحلم بقلب حبيب.. ربما قلبي يريد، لكن واقعي مُريب.. أتمنى لك السعادة مع قلب محبّ أفضل من قلبي الكئيب.

- لكنني أحبك يا لين.

- أنا لا أصلُح للحب، أصلح للعمل والأرق... تمنَّ ليَ السعادة لعلّنا نلتقي يوماً..

لم يملك إياس أي وسيلة كي يربط قلبه بقلب لين، لكنه تمنى أن لا يكون نصيبه إلا معها حتى لو طال العمر، وطالت المسافات... فهو يحبها ويملكُ من الصبر لأجلها الكثير.. مرّ اليومان الأول والثاني وجاء اليوم الثالث... وبدأت أكاذيبُ لين بالانتشار بشكلٍ ملحوظ.. لم تخبر والدَها أنها تحتاج إلى يومين، بل قالت ثلاثة.. وفي اليوم الثالث، ذهبت لين كي ترى شوارع مدينتها، وتجول في شوارعها الجميلة وتسير تحت شمسها المثيرة.. خلعت حجابها، وصرخت بأعلى صوت: أريد أن أتنفّس... وبدأت تدور حول نفسها، وتضحك وتضحك... كلّ العيون تنظر إليها، وترصد خطواتِها وتقرأ هذيانَها في ضحكتها.. لفّت كل شوارعها، سلّمت على جميع المارّة، كما لو أنها تعرفهم سابقاً... بدأ جنون صباها، بدأت مراهقتها الضائعة تظهر.. جابت جميع الأسواق، فلا أحد يعرفها.. كانت كالطير حرّة ولأول مرّة، تشعر بحريتها.. عادت لين وقلبها يرقص فرحاً، وكأنها عاشقةٌ لأول مرة في العمر...

عادت إلى المنزل بوجهها المعتاد، لكن بشباب متجدّد.... قال لها والدها: هل انتهيتِ؟ فأجابته قائلة: أجل يا أبي، سأحضر أغراضنا مع أمي وسأرى أيّ شخص يودّ شراء مفروشات منزلنا...

- حسناً، اذهبي وساعدي أمك.. حسناً سأفعل، أنتظري.. نعم! أين راتبك الشهري؟ لقد دفعت إيجار المنزل اليوم، وهذا ما تبقى منه، عليكِ أن تسدّد فاتورةَ الكهرباء قبل سفرنا.

- أبي إني بحاجةإلى بعض الأغراض..

- لا داعي لذلك، قولي لي ماذا تريدين وسأجلبه لك إن كان يستحق..

لكن يا أبي أنا فتاةٌ وأحتاج إلى أمور خاصة.

- ليس هناك أمور خاصة على الأب..

- أريد أن أشتري ثوباً جديداً، كي أسافر به..

- ارتدي من الملابس التي في الدرج، لا داعي أن تشتري أي جديد..

- لكن يا أبي هذه الملابس اشتريتها منذ أربعة أعوام، وهي أربع قطع..

الوالد بحنق: سأشتري لك لاحقاً، هناك أمور أهم..

سكتت لين وذهبت إلى والدتها..

- أمي هل أعطاك أبي بعض النقود كي تشتري ما ينقصكِ؟

الأم: لا، لم يعطني شيئاً..

- لكنه أخذ من ذاك الرجل ١٠٠٠ $.. ماذا فعل بها؟!

- لا أدري يا ابنتي..

حزينةٌ أنا لأجلك يا أمي، لو شابَ شعرُك بسبب تصرفات أبي، لن أستغرب..

لكن الحمد لله دوماً وأبداً، فقد منحك الرب صبراً يشابه صبر أيوب فعليك ألّا تيأسي، فأنت أساسُ قوتي وثقتي..

الأم: أتعلمين يا لين، قد تمنيت من الرب أن يمنحني فتاةً جميلة مثلك لكني لم أتوقع أنها ستملك عقلاً واعياً كعقلكِ.

- ومنك أستفيد يا أمي.. ما كنت لأكون على ما أنا عليه لولا وجودُك بجانبي..

- حماكِ الربِ يا ابنتي.

لين فتاة تؤمن بالحياة، وتعلم أن عقليّة والدها التي ورثها عن أبيه، لن تموت طالما عاش، لكنها لم تيأس.. فتعصّب الآباء، يفجّر القوةَ لدى بعض الأبناء، وعلى الإنسان أن يكافح كي يحصل على حياة تليق به وبإنسانيته..

فقررت أن تكتب آخر كلماتها في بلدها قبل أن تسافر، حاولت أن تكتب عن أبيها وتفرغ من داخلها ذاك الوجع المكبوت منه.. فكتبت قائلة:

أبي رجل فاشل..

لم أعش حياتي كما تمنيت أن أعيشها، رغم أنني كافحت كثيراً وحاولت كثيراً أن أغير مسارها نحو ما كنت أطمح إليه من خلالها.. إلا أن هناك رجلاً قد أعاق لي مسار قدميّ وكان سبباً في تعثرهما، أحبطني من خلال طاقته السلبية تجاه الحياة، جعلني أرى الكون من خلال الصورة التي رسمتها لي عيناه.. أخمد قوتي بالجبن الذي يرتسم في وجنتيه، يسكن في عالمي منذ ولادتي.. لم يمدني بالقوة يوماً، ولم يدعمني قطعاً ولم يمد يديه لي قط.

أبي، أجل أبي.. فلمَ يظن الجميع أن الآباء أنبياء!؟ أبي رجل

فاشل، مد فشله نحوي، ظناً منه أني سأسقط.. كان يكسرني بعصاه التي تمتد خفية، قص أجنحتي وأفرغ أملي من وعاء الحياة، عشت معه صراعاً عنيفاً.. بيني وبين نفسي، كنت أعاقب نفسي كوني ابنته.. فلم أكن أشعر أنه متقبلٌ فكرة وجودي في الحياة، كان يستمتع حينما أمارس واقع الفتيات المطيعات المنصاعات للأوامر حينما أرتدي ثوباً محتشماً ولا أضع عطراً كي ألفت نظر من حولي وأنثر عليهم هواء معطراً كله إغراء.

كان والدي يطمح أن يرزقني الله زوجاً صالحاً، لا تختلف مبادئه عن المبادئ التي رباني عليها، يود أن يربطني برجل يكمل مسيرته، التي فرضها عليَّ بالإكراه.. بت أحارب اليأس كي لا أنهزم، مع يقيني في كل صباح أن الحياة ستشرق أملاً لغيري، إلا على حياتي التي بسطت حكمها بقوانين أجدادي، كنت أمنح نفسي أملاً أكبر من المتوقع كي لا أنهزم.. إلا أن أحلامي ما كانت سوى أحلام.

كان أبي يشعرني بالنقص أمام من حولي، بت أشعر أنني محكومة بحياة لا حياة لي بها، وقد كان يلفني بعقدة الذنب، لأنني جئت إلى الدنيا وأنا بجسد أنثى لا بجسد رجل يسنده مع مرور الحياة.

بات يحارب خطواتي بجهله ويطالبني بالصمت، يتهمني بقلة الإيمان من دون أن يعلم أن الدين دين الخلق والاحترام، يحكمني بصفته رب البيت من دون أن يدرك عواقبها عند الله، يتهمني دوماً

باتهامات لا تعكس الواقع ظناً منه أنَّ قراراته دوماً هي الصواب عينه.

أبي رجل فاشل، يحاسبني ولا يحاسب نفسه، ظناً منه أن الآباء أنبياء.. يود أن تفك عقد حياته دون أن يتقدم بخطواته إلى الأمام، ثابتٌ دوماً في مكانه، ولا يهمه سوى أن يأتيني ابن الحلال الذي سيستر عليّ أمام البشر ويقطع ألسنتهم التي تردد: ستبقى عزباء، فلا بد أنّ بها علة ما.. فهو يخشى كلام الناس أكثر من خشيته عليّ.

أبي رجل فاشل ويود أن يورثني فشله، يود أن يكرر فشله بي، وأن يهدم طموحي ويسقطني دون أن يمسك يديّ.. يعاتب أمي على سوء تربيتها وعدم توعيتها لي على مبادئه التي أرادها، رغم أن الكل يرون حُسن أخلاقي، إلا أن أبي لا يراني كما يرونني.. يخبرها أن توعية الفتيات أهم من قراءة القرآن بالنسبة إليه.. يقهرني جهله الذي يحيط بي من جميع المسارات، في كل نهار يحسدني الجميع على بسمتي وعلى آفاق طموحي الذي لا ينحني أمام كل انكسار، بيد أنهم لم يروا كل المصاعب التي أحاربها؛ كي أصل إلى القمة.. معظم الآباء الذين يسمعون عني، يفتخرون بي ويتمنون لأبنائهم عقلاً واعياً كالعقل الذي يسكنني، إلا أبي لا يرى بي ما يرونه.. يؤلمني هذا الجحود، ويوقعني في الحضيض، لمَ وجدت الولاية للآباء ولمَ لم يُحدد عمر معين ترفع به الولاية عن الفتيات، ليجدن اختيارهن الصائب في الحياة بعيداً عن التحكم والسيطرة،

لِمَ عليهن أن يبقين رهائن ريثما يأتيهن رجل آخر مرهونٌ بالحظ، فإما يكون على هواها وإما يكون نسخة طبق الأصل عن والدها؟

يظن أبي أن الفتيات لعنة وأن الأولاد أولياء الله الصالحون، فعلت ما يرضيه وحرمت نفسي من جل آمالي عله يرضى عني وعن أفعالي.. إلا أنه كان يصر على إعاقة جميع محاولاتي التي يراها بأم عينه.. لا أذكر متى احتضنني أبي آخر مرة، ولا أذكر أنه كان لي قدوة أقتدي بها من خلال أفعاله، كان يصر دوماً على أن أكرر حياته وأطبعها وفق المقاييس نفسها المطابقة لحياته، حياة تقاليدها ماتت منذ أعوام وتلاشت قبل ولادتي، كان يعاتبني إن رأى الطلاء على أظفاري ويعتبره تبرجاً لا داعيَ له، وقد كان يستهزئ بكل أفعالي ويرفض أن أناقشه بأقل الأمور أو أن أبدي رأيًا أمامه، كان محكوماً عليّ أن أعيش مع رجل اسمه أبي وهو في الواقع يشبه جميع البشر إلا الآباء، سألت نفسي مليون مرة هل كان يعتقد والدي دوماً أن الآباء ينجبون ليكون لديهم الأبناء عبيداً يحكمونهم بسلطتهم!؟ أم أن أبي قد قسا عليه أبوه وقرر أن يكرر قسوة والده وسطوته عليَّ؟

أبي رجل فاشل، حاولت مراراً أن أخبره «أن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية»، إلا أنه عصى واستكبر واحتقر قولي.. فقد كان قانونه في الحياة كقانون حكومي لا يتغير.. أو قانون ديني محرم أن يحرف..

زاد بتخلفه أكثر، وأصبح عدوَّ نفسه.. لم أرَه يوماً يسعى

للحياة أو لديه طموح.. لم أرَه يوماً يبحث عن السعادة، لم أسمعه يوماً يغازل الورد في يد أمي وكأن الورد لا قيمة له في الحياة، لا أعلم مم تتكون تركيبة عقله.. ألم تُوجد الحياة كي نكون سعداء!؟ ألم تتكون الأسرة كي يعيش أفرادها بهناء!؟

أم أن أبي من جهله للأبجدية قد تاهت خطواته، من أن يجد تركيبة لحروف الحياة.. كان يحلل الأمور حسب مزاجه ويرفضها وقتما يشاء، يفعل أشياء لو رآنا ارتكبناها لنعتنا بالخطّائين وأثقل مسامعنا بأسوأ الكلمات، أبي رجل فاشل.. إلا أن قانون الحياة قانون متكرر ينص على أن الآباء أنبياء!

تجهّزت لين وعائلتها للسفر، ودّعت أصدقاءها.. ورأت بعين إياس دمعة انكسار.. اقتربت منه ومن ثم قالت له: أنت تستحق أنثى تعيش ظروفاً أفضل من ظروفي، وأنا أمامي الكثير من الوقت كي أخرج من حالة القمع التي أسكنها.. لو كانت ظروفي بحالة جيدة.. لما تجاهلتك، وحرمت نفسي من الحب، أتمنى لك كل ما أتمناه لنفسي في المستقبل.

الهجرة

في الساعة الخامسة مساءً، تركت لين مدينتها، واتجهت نحو مطار بيروت..

كانت تودّع سماء الوطن، وتشتمّ آخر نسمات الهواء وعطر البحر، كأنها لن تعود إلى بلادها إلا بكفنها. حطّت قدمها على أرض المطار، دون أن تعلم أن الحبّ سيولد في قلبها فيه..

استقبلهم رجل يدعى خالد وقال للسيد أحمد: أنا من قبل السيدة الريم، سأقوم بإتمام الإجراءات المطلوبة والعودة فوراً.. تستطيع أنت وعائلتك الكريمة الجلوس في قاعة الانتظار، ريثما أكون قد وضعت أمتعتكم في مكانها ويسّرت لكم الأمور الباقية..

قال له: حسناً، ستذهب معك لين كي تُؤمّن على الأمتعة الخاصة بنا..فأجابه قائلاً:

- كما تريد، هيا تفضلي عزيزتي..

كان أحمد يشعر بالغيرة على مريم، ولا يودّ أن يتركها وحدها مع لين بين كل هذا الحشد من البشر... ولأنه شعر بالثقة تجاه السيدة الريم أرسل لين مع ذاك الرجل كي يتفقّد أمتعته.

الريم

إنسانة كريمة الأخلاق، من عائلة رفيعة المستوى.. هي لا تحتاج إلى المال كي تعمل، لكنها تحتاج أن تكون عضواً فاعلاً في المجتمع؛ فهي تحب عملها، وتحب كيانها كامرأة عاملة هادفة شغوفه، فهي تصمّم الأزياء برسمها الجميل ولديها مصنع خاص للتفصيل، وكذلك بوتيك يحمل اسمها...

تعتبر المرأة العاملة أساساً صلباً في زماننا هذا.. وقد شعرت بقوة لين رغم ضعفها، وأحبت أن تقوم بمساعدتها، وإبراز إبداعها مع فتاة جميلة مثل لين.. وفي المطار أمسك أحمد بيد مريم، مما جعلها تشعر بكيانها، وأنها ما زالت تلك الفتاة التي أحبها فيما سبق ولو لبضع لحظات لا أكثر..

قام السيد خالد بإدخال الحقائب الخاصة بعائلة أحمد إلى مركز التسليم.. وطلب من لين أن تذهب إلى أهلها، ريثما يقوم بإنهاء التفاصيل المتبقية.. شكرته وذهبت، كانت تلتفت يساراً ويميناً وترى أمامها فتياتٍ فاتنات، ورجالاً وسام الطلة...ظنت أنها في فيلم سينمائي، وأنها ترى تلك الشخصيات التي كانت تتكلم عنها صديقاتها في العمل.. بينما كانت تدعو ألا يكون والدها قد تحرّك من مكانه ورأى كل ما رأته بعينيها الحالمتين... وأثناء

سيرها نحو والديها، رأت حشداً كبيراً من الناس متجمّعين في بقعة واحدة، وبأيديهم أجهزتهم المحمولة متوجهين إلى مكان محدد. ساقَها الفضولُ لتعرف ما الأمر، وإذ بها ترى شاباً وسيماً وأنيقاً جدّاً.. الجميعُ حوله ينادونه جود جود، تصور معي من فضلك.. وهو يتصور مع الجميع دون انزعاج..

.. اقتربت منه وسألته: عفواً لمَ الناس تتجمّع حولك هكذا؟! من أنت، ولم الكل يودّ أن يتصور معك!؟ هل أنت ممثل سينمائي!؟ ضحك جود بصوتٍ مرتفع، ومن ثم قال أنا جود.. سمعت الناس ينادون باسمك، أنا لين.

قال لها ألم تريني في أي مكان فيما سبق؟ ردّت قائلة: لم أركَ في حياتي.. لمَ تسأل، هل رأيتني أنت؟! قال لها وهو يتغنّى بصوته العذب: «اللي ما شاف عيونك قبل بهالعمر بيكون منحوس وأنا حظّي من السما إني شفت هالعيون...

عيونك عيون المها فيهم حكاية أرض وورد وشويّة نبيذ بكاس مجنون». فوجئت لين وفضح الخجلُ وجنتيها أمام جود، قالت له: صوتك جميل، لم لا تصبح مطرباً؟ ضحك الجميع.. فسألته قائلة: ما بهم!! ردّ قائلاً: أنا مطربٌ مشهور يا لين، وابتسم لها ابتسامة قلب لم يشعر بها من قبل، وهي تنظر إلى ساعتها وترى أنها قد تأخرت كثيراً.. شعر أنها طفلةٌ بدأت توّاً باكتشاف الحياة... قال لها: إلى أين ستسافرين؟ فأجابت: إلى السعودية، هكذا شاءت لي الحياة.

جود: يا للمصادفة، وأنا سأسافر إلى هناك أيضاً.. قالت له بتعجب شديد: ستسافر إلى السعودية وأنت تغني!!

ضحك بصوت مرتفع جدّاً، أجل ولمَ لا أسافر؟ هل يمنع عليّ السفر إلى السعودية لأني أغني؟..

- لالا، لا أعلم، أظن ذلك..

لا يا جميلتي، أنا أسكن في السعودية، وأحمل الجنسية السعودية لكنني لبنانيٌّ الأصل وأسافر كثيراً..

لكني لم أرَ مجنونةً مثلكِ من قبل.. لا تذهبي قبل أن تعطيني رقمك...

لين: ليس لديّ هاتف..

جود: أيُعقل!!

لين: أجل ولمَ لا!!

جود: حسناً، عنوانٌ أو أيّ شيء يجعلني أراكِ مرة أخرى..

قالت له: اسمي لين أحمد، وأتمنى أن أراك مرة أخرى...

وبينما كانت تهمّ بالرحيل، كان يطالبها بالانتظار ويطلب منها التقاط صورة معه، قالت: تركت كلّ هذا الحشد من البشر الذين يودّون أن يلتقطوا صوراً معك وتودّ أن تتصور معي أنا؟

أجل أرجوكِ، طلب من مرافقه أن يُبعد الناس، وإذ به يحتضن لين ويبتسم، والمسكينةُ مصدومة لا تعلم ما الذي يحدث..

لا تستطيع أن تمنعه وكأن لا لسانَ لها ينطق...

ارتعش جسدُها وملامح الخجل كسَت وجهها، وحينما تمّ

التقاط الصورة قال لها: لين، اسمي جود لا تنسي.. سوف أحتفظ بهذه الصورة لدي، ولن أقوم بنشرها لا تقلقي.. وأعطاها كرته الخاص، وكتب أسفلَه رقمه الشخصي، وطلب منها أن تهاتفه وقتما تستطيع..

أخذت الكرت الشخصي والصدمة ما زالت ترافقها.. هزّت برأسها، ومضَت.. لم تستطع أن تبعد عينيها عن عينيه ولا هو أيضاً.. وكأن الحبَّ ولد في هذه المصادفة الشفافة.

وصلت إلى أبيها فسألها بغضب: أين كنت إلى هذا الوقت؟

وأين ذاك الرجل خالد، لمَ لم يأتِ معك؟

ردّت بكل هدوء وخوف والاصفرار يعانق ملامحها: كنت أبحث عن دورة المياه..

المكانُ كبير وخجلتُ أن أسأل أحداً، فقد شعرت بألم في معدتي وكان عليّ أن أذهب..

ربما هو خوفٌ من ركوب الطائرة لأول مرة...

احتضنتها مريم، وقالت لها: ما بك يا ابنتي!!

قال لها أحمد: أنزلي يديكِ عنها إن الناس أمامنا..

انظري إليها كالحصان لا تشتكي أيّ مكروه.

جاء خالد وقال لهم: هيّا ادخلوا من هنا، وقدّموا جوازات سفركم واتّجهوا نحو الطائرة فوراً.. لقد أخبرتُ لين بكل الأمور التي ستصادفكم إلى حين وصولكم..

جلست لين على مقعد الطائرة والخوفُ يرتدي روحها، الخوف مما حدث وليس من الطائرة... فقد نسيت أنها ستصعد إلى السماء بعد قليل..

شعرت أن حياتها بدأت تسير نحو التغيير، والمفاجآت سوف تأتيها من حيث لا تحتسب.

رأت جود فالتفتت نحوه بطريقة مثيرة.. لكنها سرعان ما قالت في نفسها:

ما بك يا لين، استيقظي.. إن الأمر الذي حدث قد كان خيالاً ليس إلا..

كان جود معها على الطائرة نفسها دون أن تدري، لكن في الدرجة الأولى..

كان كلُّ شيء جديداً على لين، وكأنها داخل عالم مكلّل بالمفاجآت المدهشة، لكنها لم تزل منتشيةً من لمسة جود لها، ومن نظراته وكلامه وحتى صوته..

شعرت أنها في جنة النعيم وأنفاسُ السعادة تدغدغ روحَها بشكل مثير..

ظلّت ممسكةً بالبطاقة الشخصية التي منحها إياها جود قبل رحيلها، والتي تحمل أرقامه الخاصة وحساباته الإلكترونية، لم تستطع تشغيلَ أيّ فيلم من قائمة الأفلام المتوافرة على متن الطائرة كبقية الموجودين خوفاً من أن يوبّخها والدها لو رآها.

هبطت الطائرة على أرض المملكة العربية السعودية.

شعرت عند نزولها.. أن الطقسَ حارٌّ جدّاً وأن نسيم بلادها قد اختفى..

شعرت أنها قد كبرت ألف عام، وأنها قد بدأت حياتها تواً..

استقبلهم رجلٌ من قبل السيدة ريم، حاملاً لافتة مكتوب عليها: لين أحمد...

طلب منهم أن يذهبوا مع السائق إلى السيارة، وسوف تصل أمتعتُهم بعد قليل..

وأثناء مسيرها لمحَت جود دون أن يراها... لكنها حاولت أن تتجاهل وجودَه كي لا يلاحظها أبوها... وصلوا إلى البيت، كلّ شيء غريب عليهم وكأنهم انتقلوا من العيش على الأرض إلى المريخ..

البيت نظيفٌ جدّاً فيه عطرٌ جميل، ولوحاتٌ فنية لافتة للنظر...

كان عبارةً عن استوديو صغير، صالة صغيرة، دورة مياه، مطبخ صغير، وغرفتي نوم..

دخلت لين إلى غرفتها.. كانت منسّقةً جدّاً، وكأنها مصممةٌ لتغذية أنوثتها...

قال لهم الرجل الذي أوصلهم، إن البيت لا ينقصه شيء والمأكولات والمشروبات والحلويات متوافرةٌ في الثلاجة...

ابتسمت لين لأنها تستخدم هذه المحتويات لتصنع منها طبق حلويات..

كانت مريم تحب أن تصنع الحلوى للين في طفولتها، لكن

وضعهم المادي لم يكن يسمح لهم كثيراً بتبذير الأموال على هذه الأمور..

أعطى الرجل هاتفاً للين، وهاتفاً لأحمد..

- وقال لهما: هذان الهاتفان كي تستطيعا التواصل معاً عند خروج لين إلى العمل..

وخرج السائق، وقبل أن تتكلم لين أو مريم أيّ كلمة قال أحمد: لا تقتربا من هذه الأطعمة، كي لا يطلبوا منا ثمنها..

سكتت لين واستوطنها الحزن..

دقّ هاتف أبيها... إنه رقم غريب، لا يوجد اسم..

رُدّ يا أبي، لا بد أنها السيدة الريم.. رفع الهاتف، من؟

السلام عليكم، وعليكم السلام...

أنا ريم، الحمد لله على سلامتكم.. هل كلّ شيء جيدٌ؟..

- شكراً لك، نعم أشكرك..

- لقد طلبت منهم تكييفَ المنزل قبل حضوركم، وشراء بعض الأطعمة لكم وبعض الأمور الخاصة للمنزل.... وإن نقص أيّ شيء فأنا متكفلةٌ به.. سيمرّ عليكم كلّ صباح رجلٌ يُدعى كريم، ليأخذَ متطلباتكم اليومية، ولن يطلب منكم مالاً، لأن المنزل والطعام ومواصلات لين إلى العمل من تكلفة عملها.. ولديها راتب، سوف أفتح لها رصيداً في البنك كي يدخل حسابها مع آخر كلّ شهر.. وأيّ معالجاتٍ طبية تحتاجونها فهي متوفراةٌ لكم طبعاً لا قدّر الله، فلديكم

بطاقاتُ تأمين خاصة بكل فرد منكم..

أحمد: أشكرك جدّاً، بارك الله فيك يا ابنتي..

الريم: الشكر لله.

سآتي في الصباح كي أتعرف إليكم وأصطحب معي لين كي تحضّر نفسها لبدء العمل ونفصّل بعض الملابس التي ستحتاج إليها أثناء العمل، وإنجاز بعض الأشياء الخاصة بصالون التجميل كأن تقلم أظفارها وتقص شعرها إن احتاج الامر وبعض الأمور الأخرى.

- وهل هذه الأمور ضرورية!؟

- بالطبع فهي ستستقبل شخصيات مهمّة من النساء، ويجب أن يكون مظهرُها جميلاً وأنيقاً.. لذا، سآخذها غداً إلى مركزي الخاص كي تراه، وأرافقها إلى السوق كي أشتري لها بعض الحاجات.. التي ستحتاج إليها، ومن ثمّ سنذهب إلى مركز التجميل كي نقوم بتجهيزها للعمل في اليوم التالي..

وسوف يمرّ بعد ساعة على خروجها للعمل، السيد كريم كي يرافقك أنت ووالدة لين إلى السوق كي تقوما بجلب بعض الأغراض والملابس التي تنقصكما..

وعلى أم لين أن تلبي احتياجاتها أيضاً..

- حسنا أشكركِ.. لكن هل أنتِ متأكدة أنه لا يمكن للرجال الدخول!؟

- لا تخشَ بخصوص هذا الأمر... غيرُ مسموح للرجال دخول البوتيك، فهو نسائيٌّ بحت... بلدنا تحترم المرأة وتحترمُ خصوصيتها، وحينما تودّ الخروج تستطيع أن ترتدي عباءتها وغطاءَ رأسها...

- جيد، أشكرك..

- الشكر لله، والآن هل يمكنني أن أحادث لين؟

- تفضلي..

- الريم: لين، كيف حالك صديقتي الجميلة؟

- الحمد لله.

- هل كل شيء على ما يرام؟

- أجل الحمد لله..

هاتفُكِ تتوافر به خاصيّة النّت المفتوح، وقد جعلتهم يوفّرون لكِ بعض البرامج، وأهمُّها الواتس أب كي أتواصل معك.. ولم أخبر أباك كي لا يعاتبك أو يزعجك...

سوف آتي غداً وأراك، ولا تقلقي، كلّ شيء سيكون كما اتفقنا.

- شكراً جزيلاً لك..

- إلى اللقاء الآن، عليك أن تنامي وترتاحي لأن يوم غدٍ يومٌ شاق.

- حسناً، إلى اللقاء..

شعَر أحمد بالطمأنينة قليلاً، وتحديداً أن البلدَ ملتزم دينيّاً وأن

المردود المادي سيكون جيداً، وأن كلّ الأمور ستكون متوافرة لهم كبقية البشر من دون أن يسأل لين أو أمها رأيهما..

كان الكلّ مرهقاً من السفر، ومتعجباً من الواقع والوضع الجديد..

لم يفكر الأب بأن لين ولأول مرة ستنام في غرفة مستقلة لها بابٌ مغلق وفيها كلّ متطلباتها كفتاة..

قال: تعالي يا مريم كي ننام...

دخلت لين لتستحم، كي تكون مستعدةً لليوم التالي..

الماءُ ساخن، وأنواع الشامبو مختلفة والإضاءة مشرقة.. أرسلت شعرها وبدأت تدور في المنزل دون خوف... بدأت تستنشق الحياة وكأن قوةً من الله قد اجتاحتها..

دخلت المطبخ، وجدت كلّ أنواع الطعام...

وجدت أصنافاً تحبها لم تتوقع أن تراها.. نوتيلا، وأنواع شوكولا مختلفة، وأنواع عصائر طبيعية..

قررت أن تتناول المرتديلا وتشرب القليل من الحليب الطازج وتلقي بنفسها على سريرها المريح وتتنفّس بحرية..

نسيت والدها، وتمنت أن تكون أمها مسرورةً بالوضع الجديد رغم أن مريم لم تنطق بحرف..

لكنها ولأول مرة تشعر بالراحة منذ أن رأت لين الحياة.

بدأت لين تحلم بيوم الغد، وأنها ستذهب لتجهّز نفسها كأنثى..

بدأت تحلم بيوم الغد، كما لو كان أولَ أيام العيد..

حاولت أن تنام كي تستيقظ بكامل نشاطها لكنها خافت أن تنام وتستيقظ لترى أن كلّ ما حصل كان حلماً لا أكثر..

بدأ قلبها يدقّ بشكلٍ غريب، وتنهيداتُها تتصاعد، وفجأة خطر جود على بالها، تنهّدت وقالت في نفسها: ما أجمله من رجل.. كم تمنيت ألا أفارقه..

رباه هل سألقاه مرة أخرى! أو أنه مجردُ مصادفة عابرة مرّت في العمر..

وسرعان ما تذكرت أنه فنان، وأن ريم قد وفرّت لها خدمة النت في هاتفها.

لين تعلّمت برامج النت من صديقاتها في العمل..

فتحت هاتفها ودخلت إلى موقع جوجل، ومن ثم كتبت جود الأمير كما قرأت على بطاقته الشخصية... وبتنهيدة عميقة قالت: إنه هو، أجل هو الذي احتضنني في المطار اليوم.. إني لا أصدّق أنه جود..

ظنت أنها في حلم من أحلام الفقراء.. وأن هذا المنزل الصغير قصرُها الكبير، وأن جود فارسُها وحبيبها الوحيد، وأن السعادةَ قدرها الجديد..

لم تعُد تستوعب ما حدث لها.. وحينما رأت صور جود، تيقنت أنه حلم... فصوره كثيرة، والمعجباتُ حوله كثيرات.. ومنذ لحظتها شعرت أن من المحال أن يكون لها..

حاولت أن تعود إلى واقعها، وحاولت أن تنام، لكنها لم تستطع..

بدأ يشغل بالَها، ظنّاً منها أنها بدأت تُعجب به لأنه فنان مشهور لا أكثر..

لكنها لم تعلم أن قلبها قد عشق جود من اللمسة الأولى التي أرعشت كيانَ أنوثتها في أقل من دقيقة.. فتحت هاتفَها مجدداً، وكتبت اسمه على اليوتيوب علّها تستطيع سماع أغنية له بصوته..

إلا أنها وجدت العديد من الأغاني، وبدأت بالاستماع له، متذكرةً الكلمات التي دندنها أمامها..

كانت الساعة الثالثة فجراً، فما كان منها إلا أن سجّلت رقم هاتفه على جوّالها...

رنت نصف رنة، ومن ثمَّ أغلقت الهاتف فوراً..

مرت ساعة كاملة، ولم يتصل جود ولين تشعر بالريبة والقلق...

وأن الذي قامت به لم يكن في محلّه.. كان لدى جود حفلةٌ خاصة، وبعد الانتهاء تفقّد هاتفه الخاص الذي لا يعلم به سوى عائلته ومدير أعماله ولين...

وجد رقماً سعوديّاً غريباً، وقال من يا ترى!!

حاول أن يتذكر أو يتوقّع بعد يومٍ طويل وشاق، إن كان أعطى رقمه لأحد أو لا.. فإذا بعيني لين البريئتين تخطفَان ذاكرته ويتذكر..

دقّ فوراً لها، وحينما رأت رقمه أصابتها رجفةٌ شديدة..

لم تستطع أن تردّ عليه، دقّ مرة أخرى.. فتحت الخطّ دون أن تتكلم..

قال لها لين، ردّت عليه.. كيف عرفتني، فأنا لم أتكلم ولم أعطِك رقمي..

أعلم لكن أنفاسكِ همست لي بحضوركِ.. «الحمد لله على سلامتكِ».

لين وجود

ارتبكت ومن ثم قالت: عليّ أن أغلق الهاتف الآن وأنام، لا تتصل بي مرة أخرى...

- انتظري، حدّثيني عنك قليلاً..
- لا أستطيع، سيستيقظ أبي على صوتي الآن..
- حسناً، أغلقي وتكلمي معي عبر الواتساب..
- حسناً أغلق الهاتف الآن...

وبعد أقل من دقيقة واحدة وصلتها أولُ رسالة واتساب على هاتفها.. فتحتها لتجد داخلها صورتها مع جود التي التقطاها معاً في مطار بيروت.. ارتعشت وارتجفت وخشيت أن ترى والدَها فوق رأسها.. لكن عيني جود صدمتا قلبها، بدأت بالبكاء ولم تعد تعي كيف تتصرف.. أرسلت له كلمةً واحدة فقط «أكرهك» فردّ عليها خطيّاً: لا محبةَ تأتي إلا بعد عداوة.. اكرهيني قدر ما شئت، مصيرك أن تحبيني.. صمتت وبدأت بالبكاء مجدداً.. قال لها:هل سافرت لأجل عمل والدك كي تبقي بجانبه!! سكتت دون ردّ ومن ثم كتبت: لقد سافرت كي أعمل أنا.. فأبي مُقعد لا يستطيع العمل وقد أتيت كي أعمل لأنني مسؤولةٌ عن مصاريف البيت..

- أنا آسف يا لين لم أقصد...

- لمَ تعتذر، هذا واقعي..

- لكني لم أسألك ماذا يعمل أبوك كي تسمح لنفسك بالتدخل في حياتي..

ردّ بخجل: أعتذر منكِ، أنت محقّة.. أنا والدي ملحّن وكلّ الأغاني التي أغنّيها من ألحانه الخاصة.. لذا، تستطيعين أن تقولي إننا عائلة فنية.. رغم أني أعمل في مجال دراستي بعيداً عن هواياتي الفنية أيضاً.

- ولمَ تتحدث مع فتاة مثلي وأنت شخص معروف ومن عائلة معروفة؟!

- لأني شعرت بالراحة معك إلى أبعد الحدود.

- اسمح لي يا جود، عليّ أن أغلق المحادثة وأنام... فعليّ أن أستيقظ بعد ساعات، كي أبدأ طقوسَ حياتي العملية الجديدة..

- حسناً، أتمنى لك كلّ التوفيق.. لكن هل تسمحين لي بمحادثتك مرة أخرى!!

- لا أعلم، لدي عملٌ غداً وأخاف ألا أعجبهم، فيقرروا إعادتي إلى لبنان..

- وما هو عملك؟

- «عارضة أزياء».

فردّ.. عارضة أزياء! هل تقصدين عرض أزياء لمحجبات كالعبايات وغيرها!؟ وتخافين أن يسمعك والدك.. أمرُك عجيب حقّاً يا فتاة.

- من فضلك.. أنت لا تعلم عني شيئاً كي تسمح لنفسك بالتحدّث عني كما تشاء أو طرح الأسئلة كما تريد..
- حسناً، اشرحي لي من فضلك..
- لا أستطيع أن أتحدّث بشيء الآن، عليّ أن أغلق المحادثة حالاً، وأرجو منك عدم التحدث معي، فهذا الرقم خاص بصاحبة العمل وليس لي..
- حسناً لكن كيف سأراك أو أحادثك مرة أخرى؟..
- لا أعلم لديّ رقمُك، سأحدثك لو استطعت، إلى اللقاء.
- سأخبرك شيئاً أولاً، «أنت جميلة جدّاً».

أغلقت لين هاتفها، دون الردّ بأيّ كلمة..

لم تتوقع أن تسمع من شاب جميل كجود كلمات كهذه رغم أن إياس كان يتغزّل بها دوماً..

إلا أن جود قد أعجبها، وشغل تفكيرها..

نامت وهي سعيدة جدّاً، وجعلت آخر صورة أمامها قبل أن تنام صورتها مع جود.. وهي تقول في نفسها:

«عيناه جميلتان والشيب الأبيض في رأسه وقار مغرور لكن غروره يسقط في حضرة غروري وينهار».

نامت والفرحة ترافقها والبهجة..

جود..

فنّان شاب، يبلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً.. لا يفكر بتاتاً في الزواج، إلّا أن لين قد أعجبته من الوهلة الأولى... ولد في المملكة العربية السعودية، من أب لبنانيّ الأصل، يحمل الجنسية السعودية، وأمّ لبنانية... درس هندسة البترول في أهمّ جامعات المملكة، ومارس الغناء والعزف على الغيتار، إلى أن بات مشهوراً.. لكن عمله كان يقتضي أن يوازي بين الأمرين، كي لا يفقد أحدهما.. رأت به لين أول أحلامها البعيدة عن الحياة المستقرة، بعيداً عن طموحها..

فهي فتاة بسيطة جدّاً من عائلة محافظة على التقاليد القديمة، عائلة لا علاقة لها بزماننا الحالي.. فوالدُها يخشى الحياة، ويعتبرها سمّاً خبيثاً يؤثر في سلامة العقل، مما جعله ممتنعاً عن تقبّل أبسط الأشياء..

نامت لين رغم قلقها ورغم كثرة تفكيرها في جود، بسبب الفراش المريح الذي استلقى جسدُها عليه لأول مرة في العمر.. نامت كما لو كانت أميرة يغطي جسدها الحرير، والهدوء يكسو جوّ حجرتها.. نامت دون قلق، إلا أن مريم كانت قلقةً جدّاً مما

ستواجهه في الأيام المقبلة.. فحينما كانت مريم في العراق، لم تفكر أن حياتها ستنقلب في يوم من الأيام إلى هذا الجحيم..

باتت تؤمن أن الحبّ لا يكفي، وليس كفيلاً كي يبني علاقةً مستقرة طوال الحياة.. الحبّ يكتمل مع اكتمال رفاهية الحياة لدى الإنسان..

لقد ولدت مريم وفي فمها ملعقة مرصعة بالماس، جاءت إلى الحياة كي تجد لها عائلة محبة تنتظرها.. عاشت في كنف هذه العائلة بسعادة وكانت مريم، والدة لين.. امرأةً لديها من الجمال ما يكفي كي تُغري القمر نفسه..

مريم

ولدت مريم في إحدى المناطق العراقية الشهيرة، كانت تسكن مع عائلتها الكبيرة.. أبيها، وأُختيها وأخيها علي.. أما والدتها فقد توفيت في حرب العراق.. كانت أصغرَ شقيقاتها، تحب الحياة وتحب العلم.. وتهوى القراءة كثيراً، وتحديداً للشاعر محمود درويش، وتعشق أغاني الطرب.. لم تكن تعصي والدها في أمر، فقد كانت تحرص دوماً على إرضائه وتشعر بمعاناته.. فهي تراه دوماً، يذكر والدتها ويشاهد صورها بشكل يومي.. تؤلمها دمعتُه الخفية التي تراها من خلف باب غرفته.. كانت إحدى شقيقاتها تعمل مذيعة في إحدى القنوات العراقية من خلال برنامج اجتماعيّ ثقافي.. أما أختُها الثانية فكانت تدرس في الجامعة، وكان تخصّصها هندسة ديكور.. وقد تفوقت في مجال الرسم.. واشتركت في العديد من معارض الرسم الدولية، إلى أن بات اسمها مشهوراً.. كانت مريم تطمح أن تصبح كاتبةً ككاتبها المفضل محمود درويش..

مريم ما زالت طالبة في المرحلة الثانوية.. لم تعتقد أن الزمان سوف ينقلب عليها رأساً على عقب.. أحبت رجلاً لبنانيّ الهوية..

كان يعمل في مكتبة بشارع المتنبي مما جعلها تهوى القراءة أكثر وأكثر.. وتتجه بشكل يومي بعد الانتهاء من مدرستها إلى مكتبته..

وبدأت ملامح العلاقة تشرق بين مريم وأحمد.. لكنها كانت تخشى أن تعلن علاقتها أمام أهلها، وتحديداً أمام أخاها علي.

لكنها تخشى أيضاً من نقاط الفروق الاجتماعية، وخصوصاً أن والدها يتولى أحد المناصب السياسية المرموقة ولديه اسم في الساحة الأدبية، وتعلمَ جيداً أن عليًا سوف يحاربها بكل ما أوتي من قوة إن علمَ بعلاقتها الغرامية، لأن الفروق الطبقية والمادية تحديداً تعني له كثيراً..

ذات يوم، وبعد مرور ثمانية أشهر على علاقة مريم بـأحمد، شعر أخوها علي، أن هناك أمراً غريباً يحدث مع مريم.. فهي تذهب إلى المكتبة بشكل متكرر جدّاً ومثير للشك.. وبعد المراقبة والمتابعة عرف أمر مريم وحبّها لأحمد، دخل عليها وسألها: أين كنتِ اليوم!!

- مريم: في المدرسة أين سأكون..؟

علي: لا تستثيري جنوني.. أين كنت بعد انتهاء المدرسة؟! ظهرت ملامح الارتباك على وجه مريم، مما زاد من وتيرة غضبه، فقالت له وهي مرتبكة: ذهبت إلى شارع المتنبي كي أقتني كتاباً جديداً.

فصرخ في وجهها: وهل أنتِ تقرئين يومياً كتاباً جديداً..

-لا يا أخي، لِمَ تقول هذا..

-لقد رآكِ صديقي عبد الرحمن تتجهين بشكل يومي إلى مكتبة بيروت وتجلسين وتحتسين القهوة مع صاحبها.. ذاك الرجل الغريب، ما علاقتك به؟..

مريم بتردّد: لا شيء يا أخي، نتبادل بعض الأفكار الأدبية..

- اسمعي من الآخر: عبد الرحمن يودّ الزواج بك وأنا ليس لديّ مانع..

لذا ستأتي عائلتُه في أقرب وقت كي يخطبوك.. وإياكِ ثم إياك أن تقولي كلمة لا، وتحديداً لأبي...

هو يعلم أن مريم طفلةُ أبيها المدللة، ومن المستحيل أن يرغمها على أيّ فعلٍ لا ترغب فيه.. ويعلم أيضاً أنها تخشى منه، فهو رجلٌ متعجرف وأنانيّ، ولا يهتم بمشاعر الآخرين.. بل إنه يخشى على اسمِ عائلته من أيّ ذلّة أو تدنيس..

قالت له: لكني لا أرغب الزواج في الوقت الحالي.. أودّ أن أكمل دراستي وأدخل الجامعة وأكون امرأةً ناجحة كأخواتي..

قال لها: أخواتك أكبر مني، لكنك الأصغر وعليك تنفيذ أوامري أفهمتِ!!

صمتت مريم وذهبت إلى غرفتها وبدأت تفكر في ما عليها فعله.. اتصلت بأحمد وأخبرته بما حدث.. فقال لها: لا تقلقي سآتي في الغد وأطلبك من والدك.. خافت مريم وقالت: لا يا أحمد، بهذا الفعل سأثبت لأخي أن هناك حقّاً قصة بيننا..

- لمَ يا مريم، وهل الذي بيني وبينك جُرم أو حرام!!
- لا بل هو حكمٌ عليّ بالإعدام.. أنا من عائلة معروفة جدّاً ومنصبُ أبي مهم جدّاً..

وأخي رجلٌ متعصب وشرقيّ بشكل شرس.. ولن يقبل بك مهما فعلت..

- إذاً ما العمل في رأيك؟
- دعنا نفترق، خيرٌ لنا من أي شرّ يمسّنا.. أخاف عليك ولا أتمنى لك الأذى من عائلتي..
- لن أخضع، حتى إن أجبرني الوضع أن أخطفك من هذا الوطن..
- ماذا!! ماذا تقول.. ويلتاه هل يُعقل ما سمعت؟.. فأنا أحبك، لكن هذا لا يعني أن أخون عائلتي أو أن أخون وطني لأجل قلبي..
- إذاً ما العمل..!؟
- لا أعلم، لكن دعني أفكر في أمر ما.
- لكني أخشى من علي أن يزوجك ذاك الشاب عبد الرحمن..
- من المستحيل أن يقبل به أبي، فهو لا يتقبّلُه كصديق لأخي، فكيف له أن يتقبّلَه كزوج لابنته!
- لا أعلم لكنك تحدثت عن الثقة التي كانت تشتعل داخل روح أخيك، كما لو أنه لم يقل قولاً فحسب، بل إنه تحدّث وكله ثقة أن كلامه سيصبح فعلاً..

- نعم أنا أخشى أن يخبر أبي بسرّ معرفتي بك، حينذاك لا أعلم ماذا سيحلّ بي.

- هل تحبينني حقّاً!!

- أجل وهل لديك أيّ شكّ في قولي!!

- إذاً فلتفكري بشكل جدّي في ما قلت.

الهروب

مريم: لكن كيف سنعيش، الحبّ لا يكفي كي نعيش طوال الحياة سعيدَين.. الحياة تحتاج إلى العقل أيضاً والمال، من أين ستجنيه أم أنك تحكم على بدايتنا بالنهاية...

- سأحاول أن أسعدك قدر ما استطعت.. لكني ما عدت أقوى على بعادك، أتوسّل إليك لا تهملي حقّ حبنا في لذّة الحياة..

مريم: وأهلي، كيف لي أن اتركهم وأرحل!؟ ربما سيموت أبي إن عرف بفعلي المُشين.

أحمد: لا بدَّ لهم أن يسامحونا في يوم من الأيام، لا تقلقي..

مريم: دعني أفكر

ومرّت الأيام دون أن تردّ مريم على رسائل أحمد الهاتفية.. كانت تخشى من عواطفها، وتفكر بغضب والدها.. إلى أن جاء عبد الرحمن مع عائلته لطلب يدها.. وحدث ما لم تتوقّعه.. علي أخبر والده أنها على علاقة بعبد الرحمن وأنها تحبه، ومن مصلحته أن لا يكسر قلبها... فرحّب الأب بالموضوع، ظنّاً منه أن مريم تحب عبد الرحمن وما كان ليكسرَ خاطرها، لكنه اشترط عليهم أن

لا يتمّ الزواج إلا بعد انتهاء مريم من مرحلتها الدراسية، وأن تكمل جامعتها بعد الزواج..

لم تنطق مريم بحرف واحد، لأن علياً قد هددها، إن أخبرت والدها بغير الذي قاله لها.. فسوف يخبره بحقيقة الأمر عن علاقتها بأحمد.

تمّت قراءة الفاتحة، وتمّ تحديد موعد الخطبة بعد أسبوعين، وبدأت الحيرة تأكل عقلَ مريم، ماذا يجب عليها أن تفعل، فقلبها ينبض بأحمد... وعبد الرحمن قد ربط اسمه باسمها أمام الجميع.. وأخوها بات يهدّدها كما لو أنه قاضي محكمة في أيّ لحظة سيرسلها إلى الإعدام.. مريم ما عادت مريم، انقلبَ حالها وأُنهكت صحّتها وتدهور وضعها كثيراً.. إلى أن قررت أن تخبر والدها أنها لا تودّ الارتباط بعبد الرحمن، وأن هناك شخصاً في قلبها..

فأخبرته أنها لم تشعر أنّ عبد الرحمن هو الشخص المناسب لها فرد قائلاً: عليكِ أن تتريّثي يا ابنتي.. ما زلت لا تعلمين خيره من شرّه.. حاولي أن تتعرّفي إليه جيداً، أنا لا أحبّذ شخصيته ولا رغبة لي في ارتباطكِ به، لكن لا بد أن فكرةُ قد تحسن حينما فكر في الزواج كي يستقر.

لكن يا أبي..

- سنتكلّم لاحقاً بهذا الأمر بُنيّتي، عليّ الذهاب الآن، فلديّ عمل لا يقبل التأجيل..

ذهب والدها دون أن يمنحها أيّ ردّ يبرد نارها، كان والدُ مريم رجلاً عصاميّاً.. يطمح دوماً إلى الأفضل وتحديداً بعد وفاة زوجته التي كانت بالنسبة إليه كلّ الحياة.. فقرر من بعدها أن لا يستسلم وأن يشغل نفسه دوماً.. حتى لا يشعر بفراغ نفسه من بعدها.. دون أن ينتبه أنه متغيّبٌ عن أمورٍ مهمّة في منزله العائلي.. حاولت مريم مراراً أن تطلب منه بعض الوقت لكن دون جدوى.. إلى أن شعرت أن ظنّها بأبيها قد خاب، وسيفلح عليّ في ما أراده حتماً.. فقررت أن تخمدَ نارها بيدها، وترحل.. وفي اليوم التالي.. ذهبت إلى مدرستها وعندما حلّ موعد انتهاء الدوام، تأخرت مريم والسائق ما زال ينتظرها.. لكن لم يعد هناك أيّ شخص في المدرسة..

اتصل بوالدها وأخبره بالأمر، وبدأ القلق يجوب داخل المنزل، إلى أن علم أخوها علي... وذهب بشكل فوري إلى شارع المتنبي كي يرى إن كانت مريم هناك فلم يجدها.. وسأل عن صاحب مكتبة بيروت فأخبروه أنه قد سافر..

الوقت قد فات؛ فالأب قد قرأ الرسالة الموجودة بقرب قفص العصافير الخاص بمريم.. هي كانت تعلم أن والدها سيذهب لإطعامها في الموعد... لذلك وضعت رسالتها قربه، عاد علي وهو غاضب وما كان من أبيه إلا أن صفعه صفعةً غاضبة بسبب ما فعله بأخته من أذى.. حزن الأب، وقد وصل به الأمر للذهاب إلى المستشفى بعد أن أُصيب بجلطة قلبية، بسبب ما حلّ به من حزن وأسى..

هم لم يخبروا من حولهم بما حدث، وقد كان من الواجب على عليّ أن يعتذر لعبد الرحمن عن الخطبة، ويقول له إن والدي علم بعدم رغبة مريم فيك.. وقرر أن نفصل هذا الارتباط، ممّا جعله يرسلها إلى الخارج كي تأخذ قسطاً من الراحة، وبعدها ستكمل دراستها في أميركا، ولن تعود في الوقت الحالي.

حاولت عائلة مريم الاتصال بها بوسائل شتّى، لكن لم يكن هناك أيّ وسيلة اتصال تربطهم بها.. فهي قد تركت جهازها المحمول والحاسوب الخاص بها في المنزل.. وذهبت تاركةً خلفها وجعَ أبٍ مسكين على طفلته التي لم يصدّق رحيلها أو يتأقلم معه.. وصلت مريم إلى لبنان وتحديداً إلى العاصمة بيروت، حيث لا يوجد هناك عائلة ترحب بمريم، ولا سيما أن والد أحمد ووالدته قد كانا من سكان العراق وقد توفّيا في الحرب.. سكن أحمد منزلاً مكوّناً من غرفتين ودورة مياه ومطبخ صغير به حديقةٌ صغيرة في الخارج.. كان يحب مريم بشكل جنوني، ويغار عليها من أتفه الأشياء.. الوضع في لبنان لا يشبه الوضع في العراق، أجواءٌ مختلفة وطبيعة منفتحة... مما جعل أحمد يشدّ طوق الحصار على مريم، ويمنعها من الخروج وحدها ومن التحدّث مع جاراتها.. إلى أن أصبحت مريم حاملاً.. ومنذ أن غادرت العراق وهي لا تعلم أي شيء عن عائلتها.. ولم تستطع مهاتفتهم أيضاً.

عمل أحمد بائع خضراوات في سوق المدينة.. وكان يأخذ مريم في المساء إلى المرفأ كي يسهرا معاً ويصطادا القليل من

السمك.. صارت مريم أكبر من عمرها بأعوام.. وجاء موعد ولادتها ورزقها الله طفلةً جميلة كأمها أسمتها لين على اسم والدتها.. فرح الأب بقدوم لين، واعتبرها عروسَ الربيع بالنسبة إليه وإلى مريم.. لكن مريم كانت تخشى عليها وعلى مستقبلها من الضياع.. حاولت أن تقنع أحمد بمزاولة أي عمل، كي تؤمّن كل ما يمكن أن تحتاج إليه طفلتها.. لكنه رفض بشدة.

وبعد ثلاث عشرة سنة من الضياع والتراجع الى الخلف، بما فيها عشق أحمد الذي زال بمرور العمر، أضف إلى ذلك عصبيّته الزائدة.. أدركت مريم أن خطأها كان جريمةً لن تُغتفر.. لم تكمل لين دراستها بسبب فقر والدها.. وقد جعلها ترتدي الحجاب دون اقتناع منها.. وبدأت لين بمزاولة العمل بالقرب من منزلها، بعد أن تحقق والدها أن مكان العمل آمن وليس من شأنه أن يحرفها.. وبات يراقبها بشكل يومي، من تُحادث ومن ترى ومع من تعود.. ويدقّق في كلماتها.. ويغضب إن سمع صوت ضحكتها.. كان يخشى أن ترتكب أيّ معصية، وتكون كأمها نقطةً سوداء في تاريخ عائلتها، كما لو أن لا علاقةَ له بمصير أمها الذي حلّ عليها بسببه، بعد أن كانت أميرة في قصر أبيها وأصبحت جاهلة في مأوى زوجها الأحمق.. مكتبة بيروت قد أصبحت حروفاً محروقة من ذاكرة أحمد، وحبُّه العميق لمريم قد تحوّل إلى بقية ذكريات عابرة فتحوّل إلى رجل جائع.. أجل جائع للفكر، للثقافة للاحترام

والثقة.. وذات يوم شعر بوجع مريم، وفوجئ بحالة غثيانٍ تنتابُها وتعب وإحباط يسكنان جسدها.

قرر أن يأخذها إلى الطبيب بعد أن أحسّ بانهيارها.. وجاءت الصدمة الكبرى، مريم حامل.. غضب أحمد غضباً شديداً، وقال لها لمَ لم تنتبهي.. ألم أقل لك إنني لا أستطيع أن أحمل إثم طفل جديد في عائلتنا، وكأنها حامل في الحرام!!.. يعاقبها على هبة الله لها.. طلب منها إسقاط الطفل.. وهي حاولت فعلاً.. لكن الروح قد نُفخت فيه وكانت كلّ محاولاتها فاشلةً، مما كاد يودي بحياتها.. لكن كان من نصيب بدر أن يأتي إلى الدنيا وكان بالنسبة إلى لين، أجملَ هدايا العمر.. لكنها ما عرفت أن والدها سيصبح وحشاً شريراً.. باتت ملامح وجهه ترسم خطوطَ الغضب مما جعل لين لا تطيق فكرة وجودها في المنزل.. طلبت منه وبكلِّ خوف أن يدخل بدر إلى المدرسة بعد أن أصبح عمره خمسة أعوام، لكنه لم يقبل.. كانت كأمها تهوى العلم.. لكن مصيرها قد رماها في بقعة سوداء.. لا ضوءَ شمس بها.. وقامت الحرب وعمّ الخوف والقلق... انقلبَ حال لبنان، وأصبح فصل الصيف كعاصفة من الدماء على أرواح الأبرياء.. والد لين لم يستطع مغادرةَ المنزل، ولم يستطيعوا أن يذهبوا إلى مكان أكثر أماناً من منطقتهم.. ومرت الأيام وما زال الحال على ما هو عليه.. حرب وفوضى وقلق... مريم تدعو الرب أن يسامحها على ما أجرمته بحقّ نفسها.. ولين تخشى أن تموت قبل أن تبتسم لها الدنيا..

وذات يوم خرج أحمد مع ابنه بدر كي يجلبا القليلَ من الطعام، ولم يعلما حينذاك أنها لحظة الوداع، فبعد خروجهما بنصف ساعة سُمع دويّ انفجار عالي الصوت، ناتجٍ من سقوط قذيفة بالقرب من منزل لين.. وما كان للقذيفة إلا أن اخترقت قلب بدر.. ذاك الطفل الذي لمَ يتجاوز السبع سنوات، اتجه الناس بهما إلى المستشفى اعتقاداً منهم أنهم يستطيعون إنقاذهما.. وإذ بمريم ولين تسمعان هذا الخبر وتسرعان بشكل فوري إلى قسم الطوارئ.. لتُصبّ على مسامعهما أكبرُ صعقات القدر.. بدر.. مات بدر، الذي عاش وهو يحلم بدمية تشفي له ضيم طفولته.. صرختا بصوتٍ عالٍ: بدر مات... شهيدُ الطفولة الذي ما تعلّم حرفاً ولم يأخذ نصيبه من الحياة.. وذهبتا تسألان إن كان أحمد ما زال على قيد الحياة.. لكن لا أحد يجيب.. واستلمتا جثة بدر، ودفنتاها بدموع العين.. وبات البيت كما لو أنه وَكرُ أشباحٍ شاحباً حزيناً ومرت الأيام إلى أن دقّ باب المنزل.. قالت لين من الطارق!!

فأجاب بصوتٍ خافت: أنا والدك.. خافت بشدّة، لم تستوعب الموضوع.. فتحت الباب، والدها يقف على قدم واحدة.. احتضنته، وقبّلته ومن ثم قالت له: مات بدر يا أبي..

أجهش الأب بالبكاء.. هو حقّاً لم يكن مسروراً بمجيء بدر إلى الدنيا، لكنه كان يحبه جدّاً، ويرى به سنداً في مستقبله.. خوفه من فقر حاله، أرغمه على فعل أمور عدّة ما كان يودّ أن تكون.. وما

هي إلا أيام حتى انتهت الحرب.. وعادت الأمور شيئاً فشيئاً إلى مجراها الطبيعي..

والد لين ما عاد يستطيع أن يعمل كما في السابق، وبات الحمل عليها ثقيلاً... وتحديداً بعد أن باعوا منزلهم، لتغطية مصاريف علاج مريم للحمل ببدر.. واستأجروا بيتاً صغيراً بالمبلغ المتبقّي، ولكن المبلغ انتهى.

لين كانت تعمل في محلّ ملابس مشهور، لكن راتبها ضيئل جداً فهي مجرد بائعة ملابس فيه، وما عاد والدها يستطيع أن يراقب أفعالها كما السابق.. بدأت تعمل بدوام صباحي ومسائي، وأصبح لديها زملاء عمل يحبونها جدّاً، فهي شفافة كاسمها، وصبورٌ كأمها... أصبحت صديقتها مرام تجلب لها الكتب كي تقرأها في وقت الفراغ، وصديقتها سارة أدخلتها على العالم الإلكتروني في ذروة العمل وما كان أبوها يعلم بشيء من هذا القبيل لكنها لم تخيّب ظنّ أبيها بها.. لم تحادث أيّ شاب، رغم أن الجميع مغرمون بها... هي لا تكره الحب، بل إنها بأمسّ الحاجة إليه.. لكنها لا ترغب من الحب أن يقتلها كما فعل بأمها، ولا تستطيع أن تتقبّل وجود أي شخص جديد في حياتها كي لا يعلم بطبع والدها.

دقّ قلبها له بشغف

استيقظت لين ووجدت رسالة من جود.. صدمتها وأشعرتها بالخجل.. وبأحاسيس غير عادية.. يقول فيها..

«يا غجريَّتي الجميلة.. الخلخال في ساقيكِ يذبحني.. يجعلني مشلول الحركة أمام جمالك... وروحي تحسد كلّ عينٍ رأتكِ، وكلّ يد لمستكِ... كم أتوق إلى عناقكِ، وجنوني يعلن بدايةَ الحرب الشقية أمامكِ.. مجنونٌ بكِ..

يا ليتني نقطة ماء، كي أتسلّل بين ثنايا شعرك، وأغمرَ خصلاتك الزيتونية، ومن بعدها أتبخّر من أنحاء كل الكون، إلى أي طريق يؤدّي إليك... أخاف أن أراكِ حلماً في منامي، وأرفض من بعدها أن أصحو كي لا أفارق صورة ملاكي، فأنت غير مقدّرة لحقيقتكِ، أنت ست الحلوات، أشعر بالضعف أمامكِ، وأصبح مسلوب الإرادة..

أشعر أن نفسي ما عادت نفسي، وأخرج معكِ عن طبيعتي اللامبالية والشوفينية، وأسترجع معكِ ذاك الإحساس الذي يشبه ألم الملذّات الأولى... كنت أشعر به في أيام مراهقتي، حينما بدأت ألمس حقيقة جمال المرأة، وأكتشف حجم حاجتي إليها لأول مرة، عندما بدأت دقّات القلب بداخلي تتضارب والأنفاس تتصاعد

والانجذاب يظهر بشكل هستيري... فقد أعدتِني عشر سنواتٍ إلى الخلف حينما كانت المشاعر بالنسبة إلي كعلبة مغلقة غيرٍ قابلة للتحليل، لكن الأحداث أمامك تتكرر يعيش بلحظتها الإنسان دفعةً واحدة بلا تفكير.. يصعب عليّ القول... لكن كلمة الاكتفاء أمامكِ أمرٌ مستحيل.. أخاف التعلّق بكِ أكثر، دون أن أعلم ما نهايتي معكِ وما سيكون المصير... لا أعلم كيف أشرح لكِ التفاصيل، لكني أودّ أن تفهمي أنكِ بالنسبة إلى أمر جميل... محال أن أقصد تجاهلكِ... فلا تعتقدي أن الحياة ستحلو لي من بعدكِ، فأنا أتنفّس بكِ وأقرأ كفّ حياتي من خلال عينيكِ»..

سعدَت كثيراً بما قرأته لكنها لم تردّ عليه ولو بحرف واحد، أرسلت له رسالة بعد أن استيقظت من نشوتها تقول له فيها:

هل لي بفنجان قهوةٍ واحد معك، مرة واحدة في العمر، شرط أن لا يكون في السر... أن لا يكون تحت سقف من حجارة، بل تحت رائحة السماء...كم أشتهي أن أراك هناك في بلادنا، جالساً بجانبي تضحك معي بصوت مرتفع دون أن تلتفت إلى من حولنا... دون أن تخشى وجودي بجانبك أو تقلق من وجودك بجانبي... فقد خلق حبنا بنور قلوبنا، لكنه سيموت في العتمة.. وإن كنت تحبّني حقّاً.. فاجعل للنور مدخلاً كي يشقّ طريقنا ويحيينا.. فأنا أشعر بشعور غريب بعض الشيء تجاهك لا أستطيع تفسيره ولا جزمه..

ومن ثم ارتدت عباءتها التي أحضرتها لها ريم يوم أمس،

كي ترتديها حينما ترغب أن تخرج من المنزل.. دقّ هاتفها، إنه السائق..

- صباح الخير، لقد طلبت مني السيدة ريم أن أقلّك إلى العمل بشكل يومي..
- أهلاً بك، سآتي حالاً.. لكن ما لون سيارتك؟
- إنها بيضاء اللون..

خرجت من غرفتها فوجدت والدها مستيقظاً، مما سبّب لها بدايةً ممتلئة بالخوف..

إلا أن بسمة والدتها قد أطفأت القليل منه، خصوصاً بعد أن قالت لها: وفقكِ الله يا ابنتي... فردّ أحمد قائلاً: اعملي بجهد كي لا تأمر هذه السيدة الثرية بترحيلك..

قالت له: لا تقلق يا أبي، أنا هنا كي أعمل، وسأقوم بكل ما أستطيعه..

خرجت لين وأغلقت الباب، وشعرت أنها حرة لأول مرة.. تمنت لو أنها تستطيع أن ترى وجه جود ولو مصادفة، أو أن يدقّ هاتفها باسمه المفتونة هي به..

استقلّت السيارة، وبدأت تتأمل أرض البلاد.. إنها مختلفة بالنسبة إليها بشكل تام عن لبنان، بكل ما فيها.. وصلت إلى المركز الخاص بالرّيم وحينما دخلت قالت لهم أنا جديدة هنا، هل لكم أن توصلوني إلى المكتب الخاص بالسيدة ريم..

فردت صباح الخير عزيزتي لين، تعالي إلى الأعلى أنا هنا...

- صباح النور مدام الريم، ها أنا قادمة..

وحينما اقتربت منها قالت لها: تفضلي إلى هنا، أودّ منك أن لا تناديني بمدام أرجوك، ألسنا صديقتين!!

- أجل نحن صديقتان من قبل، أما الآن فقد بات العمل في منتصف علاقتنا ولا أودّ أن يكون هذا العمل متاحاً لي بسبب تعاطفك معي..

- لا، لا تقلقي.. لا يوجد من هذا الكلام أي شيء وستتحققين بمرور الوقت بنفسكِ.. لكني لا أنكر أني أختار الشخص الذي يحتاج إلى المادة، بدلاً من الشخص المكتفي ماديّاً..

الريم: هل أنت مستعدة؟

لين: أجل بالطبع مستعدة..

الريم: إذاً لا تقلقي، سيكون كلّ شيء على ما يرام إن شاء الله..

لين: أتمنى ذلك..

تعالي كي تتعرّفي إلى أقسام الستر... هذا القسم يحتوي على تصميماتي من عباءات خليجية، وهي الزّي الرسمي المتعارف عليه في بلدنا.. وهنا تصاميمي التي صممتُها لفساتين الأعراس.. وهذه الملابس الجميلة قد استوردتها من بلادك، فأنا أعشق الأزياء

اللبنانية، وأرى فيها ذوقاً رفيعاً جدّاً.. وهذا القسم قد خُصّص لفساتين السهرة التي أصممها بشكل دائم.. أقوم باختيار أفضل أنواع الأقمشة، فخامةُ الأزياء تهمّني جدّاً..

لين: جميلٌ جدّاً، أتمنى أن أقدّم لك ما ترغبين فيه مني بالشكل المطلوب..

الريم: ليس لديّ أدنى شكّ في ذلك جميلتي لين.

مرّت الأيام.. يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر.. إلى أن أصبحت لين من أشهر العارضات في المملكة العربية السعودية، وكأن القدر قد فتح أبوابه مبتسماً لها.. حتى أنها باتت مطلوبةً لعروض عالمية، وصورها تتصدّر المجلات والمواقع الإلكترونية.. لكنها لم تودّ أن تنكر جميل الريم عليها، التي نقلتها من فتاة فقيرة بلا مال أو مستقبل، إلى أنثى مشتعلة بالطاقة والحيوية بفضل الله ومن ثم الريم..

تغيّرت حياة لين، لكنها لم تمنعها أن تعمل عارضة لمساحيق الوجه أو تصفيفات الشعر شرط أن تكون أزياؤها الخاصة على جسد لين، حينما تقوم بجلسة تصوير خارجية.. ولم يكن لدى أهلها خبر بهذا الأمر، لأنهم منعزلون عن العالم الخارجي بسبب تعصّب والد لين...كانت لين تجلب بالخفاء لوالدتها الكتب الثقافية، والروايات الأدبية.. والدفاتر والأقلام، كي تكتب ما تحب لأنها تعلم أن والدتها تعشق الشعر العربي، وقد حرمت من أقل حقوقها حينما تزوجت..

كانت مريم تكتب بشغف كبير، وأيضاً لين كانت تحب الكتابة كأمها، فالكاتب يهوى القلم جداً حينما يتملّكه الألم، أما والدها فكان يكنز المال ويحتفظ به، رغم أنه لا يحتاج إليه.. فالمنزل مؤمّن، والأطعمة متوافرة وفواتير الكهرباء ومثل تلك الأمور، مسدّدة جميعها من المؤسسة التي تعمل بها لين.. حتى أنه لا يقتني لنفسه ملابس جديدة، ولا يسأل مريم إن كانت تودّ الخروج بنزهة كي ترى البلد، أو إن كانت بحاجة إلى شيء ما.. لكن لين لم تقصّر بتاتاً في حق والدتها، وهي تشعر بمعاناتها منذ أن ولدت..

كانت مريم تقضي يومها بتصفّح الكتب التي كانت تجلبها لها لين حين ينام أحمد.. تعيش داخل الحكايات التي تجعلها طليقةً للحظات من عالمها المعتم.. كانت تشعر بكذبات لين، وأن هناك لبساً ما في موضوع عملها، وأنها تعمل في مجال بعيد عن بيع الملابس.. لكنها لم تشعر بحجم حقيقة الموضوع.. تمنّت لو تعود بها الأيام إلى العراق، إلى منزلها بين إخوتها وكنف عائلتها، إلى غرفتها ومدرستها.. وتمنت لو أنها لم تزر شارع المتنبي، كي لا ترى أحمد وتصل بحبها له إلى الهاوية..

تلقّت لين دروساً في الإيتيكيت، وانتعال الكعب العالي.. وأخذت دروساً في النقاشات الاجتماعية ودروساً في اللغة الإنكليزية.. ما كانت تستطيع أن تستوعب كل هذه التغيّرات المفاجئة في حياتها، لكنها تحدّت ذاتها وأصرّت على تحقيق

حلمها الذي كُسرت ملامحه في داخلها بسبب والدها.. إلى أن أصبحت كالأميرات في نقاشاتها وحضورها وأناقتها اللافتة للأنظار.. باتت تترقّب إجازتها بفارغ الصبر كي ترى جود...لم تخبر والدها أن لديها أيام إجازة في عملها، كي لا تمكث يوماً كاملاً معهما، ويسحب منها ما يرغب فيه في لحظات ضعفها أمامه.. فهي تعود من عملها حينما ينام، وتشعر بالرعب إن رأته مستيقظاً إلى حين عودتها.. وتشعر أنه قد علم عن جريمتها بحريتها وكذبتها.. لم تستطع لين أن تقاوم إعجابها الشديد بجود الذي استمرّ في محادثتها طوال الأيام السابقة.. كانت تعتبره فنانها المفضّل... فهو يغني ويعزف لها على الغيتار بشكل يومي، حين ينام والداها، وتخرج معه في أيام إجازتها... يذهبان أحياناً في نزهة، وأحياناً أخرى يتجهان إلى أحد المطاعم كي يتناولا الطعام.. وفي أغلب الأحيان، تذهب لين معه إلى منزله الصغير الذي يمكث به بعيداً عن عائلته.. منزل موسيقي يحب أن يستقرّ فيه بعيداً عن كنف عائلته.. الاستقرار أمرٌ أساسي لدى جود، إلا أن العم مازن جاره يقيم عليه كل أنواع المراقبة والإزعاج.. فهو رجل كبير بالعمر، من الجنسية الفلسطينية، يمكث هو وزوجته في الشقة المجاورة لجود.. ينزعج من صوت الموسيقى المرتفعة دوماً لديه.. لكن جود لا يأبه لشكواه أبداً، ولا يهتم إلا بالأمور التي ترضيه، وترضي راحته بقرب لين.. فقد اشترى هذه الشقة أيضاً كي يكسب وقتاً مستقرّاً، دون خوف مع لين..

لين في البداية لم تستسلم لإغراءات جود، رغم أنها كانت تشعر معه بكلّ ما لم تشعر به فيما سبق من عمرها الذي مضى.. لم يرغمها هو على أي أمرٍ لا ترغب فيه.. كان يحبها حبّاً جمّاً.. إلا أنها بمرور الأيام بدأ قلبها يستسلم له ورغبتها بالجنون تكبر معه، بعد ما احتلّها حبه وجعلها قطعة منه وجعله قطعة من قلبها، كان جمالها شهيّ المظهر، وملامحها ممتلئة بالأنوثة، في عينيها حزن خفيّ وكأنها جمعت آلام وطن أمها وأبيها وتشرّبتها معاً في ولادتها، كأن جذور الحرب تأبى أن تنشقّ من ملامحها.. كانت تعشق الأزياء وألوانها وتفضّل من المصممين اللبنانيين والعالميين.. إيلي صعب، زهير مراد.. مصمم الأزياء الفرنسي كريستيان ديور، والمصمم الكويتي يوسف الجسمي.. وبعيداً عن الأزياء التي كانت تعجب بها من خلال المجلات المتوافرة في البوتيك الخاص بعملها في بيروت، وتحلم أن تقتنيها كي تسقطها على جسدها الرقيق، كي تشعر أنها أميرة من الطبقة المرموقة، كانت تحب الثقافة كأمها، وتعشق الأدب العربي.. فثقافتها الحياتية أعمق من ثقافتها الدراسية.. لم تُتح لها الفرصة كي تتعلم اللغة الإنكليزية في السابق بسبب وضعهم المادي، وبسبب ذلك كانت تخجل دوماً أمام ذاتها من قلّة علمها.. فهي أنثى قوية طموحةٌ وحالمة ولا تحب أن يرى أي شخص ضعفها.. كانت تكتب في مذكّراتها دوماً: «لو أني أصبح طليقة أطير كعصفور في السماء، لو أني أرقص على أنغام الزومبا وأدور بعبث في حلقة هذه الحياة»..

لو أن خيوط السعادة لا تنقطع ولكن للقدر أحكاماً.. إلا أن رحمة الله كبيرة، وها قد جاءتها ووضعت أمامها الريم، كي تلملم شتات وضعها المبعثر.

استيقظت ليلاً على رسالة غرامية من جود قائلاً لها من خلالها...

صباحي أنتِ، وقديستي الجميلة التي تسكن في أضلعي.. يا سكر شفاهي، أنت غنوتي التي أغنّيها أمام ملايين البشر، وأتمناها منذ أن تحرّكت في داخلي تلك المشاعر الغريبة.. مشاعر الحب في حضرة قداستك... صمت مريب يقتلعني من الداخل، حين تكونين على سرير صدري.. يسكت الكون وتتجمّد الحروف... تعزف الأنفاس موسيقى الغروب، ويشهق في داخلي النبض الأخرس.. وتعانقك أضلعي بكل هدوء..

رباه، ما أحلاكِ، مثل السحر ملقاكِ... لا معجبة بالكون تغريني، ولا عطر يغويني.. يستطيع أن يضاهي عطر جسدكِ الإلهي.. فالموت أخفّ وطأة من صبري، بات غرقي غرقاً عظيماً داخل موطن صدرك.. لا تقتربي وترحلي، وتستبدّي ببرود أعصابك بسلطتي.. فرمشكِ موطني وضوء عينيكِ صلواتي الطاهرة في معبدي..

ردّت عليه قائلةً: أيّ موت هذا الذي أعيشه قربك... موت سريري داخل عقلي، يسير بي عكس التيار وضدّ القدر كلّه خطر.. أيّ وجع هذا الذي يطوف في داخلي دون أن يهدأ أو يستكين...

كالسكاكين داخل ضميري.. يُفزعني، يقتلني ويعيد تكويني.. حبك ذنبي الأكبر، ورغبتي ومطمعي.. أنام على سرير قلبك بلا خوف، وأنحرف معك بلا عقل.. لا أحسب الزمان، ولا أرى صورةً واضحة للمكان، إلى أن أصحو على صوت الأذان، وتصحو معي غيبوبتي الحمقاء.. لمَ أنا معك، وكم من جرم بحقّ نفسي في قربك اقترفت.. هل الحب جرم، أم أن فتاةً مثلي لا يحقّ لها أن تعيش مع رجل محلّل لقلبها في ساعات من الانحراف، ومن بعدها تعود كما كانت أنثى تشتهي قربك دون أن تلقاك.. تسافر عني، أعود إلى عملي، وتعود إلى معجباتك وأغنياتك المتفرعة في كل مكان.. تتركني جثة هامدة تنتظر عودتك، كي تحيا بك من جديد.. مظلومةٌ أنا في حبك، فأنت لا تعلم حجم الوجعِ بداخلي.. أصارع الموت على سرير الصبر، وأنت هناك.. عني لا تدري، كأن البلاد تنسيك عطري.. وكأن قلبي ولد للصمت، ولد كي يعشق بالسرّ.. ألا تكفيني حياتي التي أعيشها رغماً عني، أعيشها كما لو أني مطلوبة للقضاء وأنتظر عما قريب حكم الإعدام.. حلّلت لك نفسي دون أن أدري ما قواعد الحب إن كان له أحكام وقواعد.

في الصباح الباكر.. استيقظت لين على صوت والدها وهو يصرخ بصوتٍ عالٍ.. هرولت إليه كي تسأله ما خطبه.. فردّ قائلاً: أنت تخرجين كلّ يوم وترين السماء، وأنا هنا أشعر أني سجين دون قيود، أريد أن أخرج.. ارتبكت لين جدّاً، لم تتوقع أن يطلب أبوها

طلباً كهذا، فقالت له: إلى أين يا أبي، فالبلد هنا غريب عنك، وأنت غريبٌ عنه لا تعرف أحداً فيه..

- أريدُ أن أخرج حالاً، لا أعلم إلى أين.. اتصلي بهذا السائق الذي يقلّكِ إلى عملك، كي يأخذني في نزهة.. أريد أن أرى الشمس والبشر، فمنذ مجيئي إلى هنا، وأنا جالسٌ في هذا المنزل الصغير... لا أرى سواكِ أنت ووالدتكِ وجارنا أبي سامر، لقد مللت..

- حسناً يا أبي، سأهاتف السيدة ريم، وأطلب منها أن ترسل السائق كي تخرج أنت وأمي في نزهة في البلاد.. ردّ بطريقة مرعبة بالنسبة إلى لين، وأنت ألن تذهبي معنا؟ أم أننا ما عدنا نحلو لمزاجك..

- لا يا أبي، ليس الأمر هكذا بتاتاً.. لكن عملي اليوم سيبدأ في العاشرة صباحاً.. وسأستغل الوقت قليلاً في ترتيب بعض الأمور الخاصة بالعمل في المنزل، ريثما يحين وقت العمل وتعود أنت وأمي ليقلّني السائق إلى عملي...

- كفاك تبريرات، أعلم أنك لا تودّين الخروج معي.. لو أن بدراً صغيري ما زال على قيد الحياة لما رفض الذهاب معي..

سقطت دمعة لين، واحترق قلبها في ثوانٍ قليلة، وذهبت إلى غرفتها وهي غارقة في البكاء.. باتت تفكر في حالها دون بدر،

دون سندٍ لها في المستقبل.. باتت تفكر بحزن وترى كل ما يجول حولها كئيباً.. لكن مريم بكل تحمّلها وقوتها، احتضنتها ومن ثم قالت لها:

- نصيبه في الجنة أجمل يا ابنتي، فهو ملاك عند الله.. لم يذنب، كان بريئاً جدّاً.. يحب الله كثيراً، فلا بدّ أن يكون الله راعيه..

- حسناً يا أمي، سأتصل بالسيدة ريم علّها ترسل السائق كي يخرجكما في نزهة قصيرة، ريثما أجهز نفسي لعملي..

- حسناً، قومي بذلك.. وأتمنى منك أن تقتربي من والدك فهو إنسان جيد، وقد كبر بالسن ويحتاج لأن تحاوريه وتناقشيه...

- أيّ نقاش وحوار يا أمي! أبي يعتقد دوماً أنه على صواب، وأن الجميع مخطئون..

- لا بأس يا ابنتي، إن قلبه نقي.. عامليه كطفل، ولتشعريه أن كلمته محترمة ومسموعة.. أبوك رجلٌ مثقف، لكن الحياة قد وضعت بداخله الخوف والشكوك.. كان لديه مكتبة جميلة، وكنت أناقشه بأمورٍ عدة، فقد كان يقرأ بالسنة الواحدة مئة كتاب.

أبوك رجلٌ محافظ على مبادئه وأخلاقه حتى الآن... لكن خوفه وحنقه، باتا يجعلانه ممتنعاً عن قراءة أي كتاب أمامنا.. لا أنكر أني مستاءة مما أجرمت به بحقّ عائلتي ونفسي، حينما خرجت

بطريقة لا شرعية من البلاد مع والدك، لأجل الحب.. هذا الحبّ الذي أرسلني إلى التهلكة.. لوالدك يا لين علّتان: الأولى حبّه الشديد لي، والثانية هزيمته الحياتية التي كسرت وضعه المادي.

- أعلم يا أمي أن هناك إعصاراً يهب داخلك يقتلع كل راحة بال تسكنك..
- أنا بخير يا ابنتي، لأني مقتنعة بقضاء الله تعالى وقدره، ولا اعتراض على حكمة الله...
- أجل يا أمي، لكنك لا تستحقين حياة كهذه بتاتاً...
- لين عليك أن تعلمي أني غير مرتاحة لعملك أيّاً كان.. كنت أودّ أن تذهبي إلى المدرسة كبقية الفتيات، وأن يكون لك طموح ثقافي يرفعك أمام الجميع.. لكن قدّر الله وما شاء فعل، لذا عليك أن تحسبي خطواتك جيداً، ولا تسمحي للحياة أن تتغلّب عليكِ بإغراءاتها، فقد جرّبت حياة الثراء وحياة الفقر.. لا أنكر أن حياتي فيما سبق كانت أشهى، إلا أن حياتي بوجودك أجمل..
- أنت الجمال كلّه يا أمي...

هيا أخبري أبي أن السائق سوف يصل بعد بضع دقائق، ولتجهّزي نفسك لرؤية البلد مع أبي...

إنها بلاد جميلة عكس ما كانوا يقولون عنها..

- لا طاقة لي للخروج، أخاف التعلّق بالمظهر الخارجي الذي أتوق لاحتضانه منذ زمن، ولا أستطيع أن أراه وقتما أشاء..

- لا تقلقي يا أمي، اطلبي ما شئت وسيكون لك وأمامك فوراً..
- ايبييه أريد الحياة وراحة البال، أمران لا أيأس من تحقيقهما.. إلا أن رحمة الله واسعة ولا يأس منها بتاتاً..
- والنّعم بالله يا أمي... إن السائق موجودٌ الآن أسفل المبنى.. هيا ارتدي هذه العباءة، وسأخبر أبي حالاً كي يستعد.. خرجت مريم بعد رحلتها الأخيرة من لبنان، لترى المملكة العربية السعودية وتتنزّه في شوارعها ومتاجرها.. كان أحمد سعيداً، ليس لأن الحياة أمامه بل لأن مريم بجانبه يراها مبتسمة وهي تنظر إلى السماء كطفلة ولدت توّاً.. إنه يحبها حبّاً قاتلاً... يرى حياته بها، ويحيا من خلال الطمأنينة التي تسكن عينيها..

جهزت لين نفسها، وهي تفكر في جود وفي رسالته التي وصلتها الساعة الثالثة فجراً.. باتت تشعر برغبةٍ أعمق وأكبر فيه، وتتمنى أن يجعله الله من نصيبها.. لكن جود متفق معها ألّا يكون بينهما ارتباط رسمي في الوقت الحالي..

هي تعلم أن شابّاً مثل جود، من المحال أن يرتبط بها.. لكنها تحب كل ما فيه، وتعشق لحظاتها معه، حتى عطر جسده قد أدمنته، فقد باتت تشتمّه في منتصف منامها، لتستيقظ وهي مشتاقة إليه بكل أنواع الشوق..

عاد والد لين، وقال لها: هيا اذهبي كي تقضي يومك بعيداً عنّا.. أعلم أنك لا تتحملين وجودي، لكني أتمنى من الله أن يأخذ أمانته كي تعلمي حينئذ الأسباب التي كنت أخشاها عليك..

- أعلم يا أبي، وأتمنى من الرب أن يطيل عمرك كي تعلم كم أحبك رغم كل الشتات الذي أعيشه معك.. فأنت أبي ولن أعشق رجلاً مثل عشقي لك.. وعليّ أن أتحمل لأجلك ما يرضيك، فأخطاء الآباء مغفورةٌ لدى الأبناء لكن بعد فوات الأوان، ولن أنتظر هذه اللحظة كي أكتشف حبي لك.. فهو موجود رغم كل الصراعات التي تدور بيننا.. عليّ الآن الذهاب إلى عملي، فقد تأخرت كثيراً..

- في حفظ الرحمن يا ابنتي..

ذهبت لين وهي تشعر براحة عميقة لأول مرة، فقد ناقشت أباها بلا خوف.. وقد ردّ عليها بلا انفعال وتمرّد.. أصبحت لين تشعر بشوقٍ غريب الأطوار يلاحق قلبها، يلتفّ حول عقلها كالدوّامة يغوص بها في بحر اللاوعي، يدفعها للانحراف عن كل ذرة عقل.. وإذ بها تدقّ وفي كل رنة دوامةٌ تدفعها للغوص أكثر، تدقّ مرة أخرى على اسم جود في الهاتف بينما كانت مع السائق في السيارة.. لم يرد عليها، باتت تدقّ وهي منفعلة وما من مجيب.. شدة شوقها دفعتها للغضب والانفعال، تشتاق أن تحادثه دون أن تعلم أين هو... وبعد ربع ساعة، دقّ هاتفها.. ردّت بكل انفعال قائلة: أين كنت أيها الأحمق؟

ضحك ساخراً منها: كنت في جولة داخل قاع قلبك، لكن دقات قلبك المتسارعة قد أفسدت وصولي إليك في الوقت المناسب..

- أحبك، عليك أن لا تستفزّ أعصابي هكذا مرة أخرى..

- لا، سأستفزك كلك في المرة القادمة كي تستلقي في أضلعي من شدة الشوق..

- تبّاً لك.

- تبّاً لك كم أحبك..

أغلقت هاتفها، وبدأت تتحدث مع صديقتها ميرا عمّا تشعر به تجاه جود من حب وشوق..

ميرا

ميرا فتاة لبنانية، تقيم مع عائلتها في المملكة العربية السعودية، قبل أن تأتي لين.. تعمل معها عارضة أزياء، لكن حسب الطلب وليس بعقدٍ مثل لين.. علاقتهما قوية بعض الشيء، فهي الصديقة الوحيدة التي تحمل مثلها هويتها اللبنانية.... لم تكن ميرا تعلم عن تفاصيل حياة لين، ولم تدعُها لين إلى منزلها.. فهي تخشى من تلك الشخصية التي تتلبّسها في حضور والدها، ولا تحب أن تظهرها لأحد.. نادت السكرتيرة ميرا، وطلبت منها الذهاب كي تجهّز نفسها لجلسة التصوير الخاصة بها.. فقالت للين: سأذهب، أراك فيما بعد..

- حسناً ميرا، وأنا لديّ جلسة أيضاً لكن بعد ساعة من الآن.. سأرتاح في الكافتيريا، وأحتسي كوب قهوة ريثما يحين موعد جلستي..

- حسناً، إلى اللقاء.. في حفظ الرحمن صديقتي...

اتجهت إلى الكافتيريا وطلبت كوبَ قهوة دون سكّر، مع قطعة كيك مغطاة بالشوكولا اللذيذة.. بدأت حينئذ تفكر في جود، لم تعد تستطيع أن تتمالك نفسها وتتحكّم في تفكيرها بتاتاً.. بات تفكيرُها

يشير دوماً إلى جود، فقد باتت تعشقه أكثر من ذاتها، وبدأت تكلم حالها قائلة: لمَ تركته يقبّلني!! يا إلهي كم أنا بلهاء وتافهة، لمَ استسلمت له وكنت رخيصة إلى هذه الدرجة!

مشكلة الرجال في عالمنا الشرقي، أنهم متناقضون حتى الجنون في علاقاتهم العاطفية.. إذا تمنّعت الفتاة، نعتوها بالغباوة علّها وعسى أن تستسلم لرغباتهم الشهوانية.. فهم يصرون على محاصرة النساء في زاوية انحرافهم، لأنهم لا يتحملون فكرة أنها متمنّعة وغير رخيصة كباقي النساء..

أعلم أني كنت ساذجةً، وما زلت... رغم أني أذكى النساء، لكن كلّ ما حولي يدفعني كي أهرب من واقعي إلى عالمه المنحلّ والمحظور..

أحبه أجل.. رغم أنه لم يتمنَّ حتى الآن الزواج بي.. أعتقد أنه بحاجة إلى فتاة أكثر رزانة مني، رغم أني كنت هكذا.. وهو من قلَب حالي.. ما عدت أعلم بما يرغب فيه.. هل هو حقّاً يحبني، أو يحب وقته معي لا أكثر!؟

جود يهاتفها... ردّت عليه:

– ألو.

– كيف حالكِ حبيبتي..

– بخير.. هل أنت بخير؟

– أجل، لكن صوتك متعب ما خطبُك؟

- لا شيء...
- هل أنت واثقة بذلك؟
- أجل...
- حسناً، سأسافر غداً لديّ حفلة في لبنان.
- ماذا، ستتركني هنا؟ أرجوك لا تفعلها...
- حبيبتي، لن يطول غيابي.. أسبوع واحدٌ وسأعود إليك يا حياتي.
- لا أتحمّل غيابك بتاتاً..
- لين، سأطلب منك طلباً وأتمنى ألّا ترديني خائباً..
- قل لي..
- ماذا تفعلين أولاً؟...
- أنتظر موعد جلسة التصوير الخاصة بي..
- حسناً، ومتى ستنتهين منها؟
- تمام الساعة السابعة تقريباً..
- أريد أن أراكِ اليوم أرجوكِ.
- هل هناك شيء مهم!؟
- حينما يأتي موعد خروجك من عملك ستعلمين بالحرف ما أريده.. أودّ أن أجنّ معك، هل لديكِ مانع من أن نلتقي بموعدٍ مجنون!؟

رحبت بطلبه وأخبرته أنها ستلتقيه عند موعد خروجها..

اتصلت بوالدتها وقالت لها إنها تودّ السهر لدى صديقتها وتمنّت أن توافق وقالت لها: لا تقلقي يا أمي.. إذا اكتشف أبي عدم وجودي فقولي له إن موعد خروجي من العمل سوف يطول اليوم بسبب اقتراب موعد العيد، ولذلك سوف أتأخر وسيرجعني إلى المنزل سائق السيدة الريم كالمعتاد.. أخبريه أنها سوف تعطيني مالاً إضافياً..

كانت لين تكسب الكثير من المال من خلال الجلسات الخارجية التي تقوم بها مع مصففات الشعر وخبيرات التجميل، وقد كانت ترفّه عن نفسها دون أن تنقص من مبلغ راتبها الشهري أمام أبيها..

قالت لها مريم: حسناً، حاولي ألّا تتأخري كي لا يغضب والدك..

سأحاول أن أشغله بأي موضوع كي لا ينفعل، لكن لا تشغلي بالي أرجوك..

- حسناً أمي لا تقلقي..

ذهبت لين إلى السيدة الريم وقالت لها: هل لي أن أخرج اليوم بعد جلسة التصوير الخاصة بي مباشرة؟ قالت لها الريم:

- لمَ يا لين، هل حدث لوالديك مكروه لا سمح الله؟

- لا أبداً، لكن هناك فتاة قد دعتني إلى حفلة ميلادها وأودّ أن أذهب..

لذا قلت لأهلي إني سأتأخر في العمل اليوم.. تعلمين أنهم لا

يحبّذون ذهابي إلى مكان كهذا.. لكنني أخبرت أمي بهذا الأمر، كي لا تقلق من أجلي.

- حسناً لين، أنت تعلمين مدى ثقتي بك، لذا لا تخذليها..

صمتت لين، كما لو أنها شعرت بخنقة وخوف داخل صدرها.. ومن ثم ابتسمت حينما مرّت صورة جود في مخيّلتها، فقالت لها: لا تقلقي عزيزتي.. فأنا ما عدت طفلة صغيرة وما كنت في يوم من الأيام غير مسؤولة، وإلا لما وجدتني هنا في بلدك.. أتيت كي أعمل بضمير، وليس لأضحك على نفسي وأسقطها في وضع مريع..

قالت لها: أعرفك كلّ المعرفة يا لين لكن «أولاد الحرام كثير»،

- لا تقلقي عليَّ، سأذهب كي أبدأ بجلسة التصوير ومن ثمّ سأخرج..

وهي ذاهبة قالت لنفسها:

- كيف للبشر أن يضعوا ثقتهم بي وأنا أخبث من الخبث، لأني أملك قلباً أضعف من عقلي.

موعد غرامي

انتهت لين من جلستها وجهزت نفسها للموعد، ومن ثمّ ذهبت إلى جود الذي كان ينتظرها في سيارته المظللة.. استغلت لين تفهّم والدتها حين قالت لها إنها ستنام الليلة لدى صديقتها ميرا، وستسهر مع بعض الفتيات اللواتي يعملن معها لدى ميرا... وبأنها تودّ أن تسهر معهنّ ولو يوماً واحداً، كي لا تشعر أنها مختلفة عنهن.

تدرك لين حجم وعظم ما تفعله وتنتابها نوبات تأنيب الضمير، لكنها حين ترى عيني جود، تنسى ضميرها ودنياها..

هو الحب يرمي بها نحو أعظم الجرائم..

جرائم بحق قلب، تعمي عينيها عن الواقع وكأنها مخلوقة كي تعيش هذه اللحظة لا غير.

اقتربت لين من جود، قائلة له: في عينيك نورٌ ساطع كضوء القمر، وأنغامٌ شرقية تستفزّ مشاعري وتثيرها... فيهما لمعة متوهّجة، وصرخة شوق حارقة... يقولون إن للعيون لغة، تستمدّ قاموسها من نبضات القلب... أرى نور جمالي في مرآة وجهك، وأسمع صوت أنفاسي على شفتيك.. ضحكتُك هي جنّتي، فلا

تبتسم كثيراً.. ضحكتك تأخذ عقلي، وتلوّن صفحات عمري بالجمال والجنون...

- أنت كذلك يا لين، بعينيك الحياة وأنا دونهما لا شيء...

قاعٌ خاوٍ وصحراء قاحلة.. أحببتك حبّاً ما وُجد قبلاً على سطح هذه المعمورة.. لو قلتِ لي اقتل نفسك فسأنفّذ الأمر بكلّ حب وترحيب، فالموت من أجلك ولادة وحياة...

- وماذا أقول فيك، إذا كنت السماء والمطر...؟

ماذا أقول لعينيك إذا أصبحتا لي النور والبصر!!

- أعطيني قلبك وكلّ شيء.

أريد أن أشعر بالحياة معكِ.. أحبك وأحب قوتكِ وضعفكِ، أحب كبرياءكِ وبساطتكِ.. أحبكِ بكلّ ما أوتيت من مشاعر، أذوب أمامكِ كما يذوب السكّر في الماء.. أحب مشاعركِ الثابتة وأفكاركِ الحالمة وأنوثتكِ البارزة.

- في كلّ لحظة كنت تهاتفني، كنت أشعر بجمالي أكثر.. أنوثتي التي تنضج من جديد، في كل لحظة أراك، أشعر أن عطري يزداد جمالاً وإغراءً... لا أحتاج إلى وضع مكياجي أمامك، لأني معك سأغتسل خلال دقائق من كل المساحيق.. فكلّ ما فيك يحرّرني من العالم الواقعي. ففي صوتك نبيذ معتق يسكر قلبي يُطربني أمامه كما يطربني صوت القيصر... وأصابعك تجعلني أغلي كالبركان حينما

تعزف لي على غيتارك تلك الألحان.. فلا أحد يملك موهبة العزف على أنغام القيثارة مثلك..

- عليك أن تنتبهي من عيون الغير، فأنا أغار عليك من نسمة الهواء وضوء الشمس، لست معقداً، ولن أسمح لشرقيتي أن تكون شراً عليك، لكني أحبك أرجوك أن تتفهمي أنني أغار عليكِ وما يحقّ لي بك لا يحقّ لغيري بتاتاً.. أفهمتِ؟!

- لا حياةَ لك من دوني وإلا فسأقتلك، لا أريد سواك.. فأنت كل ما أملك وكلّ ما أشتهي من هذه الحياة وكلّ ما أرغب فيه وكلّ ما أتمنّاه وكلّي بك اكتمل.

ابتسم ثم اقترب منها، وقال: تعالي، فبيني وبينك تسعون عاماً وألف حرب، تعالي لا أريد السلام بل الحرب.. أمسك بيديها وقبّلهما.. قالت له: اقترب، اقترب.. احتضني لكن لا تتمادَ ولا تتمرّد.. ابتسمَ كثيراً وقال: أتمادى أتمرّد يا حبيبتي..

انتِ لي ولي الحق الكامل بكِ.

إلا أنه من قُبلة على العنق جعلني أغرق لا بل أسقط.. حاول أن يستفز جنوني وأن يخدر إحساسي وأن يتحكم بمزاجي كي أصبح بجانبه مثل السكر.. يغرقني معه ويشعرني بشعور لم أشعر به من قبل.. يود أن أتبخر بين يديه لأصبح أجمل، عانقني عناقاً قلب موازيني، جعل من أنوثتي بركاناً يسطع.. شممت عطره كما لو أني لم أشتم فيما سبق، جلد رجل يحمل عطراً..

كانت ممدّدة على فراشه كأنها مستلقية فوق بحر أزرق دافئ

وبيدها كأس ماء بارد تسقط قطراته من بين شفتيها نحو عنقها.. كان عنقها شهيًا للقبل، شهياً جداً، وكان اللون الأبيض عليها مغرياً للغاية يكشف جمال كتفيها، وساقاها ممدودتان أمام عينيه، وهناك لوحة مثيرة معلقة خلف السرير بأعلى الجدار.. كما لو أن المشهد مؤهب للدخول في حالة جنون، كان عطرها يفوح وخجلها يزهر، وتورّد خدّاها.. وبدأ جسدها الرائع يتعرى شيئاً فشيئاً.. فمال بعنقه نحوها قائلاً لها:

- أحب جلدكِ الناعم وأحب تلك الشامة التي تمكث هناك أسفل عنقكِ.. أحب هدوءكِ في هذه اللحظة وأحب مشاهدتكِ لجنوني الذي سيقم احتفالاً في هذه الليلة، أشعر بدفء قلبي بجانبكِ.. ألقى رأسه على كتفها وبدأ يدندن لها أغانيه، إلى أن سقطت كل علامات الخجل وراحا يمارسان الحب حتى بزوغ الفجر.

نام جود في ساعات الفجر الأولى، لكنها لم تستطع أن تنام، بقيت تتأمّله.. تسمع دقات قلبه، تقرأ ملامحه.. وتقول له وهو نائم، لقد أصبحت لي.. أنت لي وحدي الآن ولم تغفُ عيناها ثانية واحدة، واستمرت هكذا حتى السابعة صباحاً، بدأت تقبل عينيه كي يستيقظ قائلة له: هيا حبيبي علينا أن نذهب الآن، موعد طيارتك قد اقترب وموعد عملي قد حان.. لا أودّ أن يشكّ بي أحد..

- حسناً حبيبتي هيا بنا، رغم أني أودّ أن أخطفكِ كما فعل بي جمالكِ وخطفني.

- ههههههههه،كفاك تغزّلاً بي كي لا أفقد عقلي.

خجلت لين، وقالت:

أليس لديك شيء آخر تحدّثني به غير الحب والغزل؟

قال لها بالطبع..

قالت له: ما هو؟..

- أحدّث الحبَّ عنكِ.

سافر جود، بعد أن اشتمّت عطره.. بعد أن تعمّقت فيه أكثر وعشقته أكثر، وباتت تحبه أكثر فأكثر، فعطرُه عالقٌ بها.. كان يومها مشتّتاً جدّاً.. سألتها ميرا: ما خطبك؟ فأجابتها: لا شيء.. جود سافر، وأنا لا أستطيع أن أتحمل فكرة سفره.. سألتها لمَ تحبينه إلى هذا الحدّ؟.. فردّت قائلة: «عيناه الإرهابيتان تغتالانني» وصوته الموسيقيّ يتلبسني.. وأشعر أن قلبي ملكٌ له.. لا أستطيع أن أصف حبي له، فالحب لا يفسَّر بل يترجم داخل الإحساس.

ميرا: ما أجملكِ حين تحبّين، يليق بكِ الحب يا لين.. وكم هو محظوظٌ بقلب كقلبك..

ردّت قائلة لها: حينما تعشقين، ستعلمين حذافير هذه الأمور بشكلٍ أدق.. ستشعرين أن الحياة مختلفة حين نحب..

ضحكت ميرا ضحكة ساخرة، وقالت: حب!!!الحبّ بالنسبة إلي مرفوضٌ ونكرة.. فأنا أودّ أن أصبح عارضة أزياء مشهورة عالمياً..

ضحكت لين وقالت: الحب يجلب لك كلّ الأحلام، لكن بطريقة أخرى، تذكري كلامي جيداً..

قالت لها: لا أظن، أحلامي هي حبي.. هيا علينا أن نقوم فقد ثرثرنا كثيراً، ولدينا أعمال كثيرة اليوم سوف تأتي جوليا كي تأخذ مقاساتنا، أظن أني سمنت نصف كيلو، تبّاً لي...

لين: لا تتكلمي عن الوزن، فالشوكولا فعلت فعلتَها ولا أستطيع أن أمنع نفسي عنها..

ضحكتا واتجهتا إلى غرفة أخذ المقاسات..

الريم: إن خبيرة التجميل بلقيس، ستأتي كي تقوم ببروفا لكما.. وستحضر معها مصفّفة الشعر، فهي من أهم خبيرات التجميل في العالم العربي، وسوف تقام حفلة الأزياء الحالية على شرفها.. وربما ستقوم بتنفيذ المكياج أمام الحضور في القاعة، على وجهك يا لين.. سوف تحضر الكثير من الفتيات لأجل مشاهدة فنّها..

- حسناً، وأتمنى أن أشرّفك في هذا العرض..

- لا تقلقي عزيزتي لين، ما اخترتك إلا وأنا مدركةٌ جيداً أنك ستكونين نجمة في مسرح أزيائي..

- أشكرك جدّاً هذا فخرٌ كبير أتشرّف به...

مرّ اليوم وقد كان شاقّاً جدّاً، فلين لم تنم في الليلة السابقة.. هاتفتها والدتها وطلبت منها أن لا تتأخر لأن والدَها منفعلٌ وغاضب.. فهو لم يعلم بأن لين باتت ليلة الأمس خارج المنزل،

بل ظنّ أنها عادت متأخرة كما أخبرته مريم بسبب ساعات عملها الإضافية، وأنها خرجت في الصباح الباكر قبل أن يستيقظ.. لكنه غاضب بسبب عدم رؤيتها كلّ هذا الوقت.. أما مريم، فلم يكن بالها مرتاحاً قط.. والأفكار السوداء بقيت طوال الليل تحوم حولها.. مَن صديقاتها!؟ وما نوع السهر؟.. فهي لا تعرف صديقات لين.. وتسمع عنهنّ من خلال حديث لين في يومِ إجازتها فقط.. لكنها لم تذهب قط إلى عملها ولم تصادف إحداهنّ.. تحاول أن تملأ وقتها بقراءة الكتب التي كانت تجلبها لها لين.. بعد أن فقدت أيّ أمل في هذه الحياة وإن كانت تعيش فلأجل لين فقط..
عادت لين بعد يومٍ شاق إلى المنزل.. قبّلت والدتها واعتذرت لها عن غيابها الطويل ومن بعدها خلدت إلى النوم.. وعندما وضعت رأسها على وسادتها.. تذكرت تفاصيلها التي مرت في ليلة الأمس مع جود.. حملت هاتفها وهاتفته.. لم يردّ عليها، لكنه أرسل إليها رسالة: حبيبتي أنا مشغولٌ جدّاً، سأتصل بكِ يوم الغد.. فحفلتي ستستمر حتى الفجر.. نامي وارتاحي، تصبحين على خير.

شعورٌ حقير تملّك لين.. لم تتوقع بتاتاً أن يعاملها هكذا بعد الذي حصل بينهما.. هاتفته مجدّداً، لكنها وجدت هاتفه مغلقاً.. نامت والدمعة تحتضن عينيها.. وحينما استيقظت، لم تجد منه أيّ اتصال.. ذهبت وجلست مع والديها، وتناولت معهما طعام الإفطار.. ومن ثم ذهبت إلى عملها.. اليوم سيتمّ العرض الكبير الذي حضّرت نفسها له أمس.. لكن بشرتها متعبة وعينيها مرهقتان

والحزن مرسوم على وجهها.. لم يعجب الريم وجه لين بتاتاً.. وطلبت من العاملات أن يقمن بعمل مسّاج لها، ووضع بعض مساحيق النضارة لوجهها.. دون أن تسألها ما سبب هذا الإرهاق الشديد. هاتفها جود، عندما كانت في غرفة المساج دون أن تسمع صوتَ هاتفها وعند انتهائها، رأت اسمه فقفزت فرحاً.. هاتفته ولم تصدّق أنها ستحدّثه..

- ألو جود، أيها الأبله.. ما هذه التصرفات الصبيانية التي تقوم بها؟..

ضحك بصوتٍ عالٍ، وقال: حبيبتي، لقد كان لديّ حفلة ولم أستطع أن أترك هاتفي معي.. فتركته في سيارتي، وعند انتهائي من الحفلة وجدت الشحن منتهياً.. ولم أستطع السهر بتاتاً، فقد نمت في ملابسي..

فما كان منها إلا أن تعتذر..

اطمأنّ إليها وأخبرته بجدولها اليومي، وطلبت منه أن يهتمّ بنفسه جيداً وأن يهاتفها كلّما استطاع، أغلقَ الهاتف.. لم يذكر لها أيّ شيء عن ليلة الأمس.. لم يعبّر عن شوقه لها بطريقة عنيفة كما العادة.. استاءت لين جدّاً من نفسها، وتمنت لو أن ما حصل لم يحصل بتاتاً.. فقد بدأت تشعر أن جود بات يتهرّب منها..

وتحديداً إنها تعلم أنه لا يودّ الارتباط كما أخبرها.. بدأت تسأل نفسها عن سبب حماقتها، وتفكر جيداً في علاقتها به، وإلى أين ستصل!! وهل هو يحبها حقاً، أو أن شخصاً مشهوراً مثله

سيحب كلّ امرأة جميلة تصادفه.. ولن ترسو سفنُه على أيّ مرفأ، كي لا يقتل شهرته بالارتباط.. مرّ اليوم وقد كانت لين عروس الحفلة أمام حشد كبير من الحضور والأميرات، وبعض الممثلات والشخصيات الشهيرة... كانت فاتنة جدّاً، بثوب زفاف أبيض مرصع بالماس من تصميم ريم.

عادت لين إلى المنزل، وحينما كانت جالسة مع والدها رنّ جرس الرسالة في هاتفها.. قال لها من؟، أجابته قبل أن ترى اسم المرسل، إنها السيدة الريم.. سأقوم كي أنام، تصبح على خير.. دخلت حجرتها ونظرت إلى الرسالة وإذ بها تقرأ اسم جود.. فتحتها فوجدت مقطعاً صوتيّاً يغني لها به جود أغنية محمد عبدو «ما عاد بدري»، وحينما ظهر له من خلال الواتس آب أنها قد استمعت إلى المقطوعة الغنائية، أرسل إليها كلمات كتبها عندما شعر أنها مستاءةٌ منه قائلاً لها: أنا لا أحبك فقط، ولا أشتاق إليك فقط... كلّ ما فيكِ تعلّق بي، كأنك غرستِ جذوركِ هنا.. أعلم أنّي غبت عنك مدّة صغيرة ولكنها تساوي عمراً في شريعة الحب، أشتهي أن تعانقيني.. أودّ لو أعود لأكتشف قيمة حواسي مرة أخرى معك.. «امرأتي» أمام حسنك وجمالك لا تعبير يوفيك حقّك.. أتعلمين أن أكثر ما أشعر به معكِ هو الخوف.. أجل أخاف أن أفتقدكِ، أن أنام وأصحو ولا أراك بقربي.. أن لا تهاتفيني يوماً، وأن لا تعانقيني يوماً.. يقال إن المجنون لا يعرف أحداً حتى أقرب الناس إليه إلا أنا.. أول مجنون يعرفكِ أكثر من معرفة عاقل.. يبدو

أنني مصاب بالهوس معكِ بأقصى مراحل الجنون معكِ يا حبيبتي أعيش، وأحبكِ كثيراً.

فرحت لين، وبدأت ترقص في أرجاء حجرتها بكل سعادة.. لم تكن تودّ الردّ عليه، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من محاورته وسماع ردوده.. فعاتبته قليلاً بطريقة عفوية، كي لا تفسد على روحها لحظات السعادة التي تعيش بها.. وسألته متى ستأتي! أنا مستاءة بغيابك..

- لن يطول غيابي يا حبيبتي، وسنلتقي بموعد حبٍّ جديد..

- أتوق إلى لقياك يا جود، وقلبي مشتعلٌ بالشوق..

- سآتي يا حبيبتي خلال أيام قليلة.

نامت لين على أغنيات جود، فقد رسم لها قصيدة بصوته.. نامت والبسمة فوق ثغرها، وقد سقط الهاتف بجانبها سهواً دون أن تشعر بغفوة عينيها.. أفاقت لين دون أن تجد أي اتصالٍ من جود.. هاتفته دون ردّ، غسلت وجهها وجهزت نفسها للذهاب إلى عملها وقد حضّرت كوب النسكافيه الخاص بها.. جلست مع والديها ريثما يأتي السائق كي تذهب إلى العمل.. فقال لها والدها، إن جارنا أبا سامر سيزورنا خلال الأسبوعين القادمين، لأن ولده المغترب في كندا سيأتي، ويودّ أن يكمل نصف دينه.. وقد طلب مني أن يراك، علّ وعسى أن يتمّ النصيب بينكما.. فهو يعمل طبيباً جراحاً هناك وله اسمه، وهو مرتاح ماديّاً ويملك منزلين.. رفضت لين طلب أبيها قائلةً: لا أودّ أن أتزوج زواجاً تقليديّاً يا أبي..

فردّ عليها بغضب: اخرسي يا فتاة، لا يحقّ لك أن تعترضي على قراراتي.. ماذا ترغبين حضرتك، أن تتزوجي عن حب!! أتظنين أنني سأفتح لك باب العاشق والمعشوق..

فلتعلمي أني سأقفل كلّ أبواب الحياة عليكِ، إن علمت أنك تفكرين مجرد التفكير بأن تقيمي أيّ علاقة حب دون أن أعلم.. رنّ هاتفها، وإذ به السائق قد أتى.. فقالت له: عليّ أن أذهب وعليك ألا تقلق فأنا لا أفكر في الزواج بالأساس.. كي أفكر في الحب يا أبي، أراكما في المساء.. إلى اللقاء.

ذهبت لين والحزن يعتريها بسبب تفكير والدها.. لكن كان عليها أن تجهز نفسها في السيارة قبل أن تصل، وتضع المساحيق على وجهها والأقراط في أذنيها والطلاء على أظفارها، كي لا تظن صديقاتها أن عائلتها لا تقبل وضع هذه التفاصيل.. لذا، تكره أن تصل وتضعها أمامهن كي لا يشكُكْن في أمرها.. مرّت ثلاثة أيام دون أيّ اتصال من جود، باتت لين قلقة جدّاً وتفكر بينها وبين ذاتها أنه لم يعد يودّ وصالها بعد أن سمحت له بالوصل وتقطيع الحبل... وفي المساء كان والدها نائماً، وأمها مستيقظة تقرأ كتاباً لغادة السمان يحمل عنوان «الحب والسلام» أعلنت عليك الحب «دخلت لين عليها حزينة وملامحها شاحبة.. سألتها مريم: ما بك يا ابنتي؟.. قالت لها: أحتاج أن أنام نوماً عميقاً يا أمي، إني متعبة جدّاً.. كانت مريم تشعر بوجع لين، لكنها ما كانت تستطيع تحديد

مصدره، وبقيت تفكر طوال الليل فيها وتحاول أن تخمّن السبب الحقيقي لأوجاعها، لكن دون جدوى..

في الصباح، ذهبت لين من المنزل دون أن تنطق بحرف واحد.. مارست يومها كالمعتاد، وقد زارتها بعض المعجبات وجلبن بعض الهدايا لها.. سعدت قليلاً إلا أن سعادتها كانت ناقصة.. وبعد يوم من العمل الشاق، رنّ هاتفها.. إنه جود، لم تتوقع بتاتاً أنه سيقوم بمهاتفتها مجدّداً.. ظنّاً منها أنه قد أخذ ما شاء منها ورحل... لكنه اعتذر منها بشدة بسبب غيابه.. فقد تعرّض لحادث سير، وأصيب من خلاله ببعض الرضوض التي ألزمته أن يقضي تلك الأيام السابقة في المستشفى.. لقد صدّقته بكلّ غباوة، دون أن تتثبت من صدق كلامه.. وبدأ الدمع يُغرقها وحرقة القلب تتملّكها.. كانت تشعر بكذبه، إلا أن حبه يتملكها.. ففي قانون الحب نحبّهم رغم أن كل ما بهم يوجعنا، يتعمّدون جرحنا، ويتفنّنون في قتلنا.. يكسروننا المرة تلو الأخرى، يختلق القلب لهم أعذاراً.. كي يبقوا داخل بؤرة الروح، لا ننام إذا مرضوا.. نصوم عن الدنيا إذا هم اشتكوا هماً، وفي المقابل يتلذّذون بتعذيبنا، لأنهم على يقينٍ بأنهم أخذوا مقعدهم بلا مقابل.. يلوموننا على تفاصيل غفرناها لهم حينما صدرت منهم، أما هم فلديهم كرامة وعزة نفس تنسيهم ذاك القلب الذي احتواهم وغفر زلاتهم وقلة اهتماماتهم، عظّم الله أجرك أيها القلب وعوّضك خيراً بأناسٍ يستحقون صدق نبضاتك.. هي كلماتٌ تأثيرها أقل وطأة على من عاش تفاصيل

أحرفها، وتذوق مرارة جرحها.. استمر يوم لين بشكل كئيب، رغم أنها تعلم بكذبة جود.. فهي تستطيع جيداً التمييز بين صدقه وكذبه.. ومنذ بداية لقائهما، كانت متيقنة أنه لن يكون لها وفيّاً.. وأنه سيغدر بها في يومٍ من الأيام، لكنها تحبه وتحب قربه، وهذا ما يمنعها أن تعترف له بما تشعر.. هاتفها بعد يومين وطلب لقاءها، لأنه سيأتي إلى المنطقة التي تمكث فيها ثلاثة أيام فقط، ومن ثم سيسافر إلى جدة في عمل.. جهزت لين نفسها، مستعدة لليلة حب كما وعدها.. ومن ثم هاتفته قبل موعدهما، كي تتثبت من حضوره في المساء.. كي يلتقيا بعد انتهاء عملها، ردّ على هاتفه فنادته باسمه:

- جود... اشتقت إليك وأشعر أني بحاجة ماسة إليك، هل سنلتقي اليوم أو أن هناك أمراً سيمنع لقيانا!!
- بالطبع سأراكِ، فأنا أحبك حبّاً لم أشعر به من قبل لأي إنسان.. حبي لك منحرفٌ لكنه يغريني كي أغرق فيه أكثر، دون خوف أو تردّد يا رعشة فؤادي، يا احتياجي.. أنا لا أعرف الحب، لكنني اكتشفته معكِ.
- اليوم يوم إجازة لي في العمل، ولم أخبر والدي كما العادة، كي أكسبه بقربك.
- آه لو تسمعين دقّات قلبي ما تفعل، دقّات قلبي تخوض أقوى معركة في تاريخ الحب.
- أتعلم يا جود، رغم أن هناك الكثير من المعجبات من حولك، لكنني أعلم أنك لي ولكن ليس إلى الأبد.. أعلم

أنك تغني لجمهورك كمهنة أو كحب للموسيقى.. لكني أفتقد الإحساس بالأمان تجاه هذه العلاقة، وتحديداً إنها تعيش بالخفاء وأخشى أن تموت كذلك...

– تعلمين جيداً يا حبيبتي أن النساء في عالمي لا يعنين لي شيئاً، أتدرين لماذا؟ لأني وضعت مقصلة إعدام لشريان قلبي لو دقّ لأخرى سواك... سأعدمه صدقيني.

– لكن، هناك الكثير من الفتيات اللواتي يعشن حياةً طبيعية ويلقن بمستواك المهني.. أما أنا فحياتي لا تؤمن بوجودي، ولا أعلم إن كان لمستقبل علاقتنا نور أم لا..

– أنا لا أبحث عن المستويات، أنا أبحث عنّي ونوركِ أرشدني إليكِ.. لا تجعلي تساؤلاتكِ سوطاً يجلد تفكيركِ أرجوكِ، كل شيء سيكون على ما يرام...

– أحببتك حلماً جميلاً حتى ولو لم يتحقق، عسى أن يأتي يوم ويطرب قلبي بالفرح حينما يتحقق، أنتَ أحلامي وتفكيري وواقعي... لذلك أخاف دوماً أن ترحل، فأنا أتمناك بشدة بكل ما فيَّ.

– إلى أيّ مكان سأرحل!!

– لا أعلم،كلهم يدّعون البقاء وفيما بعد يرحلون.

– إلى عينيكِ الرحيل والمنتهى، وما بين أجفانكِ مستقرّي يا عبقي... أنا خلقت من أجل أن أكسر ظنونكِ، أحطّم

وسوساتكِ.. التي تحاول اغتيال فكركِ وسأبقى أحبك دوماً وإلى الابد.

- جود، عليَّ أن أغلق الهاتف الآن.. فلديّ جلسة تصوير ومن بعدها سأجهز نفسي لألقاك في المساء.. أين تودّ أن نلتقي!!

- حسناً حبيبتي اهتمي بنفسكِ، سنلتقي في الشقة ذاتها.

- حسناً، أنا موافقة.. لكن لا تنسَ أن تجلب معك الغيتار كي تعزف وتغني لي.

- هو موجود هناك، أراكِ في المساء لكن حاولي أن لا تتأخري.

أغلقت لين الهاتف، ومضت وهي في قمة سعادتها.. ترقص، وترقص معها الأرض والسماء وتسير فرحاً. دخلت إلى غرفة التصوير، ومع كل ثوبٍ جديد ترتديه كانت تتمنى أن يراها جود.. وبعد انتهائها، تأنّقت وتجمّلت كأميرة من العصر القديم.. جمالها فاتنٌ، بشكلها الطبيعي.. القليل من المساحيق على وجهها، وثوبها أصفر جذاب يليق بشعرها الزيتوني الذي يمايل على كتفيها بشكل غير اعتيادي..

أما عطرُها فكان من «Lancôme»، اسمه «LA VIE EST BELLE».

يحبه جود بجنون.

سهرة حُب

استقلّت سيارة الأجرة بعد أن ارتدت عباءتها واتجهت إلى شقة جود.. طرقت باب المنزل مرة واثنتين وثلاثاً.. ولكن لا مجيب، بدأ الخوف ينتابها.. خوف من أن يأتي ذلك الجار المزعج، وقلق من تأخّر جود بفتح الباب.. فصرخت بصوت ملتهب، افتح يا جود.. حينئذ انتبه جود وفتح باب المنزل. الأنوارُ مطفأة والشموع مشتعلة، ورائحة الليلك تملأ أرجاء المكان..

قال لها جود: أهلاً بأميرتي الجميلة، تتعمّدين دوماً قتلي بسحر عطركِ وحضوركِ كما العاده.. ادخلي وتصرّفي وكأنكِ في منزلكِ حبيبتي واخلعي عباءتكِ واجلسي.. قولي لي ما تودّين أن تشربي كي أجلبه لكِ.. ومن ثم سأحضر لكِ العشاء.. ههههه أنا اليوم طبّاخكِ، لم أعدّ العشاء يوماً لأحد سواكِ أتدرين، جاري المزعج الذي حدثتكِ عنه؟ ما به! عندما سهرنا قبل أسبوع أنا وأنت، أخبرني أن صوت الموسيقى كان عالياً وسمع صرخاتي بحبك...

ضحك بشدة قائلاً:

– اليوم شاهدته ألقى التحية عليّ..

- جارك الفلسطيني، ذاك الرجل الخمسيني.. أليس كذلك!!

- أجل أجل هو.. التقينا اليوم مجدداً، ألقى التحية عليّ وتحدثنا قليلاً...

- ألم يتذمر؟

- أنا أكرهه، أشعر أنه يعمل جاسوساً للهيئة، ههههه..

ههههه لا لا فهو أبسط مما تظنين به، تأسفت له وأخبرته بأني أحب أن التقي بحبيبتي ونستمع إلى الاغاني معاً بين الحين والآخر.. وبدأ يحدثني عندما كان في مثل عمري، وعمّا كان يفعل وأنه لا يجوز أن التقي بكِ في شقتي ولوحدنا وبدأ يعطيني نصيحة تلوا أخرى.. آآآخ دعيني منه...... سأحدثك عن قصته في وقت لاحق.. لكني طلبت منه ألّا ينزعج إن سمع الصوت عالياً.. لكن بعد ودّ قال لي: «خذ راحتك»..

كانت سهرتهما رائعة للغاية.. فقد تناول العشاء معاً وعزف لها على الغيتار وبقى يتغزل بها وهي تلقي على مسامعه أجمل الاشعار، إلى ان اقترب موعد عودة لين إلى منزلها، إلّا أنها، وبعد تلك الليلة، زاد شغفها بطرح السؤال الذي يدور في ذهنها كي يكون على أرض الواقع وأمام مسمع جود مهما كان رده فقالت: لمَ لا نتزوج ألا يحقّ لنا ذلك؟

- أفكر في هذا الموضوع جدياً..

- حقاً، متى؟!!

- لندعه حتى يحين وقته..

- أتمنى أن يحين عما قريب وألا يتأخر.
- حتى لو كان آخر يوم في حياتي.. فلن أرغب في غيرك، ولا أريد امرأة تملأ أركان حياتي سواك...
- عليك أن تفاتح أمك في موضوع ارتباطنا، فأنا لا أودّ الابتعاد عنك بعد اليوم..
- أتمنى أن تحبكِ أمي، لكن شرط ألا يكون أكثر من حبي لك هههه.
- هههههه، أيعقل أن يحبني أحد أكثر منك!
- لا أعتقد.
- لكن هل عندك شكٌّ في عدم قبول والدتك بي!!
- ما دمت أقبلك هذا يكفي، لا أظن أن هناك أمّاً تقبل أن تقتل سعادة ابنها.
- أتمنى ذلك «فأنا أحبك جدّاً».. ذهبت لين على أمل أن يفعل لأجلها أي شيء كي تكون علاقتهما بالحلال.. و كي لا يبقيا مختبئين خلف جدران تلك الشقة خوفاً من أن يراهما أحد.. فجود يخشى أن يره أحد معها في الخارج.. بسبب عدم معرفة أهله بوجودها حتى الآن.

نزوة جنون

يسألونني عنك دوماً.. من أنت!

قارة في خريطة معقدة.. ذاتي تبحث عنك

أفضلك على جميع الرجال أمام الخلق

أفصلك تفاصيل ترضي ذائقتي بالعشق

أي صباح ذاك الذي جاء يحمل عينيك!

ويرمي بهما في قاع أفكاري

أنا لا أستلذ طعم يومي ونهاري

دون أن يجتاز خيال أنفاسك معبر فؤادي

فصباح به أنت، كفنجان قهوة

أنتظر موعد شربه، ليوقف اضطراباتي

أراك بطلَ جميع الروايات

وحينما أحتضنك.. أشعر وكأني

كنت أنتظر هذا العناق

منذ الصغر، كي تتلون به حياتي

دع الأقلام والكتب

وارسم على جسدي تفاصيل

واكتب على ممر ما بين الثديين قصصاً
نسي نزار أن يكتبها ويحكيها
في الأشعار
أحبك واثق الخطى بجانبي
أمنحك القوة، وتردعني من الانكسار
أي عذاب أشهى من ذاك العذاب!
حينما تنتصر شفتاك على كلي
حتى أنهما تتغلغلان في الأنفاس
تسرقانني دوماً إلى قمة السماء
تهديان لي ورداً
وترميان همومي نحو الجنون
هناك حيث يحسب العاقل مجنون
والمجنون أعقل العاقلين
والكل به مفتون
مجنون..
ولديك لدغة انفعال تجعلني أدور
حول نفسي ولا أرى سواك
تبتسم لي وبعينيك تنظر
وكأنني الحلم الموعود المنتظر

***

أتقولين إني مجنون!؟
بكِ العقل وأنا المجنون
أحترق بين جمركِ
وأستعد دوماً لمعركتي- في أرضكِ
لأسمع صرخات انهزامكِ
وقمة انتصاري في لحظة
تقلب موازين الأرض به
حينما تشرق الشمس من جبل نهديكِ
وتثور جيوش انفعالاتي بين يديكِ
خطركِ خطر وأنا للخطر متأهب
عيناكِ
ياويلتاه منهما!
أرى انشقاق الأرض بينهما
قمر أنتِ يسكن واقعي
حضري لي القهوة الآن
فحين تسكبينها من يديكِ
يزيد اضطرابي..
لأغفو كالطفل في أحضانكِ
وأطلب منكِ أن تغني لي
أغاني تشعرني بالسكينة معك
ارقصي أمامي

فأنا أحب تمايل خصرك

واشتداد قامتكِ، إغراء مفاتنكِ

وزدياة أنوثتكِ تزلزل الأرض

تحت قدميكِ وأنت ترقصين

أحب خلخالكِ وهو غاضب

فكم أود حينئذ لو بيدي تسقطين!

لإطفاء غضبك وإطفاء حرقي

في آنٍ

في شعركِ خصلات

تمنت خيوط الشمس أن تتجدل بها

فكم أنتِ رائعة! مدهشة!

تملكين بي أموراً لم تمتلكها قبلك امرأة

ولم تملكها بعدك أي أنثى ستجرؤ أن تقول

عن نفسها امرأة بحياتي من بعدكِ.

***

عادت لين إلى المنزل وهي قلقة جدّاً من ردّة فعل والدتها وتوبيخ والدها إن لم ينم.. كانت مريم تشعر بأمر غير اعتياديّ وتحسّ أن لين تخفي أمراً ما، كما أنها كانت قلقة جدّاً من الجرأة التي قد قلبت حالها، فتحت باب المنزل ودخلت لترى أمها جالسة على الكنبة في الصالة.. سألتها، أين كنتِ إلى الآن؟ وأتمنى أن لا تكذبي عليّ..

أكذب، لا يا أمي.. كنت في عملي وقد أضيف مبلغ من المال على راتبي بسبب وقتي الإضافي.. ردّت عليها بانفعال: افهمي يا لين، المال ليس كل شيء، هناك أمور أهم.. وأهمها رضا الإنسان عن أفعاله وذاته..

لا تقلقي يا أمي، كل الأمور التي تحدث معي جيدة جدّاً.. وعليّ الآن أن أخلد إلى النوم، كي أستيقظ في الصباح الباكر، كي لا أتأخر عن دوامي.. شعرت مريم بالريبة تجاهها وقلة الطمأنينة.. لكنها لم تشأ الخوض معها أكثر وقالت لها: هيا اذهبي ولنا حديثٌ آخر فيما بعد.. تصبحين على خير.

- وأنتِ بألف خير يا أمي..

دخلت لين غرفتها واستبدلت ملابسها، وبدأت تفكر في جود

وفي شكوك والدتها التي استفزت سكينتها.. نامت دون أن تهاتف جود المسكين، الذي غفت عيناه وهو ينتظرها كي يطمئن إليها.. وفي الصباح الباكر اتجهت لين إلى عملها، واستيقظ جود ليجد نفسه مستلقياً دون أن يشعر على الكنبة الصغيرة.. تذكر أن لين أرادت أن تنام في المساء على صوته.. لكنه نام دون صوتها، وبدأ يقول: من المؤلم أن أنام وأصحو ولا أجدكِ بقربي يا لين.. شعور مزعج أبدأ به صباحي.. سأعود وأحتضن الوسادة التي تنبعث منها رائحة أنوثتك وأتخيّلها أنتِ ياحبيبتي.. نوم عميق، كم أفتقدكِ يا لين، رغم أنك تحتلّين كل أجزاء حياتي ووقتي... وفجأة سمع جود صوت الباب يدقّ بلا توقف.. فسأل من في الباب؟ وإذ بصوت يقول: افتح أنا جارك العم مازن، تنهّد جود وقال: آه، ما الذي أتى به الآن... كما العادة سيجلس يثرثر أمامي ويلقي على مسمعي دروس احترام الجار..

- أهلاً يا عم تفضل، أووه نسيت أن الشقة مبعثرة، تفضل تفضل.. دقيقة وأعود إليك.
- انتظرني يا عم..

لمح جود ورقة على المنضدة قرب الغيتار، كتبت فيها لين: «أحبك يا جود»...

قبّل الورقة وشمّها وضمّها وقرأها غير مرة بصوت مسموع، إلى درجة أنه نسي العم مازن.. لملم جود نفسه ورتب أشياءه ومن ثم عاد إلى العم مازن.. تفضل يا عم، أهلاً بك..

- شكراً يا جود، هل أنت على ما يرام؟.. أنا!! أجل، أجل وهل هناك شيء يوضح غير ذلك!!

لكنني متعب قليلاً، وكنت غارقاً في النوم.. تعلم يا عم أن العمل طويل جدّاً وشاق، والإرهاق يغزو جسدي من كل صوب...

- أجل يا جود وصوت الموسيقى الصاخبة أمس أيضاً يتعبك.. حتى أنني أظن أنك لم تذهب إلى عملك اليوم..

- أجل، لم أذهب مزاجي سيئ بعض الشيء..

- لا أودّ أن آخذ من وقتك، جئت لك بطلب وأتمنى أن تساعدني..

- حسناً، تفضل كيف بإمكاني مساعدتك؟..

- أنت تعلم أني رجل مسن، وأعيش أنا وزوجتي المريضة من راتبها التقاعدي..

فأنا لا أملك شيئاً، مهنتي كانت حرفية والراتب يكفي لأجور السكن والبيت «يعني حالتنا مستورة والحمد لله».. لكن زوجتي مريضة وعلاجها يكلّف الكثير، وأنا ليس لديّ أحد هنا يساعدني غيرك.. لو كان بالإمكان أن تسلّفني مبلغاً لعلاجها، فأنا أخاف أن أخسرها..

أخاف أن تتحول حياتي إلى الجحيم بدونها، فهي من رسمت البسمة في حياتي وصبرت وضحّت بالأمومة من أجل حبي.. لا أريد أن أخسرها يا جود، حتى لو كلّفني الأمر حياتي..

انتابت جود حالة من الشرود وراح يقول في نفسه: يا لين،

هل سأخسرك يوماً ما!!... كيف سأصبح دونك! كيف سأمسي دون أن أراك وأعانقك..آه مستعدٌّ أن أفارق العالم كله وأربح قربكِ يا فاتنة القلب.. ثم استدرك.. وخاطب العم قائلاً: حسناً يا عم مازن، أرجوك لا تبكِ.. سأحضر لك عصيراً ولن تكون إلا راضياً..

- شكراً يا جود، كلّ الطرق أمامي مغلقة.. لم أجد سواك أشكو إليه همّي، وأطلب منه المساعدة..
- لا تهتم بشيء، أنا سأعطيك ما تطلبه... الأهم أن تستعيد زوجتك قواها وأن تعيشا براحة وسلام دائماً.. نهض العم مازن وقبّل رأس جود، ورفع يديه إلى السماء يدعو له... وجذب انتباه جود حين قال: «لا حرمك الله قلباً أحببته» عاد جود إلى الشرود مجدداً:

آه يا لين، آه يا لين... آمين.. آمين، ثم أعطاه المبلغ، وقال له.. لا تهتم ولا تفكر متى سترده، الأهم أن تعتني بزوجتك وأن تشفى.. شكره وانصرف.

آه.. أحسّ أن جسدي متعب، وآثار النوم تسيطر عليّ، ولا حلّ سوى بحمام دافئ وقهوة.. بعد الاستحمام دخل المطبخ، نظر إلى العشاء الذي نسيه أمس وابتسم بسمة ملغومة.. حضّر كوب قهوة وجلس في الصالة.. شاهد الموبايل، فإذا بأكثر من تسعين مكالمة في الواردات، وأكثر من عشرين رسالة... لكن لم تكن واحدة منها من لين..

آلام لين

بدأت لين تشعر بتعب شديد، وإرهاق مفاجئ وغثيان.. حاولت أن تستجمع قواها كي لا تفكر في ما يجول بخاطرها من أفكار.. سألت نفسها: أيعقل أن أكون حاملاً؟ من المحال يا إلهي يا إلهي.. أكملت يومها متناسية ما كان يجول بخاطرها، ظنّاً منها أنها مرهقة من العمل والتفكير.. ولأنها خلال الأيام السابقة لم تأكل بشكل جيد، وفي المساء عادت إلى المنزل وهاتفت جود بكلّ شوق... هي لم تعد تقوى على بعاده مهما تمرّد عقلها عليها، فقلبُها مولع به بشكل كبير.. ومرّ أسبوعان بشكل روتينيّ، لا جديد بهما يذكر، إلا أمرٌ واحدٌ فقط.. لقد جاء سامر من غربته كي يرى لين، التي حدثه والده عنها.

رفضت لين أن تلتقيه، لكن والدتها قامت بإقناعها، وعليها أن لا تغضب والدها.. وإن لم يناسبها سامر فستقف إلى جانبها مهما كان قرار والدها.. دخلت لين لترى الخاطب الجديد.. لقد كانت فاتنةً رغم بساطتها، ترتدي حجابها، ووجهها منير كالبدر بلا مساحيق ودون أيّ عطر مثير.. لكن ملامحها وعينيها الرماديتين كانتا كفيلتين أن تسرق قلب سامر وعينيه.. قدمت له القهوة وجلست بعيداً منه، لكنه لم يستطع أن يحول عينيه عنها.. حاول

أن يحاورها، لكنها كانت تخشى أن تردّ بأيّ ردّ لا يرضي والدها.. فقد كانت الإشارات كفيلة بالردّ، مع القليل من الردود الخفيفة.. كان والد لين متفاعلاً بشكل شديد مع فكرة ارتباطهما، إلا أن لين لم تكن تفكر سوى في موعد رحيل سامر ووالده من منزلهم.. ورحلا على أمل أن يقوموا بزيارتهم خلال اليومين القادمين قبل موعد سفر سامر، لعلّ النصيب يتمّ وتسافر معه بعد أن يرتبطا.. بدأ والد لين يحاورها ويجبرها على قرار الارتباط... إلا أنها لم تقبل أن تخضع بتاتاً.. وفي حوار طال ساعات، قالت مريم: لا أظنّ أنه مناسب.. فردّ عليها أحمد «لا تكبري راس البنت يا مرا» أجابته بكلّ هدوء وثقة: أنا أخبرك بما أشعر به، فهو مغترب ولا بد أن عقليّته وثقافته مختلفتان عمّا نحن عليه..

قل لي يا أبا بدر، حدثني بالعقل، لأحدثك بالمنطق.. أين سنعيش إن تزوجت لين وسافرت؟ صمت الأب قليلاً، ومن ثم قال: هنا.. سأطلب من سامر أن يعيننا بالسكن، فقالت له: السكن! حسناً، طعامنا، شرابنا، مصروفنا الصحي، إقامتنا.. كلّ هذه الأمور من سيقوم بتوفيرها لنا أيضاً سامر!! فتعجّب الأب، لأن كلام مريم لم يخطر بباله بتاتاً.. هو يعلم أن سامر يملك الكثير من المال، لكنه لم يدرك أنه سيتزوج ابنتهما لا البنت وأهلها.. فردّ قائلاً: معكِ كل الحق يا مريم، فقد كان همي الوحيد أن تتزوج لين، لكن نفسي قد سهت وتجاهلت هذه الأمور.. سأعتذر منه غداً وأخبره أن الفتاةَ ملتزمة بعقد عمل ولا يمكنها الارتباط حاليّاً أو السفر..

ارتاح قلب لين، وحينئذ تيقّنت أن لها سنداً في الحياة.. جباراً وقويّاً كأمها.. دخلت وأخبرت جود بما حدث ففرح، لكن ليس بالشكل الطبيعي لحجم الفرح المتوقع.. كانت لين تتجاهل قلة اهتمام جود بالتفاصيل التي تمرّ بها.. لكنها باتت تشعر أن غيابها كحضورها بالنسبة إلى جود، وقد بات الشعور داخلها يزداد شيئاً فشيئاً، هل صار وجودُها أمراً ثقيلاً على قلب من أحبه قلبها... ما أصعبه من شعور وما أقساه.. «تملك الأنثى العالم كله حين تحب، لكن نهايتها تكون حتمية إن غدر بها أو خانها». أيعقل أنه لم يشعر بها ولم يثمل من نبضات قلبها.. تُرى كان صادقاً حين صارحها بجنونه بها!! طلبت منه أن يحدث والدته عنها، ويخبرها بعلاقتهما، صمت جود ومن ثم قال لها: لين، لقد أخبرتك منذ البداية أنه لن يربطنا حاليّاً ارتباط رسميّ.. ما عادت تستطيع لين لملمةَ نفسها، فقد كانت تعتقد أن هذا الكلام قد كان قبل أن يحصل بينهما ما حصل.. فقالت له: كيف لك أن تخبرني بأمر كهذا، إنك جبان جدّاً... فقال: لا يا لين لست كذلك، إنني أحبكِ ولا أودّ جرحك.. فوالدتي تودّ أن أرتبط بميرنا، ابنة خالتي، لأن والديها قد توفيا جراء حادث سير وقد بقيت وحيدة دون عون لها.. صرخت لين في وجهه قائلةً: لا حقّ لها بك، أنا فقط من أملك كلّ الحق بك... إنك تتوهم هل ستتزوج زواجاً تقليديّاً!..

فردّ قائلاً: حتى لو لم أتزوجها يا لين.. فلن أستطيع الزواج بك!!

تعجّبت، صُدمت، تجمّدت.. كان خبراً بحجم الصاعقة ثم قالت: لماذا!!

فردّ بكلّ خجل: لأن الفوارق الاجتماعية بيننا كبيرة، ولأن ثقافتي تفوق ثقافتكِ.. فعائلتي متمسكة بهذه التفاصيل، ومن المؤكد أنهم لن يقبلوا بتاتاً أن أرتبط بعارضة أزياء صورها تشغل أغلفة المجلات.

أصيبت لين بنوبة من الصمت حينئذ ولم تنبس ببنت شفة.. ثم سألت ذاتها: هل كان حبي له حبّاً غير واقعي!! أم أن الإنسان حينما يعشق يخرج عن حدود الواقع إلى منحدر الهذيان!! لكن الواقع الحالي أن الحب وهمٌ كبير.. عشّاقه يعيشون العذاب، يعيشون خدعةً لا واقعية في واقعٍ وهميّ، كي يوهموا أنفسهم أنهم موجودون أحياء وعاشقون... وهم ليسوا سوى حفنة موهومين بحبٍّ يسرق الراحة والسعادة والنوم منهم... هذا جنونٌ، هذا جنون!! وبعد صمت دام ساعة كاملة.. قالت له لين: فلتعتبر أننا لمْ نلتقِ يوماً.. أعانك الله على جبن يسكنك وقلة إيمان تتملّكك.. لم أظنّ يوماً أن صورتي رخيصة بهذا الشكل عندك.. ارحل حيثما تشأ ولتتزوج بمن تشاء.. لكن إياك أن تعود وقتما تشاء، لأنني حينئذ لن أترك لك أيّ فرصة للاعتذار.. وسأقتلك يا جود، أسمعت سأقتلك!

افترقا حسب رغبة لين طبعاً، مع العلم أن جود لم يمانع حصول ذلك الفراق.. مرّت أيام عدة ولم يحادثها ولم تؤثّر فيه

تلك اللحظات ولا ذاك الحبّ الكبير.. وقد كتبت له في مدوّنة هاتفها بعض الكلمات..

بدأتها بأغنية فيروز:

«موعدنا بكرا وشو تأخر بكرا.. قولك مش جاي حبيبي، عم شوفك بالساعة بتكّات الساعة من المدى جاي حبيبي».

ثم كتبت..

«أحبه، وبيني وبينه ألفُ موعد حب... يحاربه ترليون موعد فراق ومفرق عتاب، ولحظة نسيان، وسقف من الكبرياء... أحبه، وبيني وبينه ألف قبيلة وطائفة ومذهب... أحبّه، ولا أعلم إن كان يحبني أو أنه رافضٌ لحبي... فحبّه جرمٌ، وقربه إجرام، وبُعدي عنه سيكون بمثابة مجزرة ستزلزل كل أنحاء الكون دون استثناء.. أحبّه، وليتني ما أحببته يوماً ويا ليت حبّه ما كان»...

حاولت أن ترسلها إليه.. لكن كبرياءها كانت تمنعها من الاقتراب مجدداً منه.. وذات صباح أفاقت لين من نومها وهي تشعر بغثيان.. كالذي كانت تشعر به منذ مدة، رغم أنها لم تتناول طعاماً.. وكان يرافقه صداع عجيب.. تذكرت جود وقالت: هل يعقل أن أكون!!

لا لا بالطبع لا، لا بدّ لي أن أتحقق من هذا الأمر كي لا تحلّ عليّ مصيبة ما، بسبب طيشي واستهتاري اللامبالي.. ذهبت إلى الصيدلية المجاورة وطلبت من الصيدلي الموجود كاشف حمل وكانت ملامح الخجل تغطي وجهها، وعلامات الارتباك تكسو

حركتها.. تناولت كاشف الحمل منه وذهبت مسرعةً إلى عملها.. فوجئت الريم بملامح لين الشاحبة، وقد كان الارتباك والخوف ظاهرين بشكل غير طبيعي على وجهها.. سألتها ما خطبكِ يا عزيزتي!!

قالت لها: لا شيء، لكنني أشعر بالقليل من المغص..

- إذاً فلتذهبي إلى دورة المياه..
- هو كذلك.
- ذهبت لين وأغلقت الباب خلفها.. فتحت حقيبتها وهي تنظر خلفها وفوقها وأمامها.. رغم أن الباب مغلق «فالمذنب يشعر أنه مراقب وسينكشف أمره حتى لو أقفل عليه ألف باب».. جربت الكاشف والخوف يملأ صدرها، وما هي إلا لحظات قليلة حتى اكتشفت لين تلك الفاجعة بحقّ نفسها..

ارتسمت على وجهها ملامح الموت، أول طفل لي سأجهضه! تبّاً للعنة حياتي!..

أنا حامل بطفل ليس له ذنب بما اقترفت يداي.. رباه ما هذا العقاب العظيم، إنه لوجع أليم... أنا حامل يا إلهي.. هل أقتل نفسي أو أنحر طفلي؟! أنا حامل، هل الذنب ذنبي أو ذنب حماقاتي التي انحرفتُ أمامها بلا عقل.. من أنا! ما عدت أعرفني، ما عدت أنا.. خرجت لين من دورة المياه، وكانت كمن يمشي وهو فاقد عقله..

كانت تودّ الصراخ، لكن المكان يعجّ بالزبونات اللواتي جئن

من أجل الاطّلاع على أحدث صيحات الموضة.. شاهدتها الريم، وقالت لها: هل ما زال الألم يا لين؟

طأطأت لين رأسها خجلة وقالت: نعم وعليّ أن أرتاح..

طلبت الريم من السائق أن يوصل لين إلى منزلها، وبالفعل غادرت لين مكان عملها.. دخلت المنزل ونظرت إلى عين والدتها، وكان والدها نائماً..

أجهشت بالبكاء، فركضت مريم وعانقتها بكل ما فيها من حب وحنان وسألتها عن سبب بكائها!!

أخبرتها لين بأن صديقتها المقرّبة منها سافرت، ولن يكون بإمكانها رؤيتها بعد الآن.. قامت مريم بتهدئة لين، وممارسة دور الأمومة فلعبت بخصلات شعرها، وقصّت لها قصصاً جميلة أنستها ما بها من وجع.. تمنت لين، لو أنها لم تكبر.. تمنت لو أنها لم تلتقِ قاتل قلبها، وسرعان ما نامت.. بقيت أمها في جوارها إلى أن تحققت من أن ابنتها قد خلدت إلى النوم.. أغلقت باب الغرفة بحذر، كي لا تزعجها.. لكن لين بالأصل لم تنم، كانت تنتظر أن تخرج والدتها كي تستفرد بأفكارها.

فكرت في والدها ماذا سيصيبه لو علم بالأمر... وسينعكس الأمر على والدتها أيضاً، لأنها فرّت مع والدها خطيفة دون موافقة أهلها.. دقّت لين على هاتف جود، لكن سرعان ما أغلقت الهاتف فوراً، ظنّاً منها أنه سيجيبها باستخفاف ويقول لها إن الأمر مضحكٌ

دون أن يصدقها، ويعتقد أنها تقوم بإقناعه بهذه الطريقة كي يعود إليها مجدّداً دون أن يرتبط بابنة خالته...

خضعت لين للأمر الواقع، وأن طفلها لن تكتب له الحياة في مجتمع قاسٍ لن يعرف ما هو شعور الحب، والتنازلات التي نقدمها كي يستمر هذا الحب.. اتخذت لين قرار الإجهاض... خرجت باكراً واشترت دواءً يساعد على عملية الإجهاض، بعدما ظلت طوال الليل مستيقظةً تبحث في المواقع الإلكترونية عن الدواء المناسب للإجهاض... ذهبت إلى الصيدلية واشترته، وصارت تتناول خمس حبات يوميّاً، حسب وصفة الطبيب.. تغيّبت عن العمل عدة أيام بسبب حالتها النفسية، وشعر الجميع بتغيّرها المفاجئ... وفي ذلك اليوم، نامت لين على صوت جود في أغنية من اليوتيوب.. مستذكرةً أيامهما معاً، وتلك الليالي التي جمعتهما.. وكأنها كانت تعلم بأنها ستسمعه للمرة الأخيرة، وسيزول حبّه من قلبها مع زوال آخر شيء يربطهما معاً.

نهضت من نومها، على ألمٍ في أسفل ظهرها وكأن سكيناً تقطّع أوصالها.. نظرت إلى غطاء سريرها والرعب يدبّ في جسدها، لقد سقط جنينكِ يا لين، مات جود مع كلّ قطرة دمٍ نزلت من رحمها.

حاولت أن تزيل آثار الدماء لكن دون جدوى، فسحبت فراش السرير وخبأته تحت سريرها.. ومن ثم أقفلت باب غرفتها ومن بعدها سقطت أرضاً، وانهارت بشكل كلي.. سمعت والدتها بكاءها

واتجهت مسرعةً، فبدأت بطرق الباب عليها.. وحين فتحت لين بابها، سقطت أرضاً، صرخت مريم بصوتٍ ميت، لكن سرعان ما أطبقت لين على فمها قائلة: أتوسل إليك يا أمي.. اخفضي صوتكِ، إني متعبة لا أكثر.. فردّت بكل ما فيها من حسرة ووجع.. كيف وساقاكِ ممتلئتان بالدماء ماذا جرى يا لين.. قالت لها: إنه الحيض يا أمي لا أكثر وقد انهرتُ من كثرة الدماء لا أكثر.. ساعديني كي أقوم وأغتسل دون أن يشعر أبي بهذه الفوضى، فأنا أخجل أن أخبره بذلك..

سألتها مريم، هل هناك أمر لا تودّين الإفصاح عنه يا لين؟ فصمتت لين وقالت في قرارة نفسها، لقد أجهضت توّاً طفلاً لم يكن له ذنب سوى أنني أمه، فلا تفعلي بي ما فعلته بجنيني..

حاولت مريم أن تسحب الكلام من لين، لكن دون جدوى.. رغم أنها شعرت بكل ما أخفته لين عليها من كلمات.. ساعدتها مريم وجلبت لها كل أنواع المأكولات، والشوربة التي يجب على المرأة أخذها بعد الإجهاض.. لم تستطع مريم أن تنطق بحرف واحد، إلا أنها كانت تعاتبها بنظراتها ودموعها... خشيت مريم أن تتفوّه بأيّ كلمة فيسمع بها أحمد.. خشيت أن يقلب منزلهم غير المستقر إلى كهف مظلم، تسكنه أرواح الأشباح.. فاكتفت بالصمت، والاعتناء بها دون أيّ كلمة.. ثم نامت مريم بفراشها مدة أسبوعين وأصابتها حمّى شديدة..

ما كانت لين تستطيع أن تفكر في ما تعلم به والدتها..

فحاولت الاهتمام بها رغم أنها كانت ترفض أيّ اهتمام منها.. أصيبت لين بجروح عميقة في قلبها، وبدأ والدها يشكّ أن هنالك أمراً قد حدث وزعزع استقرار منزلهم.. لكنه لم يدرك ما حجم هذا الأمر.. وبعد أن استعادت لين عافيتها، عادت إلى عملها.. لكن الحرقة كانت كفيلةً بأن تقتلها كلّ يوم ألف مرة، وهي على قيد الحياة.. حاولت بطرائق شتى أن تهاتف جود وتخبره بما حدث لها.. لكنها أبت أن تقترب منه مجدداً، بعد أن دمرها بشكل كلي، ونزع ثقة والدتها بها..

حاول جود بعد شهرٍ كامل من فراقهما أن يهاتف لين أكثر من مرة، لكنها أبت أن تردّ عليه.. وبعد اتصالات عدة قام بمراسلتها طالباً منها أن تردّ عليه، وأن إهمالها له قد دمّر كل ما فيه من حب للحياة فردّت على رسالته قائلة:

أهملتك!! لا والله لمْ أُهملك، لكن إهمالك استفزّني بامتياز.. وجعلني مخلوعةً من أرض هواك ومقتولةً ومطعونةً في كلّ أنحاء كياني.. أعانني الله على فراقك الذي يسير بلؤمٍ في أرصفة جراحي.. أيّها الطفل المدلل، انسحب ولا تقترب... فأنا ما عدتُ أرى قلبك كما كنت أراهُ من قبل..

فردّ عليها فوراً.. لا تحدثيني بهذا اللؤم، فلا ذنبَ لي بما أنا به.. فراقكِ شلّ كل تفكيري، عودي إليّ يا لين.. ومن بعدها هاتفها فوراً.. ردّت عليه وهي متشوّقة إلى سماع صوته رغم كل ما بها من أوجاع، فقالت له:

- أودّ لو تفهمني، لا أن تقمعني..لأجلك استبدلتُ ثوب حياتي كي أكفيك، رغم أني اكتفيت بك كما أنت.. أتعلم ما يؤلمني بعلاقتي بك... تلك الفوارق التي ترسمها ريشة كبريائك، تقتلني ويا ليتها تأتي دون قصدٍ منك.. المصيبة، أنك تتعمّد كسري، وترغب دوماً في التقليل من شأني ومن ثقتي بذاتي كي ترضي غرورك..كي لا تشعرني أنني من مستواك الاجتماعي.. يا ليتك أحببتني بلا عقدٍ، ليتك أحببتني كما أستحق الحب منك..
- أنا! لا تظلميني يا لين.
- ينتابني شعورٌ سيئ وقبيح جدّاً في بعض الأحيان، إنك شخص لا يحمل بداخله كيان إنسان.. تحب نفسك كما لو أنك سلطان.. هل حاولت أن تراني على هيئة ملاك!! هل فكرت فيّ على أني إنسانة، ولي من الإحساس نصيب؟ أراك ولا تراني، لا تشعر بي بتاتاً... تقول لي أحبكِ بلا أي إحساس... أنا محبطةٌ منك جدّاً، وجعي منك سبّب لي أكبر انكساراتي..
- لين.
- اصمت يا جود.. لا أرغب أن أسمع منك تبريرات، فوجعي منك أشدّ من حرارة جهنم ولا يوصف بالكلمات... الإنسان يصنع من نفسه عبداً للعبيد أحياناً، لكن نفسي أغلى

من أن تكون أمة لغير الله.. نعم أتّهمك، أنت أمامِ الله بكل أوجاعي، ولن أسامحك إلى يوم الدين..

ردّ قائلاً: تفكرين في مدى حقارتي أليس كذلك؟

نعم، أنا حقيرٌ وقذرٌ جدّاً معكِ وأنت ماذا عنكِ، ألستِ مريضة بي!!

- لا لستُ مريضةً بك، بل إني مشوّهة بسببك..

- أعلم أني خذلتكِ، وأني لم أكن رجلاً صالحاً معك وأعلم أن خطاياي أكبرُ من أن تغفر.. لكني لا أستطيع أن أنكر أمراً أساسيّاً، أني حقّاً أحببتك..

- أحببتني!! أي حبٍّ هذا الذي يدفع المحب إلى الإجرام بالحب! أتعتقد حقّاً أنك تملك قلباً يستطيع أن يحب!! لا أتوقع ذلك، لكن عليك أن تعلم أني لن أنكسر بتاتاً، بل سأنكسر من خيبتي بنفسي.. وخيبتي لن تدوم وقتاً طويلاً، سأداويها بإيماني وبُعدي عنك..

تنهّد جود وقال: أين حنانكِ عليّ!!

لمَ تمردت هكذا!! فلتعودي غفوراً ولتشفعي لي أخطائي..

- أترغب بأن أغفر لك!!

- أتمنى ذلك..

- أيّ غفران هذا الذي تطلبه مني.. أنت سترحل وتودّ أن أسامحك وأغفر!! عمّا أغفر لك أخبرني!! عن سلبك قلبي، عن تمزيقك أحلامي، عن شرفي الذي ضاع بين يديك!!

- هناك الكثير من البشر الذين أحبوا أعواماً طويلة ولم يكملوا طريقهم، أما أحلامك فستحققينها دوني... أعلم أنك امرأةٌ قوية، قادرةٌ أن تتغلب على الزمن بعقلها وقدرتها دون رجل غبيّ مثلي... ولو لم تجبرني الظروف أن أرحل فما كنت براحل عنك..

- وشرفي!

- الشرف لم يضع، وعليك أن لا تنسي أنك قد منحتني ما رغبت فيه بإرادتك..

- اصمت، مستوى حقارتك قد تعدّى الحدّ..

لِمَ أحبك قلبي، ما عدت أدري.. أجل، أنت ظلّ رجل غبيّ ولست رجلاً... خنتُ ربّي لأجلك، وأنت لست سوى رجل حقير... خنت عائلتي لأجلك، وحذاؤهم أطهرُ من رأسك لطالما ضعفت روحي أمامك.. دون أن أعلم أنك أضعفُ من الضعف، وحبك معدومٌ ومخلوق من الجهل..

هل تظن أن العالم كلّه يدور حولك؟ تورّطت في خطأ أليم حينما أحببتك، لكنني سأكون سعيدة حينما أكون بعيدة عن طفل مثلك... صدّقني إن خسارتك لي ستكون بمثابة فوز أحقّقه..

فيا أيّها الأبله ما عدتُ أرغب فيك، وإياك ثم إياك أن تحاول أن تقترب من حياتي مجدّداً.. فكلّ ما بي يسير ضدّك.. عروقي ستنفجر بسببك، تضعني دوماً على الهامش في حياتك، وتسأل عني عندما تحلّ عليك المصائب وكأني قسم شرطة وعليّ إنقاذك..

ارحل... ارحل، هيا ترجّل عن حياتي.. ما عدت أرى في علاقتي بك أي أمرٍ مدهش... أريد فقط أن أستعيد كياني، وأكون رائعة كما كنت قبل لقائك..

لم أجنِ من حبك سوى الخوف والكذب على نفسي وإيماني.. فإياك والاقتراب مجدداً من حياتي.. لا حنان صوتك سينقذك ولا حبي لك سيرأف بقلبك.. لن يصعب عليّ نزعك من خلايا قلبي المعنّف.. فليس من الصعب على الأنثى مغادرةُ رجل مثلك وإسقاط روح زرعتها في أحشائها لحظة جنون.. سأنزعك من قلبي بسهولة، وأسير بشكلٍ جديد دون أيّ عثرات من بعدك... فإياك أن تستهين بي، أنا امرأةٌ ذكية للغاية، ولا أودّ أن تتملّكني الحماقة بسبب حبي لك.. أعلم أن نصف النساء يخسرن ذكاءهن حينما يقعن في الحب مع رجل أحمق مثلك.. لكنني سأدعك، وصدّقني ستبحث عنيّ فيما بعد في عيون النساء وأصواتهن، كي تستطيعَ أن تجد واحدة تشبهني.. لكنك لم تجد ولن تجد، لا بذكائي ولا بقدر حبي لك وعمق ارتباطي بك، أيها الغبي الذي أحببت... سأتحدّى كل معاناتي من بعدك، وأتمرّد عليك ولا مانع لدي أن أغرقك في بحر حقدي وأسحب من أعصاب جسدك الطاقة بكلّ برود، وأتركك خلفي وأتجاهلك كما لو أني لم أعرفك، أو لم تكن في الوجود..

ولتعلم أن جنون المرأة لا يتحمّلُه سوى رجل واحد أحبها بقدر مستوى جنونها... لكنك لم تسطع أن تتحمل جنوني وفوضى

ظنوني وخوفي من قيودي... تهابُ أن تسقط، وتزول شهرتك بسبب وجودي!!... لذلك ما عدت أتوقع أننا نستطيع أن نكمل بما بدأنا به.. كنا جميلين معاً، ايييييه... لكني لا أدري لم، لم يتركنا القدر هكذا..

ليتني كنت عيدَك وفرحك، انتماءك وشرفك، عنوان قلبك وهويّتك...

ليتني كنت نورَك وظلّك، قصيدتك المفضلة وغنوةَ صوتك، عينيك وقدرك، ابتسامتك وتاريخ عمرك..

ليتني كنت أنثاك وحدي وأنت لي وحدك، ليتني كنت أنت وأنت أنا..

لو أن صورتك التي تمكث بداخلي الآن قابلةٌ للعناق، لعانقتها عناق القلب للدماء..

و أنام، لأراك حلماً أروع من الخيال... حلماً أشتهي به ضمّك

لكن ويا للأسف.. باتت أحلامي معك أشبه بالعدم... ما عدت أومن بحبك.. وقد بتّ أشعر أني امرأةٌ بلا هدف وبوصلة.

أنسيت ما قلته لي آخر مرة رأيتك: عديني أن لا يفرّقنا شيء، فوعدتك...

قلت حتى الموت؟ قلت نعم... واقترب موتي دون أن تأتي.. فلمَ كل هذا!!

هل تعلم أني أخشى على قلبي منك... عقلي يصدّك دوماً

ويرفضك ويكره غباوتك وغرورك... أعلم كلّ العلم أني لو بقيت بجانبك فستهرم روحي، وسأستيقظ كل صباحٍ دون أن تقول لي:

«صباح الخير يا عمري» أعلم أنك لا تحبني، بل تحب حبي لك وأعلم أيضاً ألا امرأةً في العالم تسطيع أن تتعايش مع حماقة عقلك...

رحلت عنه تاركة معه قلبها الذي سلب منها بسببه وقالت بينها وبين نفسها «يا رباه هل تعاقبني بحبي له».. إن كان حبي عقاباً لي فأشربني سمّ الموت كي أستريح من هذا العقاب.. «فأصعب أنواع الألم أن تتألم بسبب شخص لا يشعر بك وأن يتكلّل أملك بفشل قاتل... أن تمرض دون وجود أحد يسأل عنك.. أن تحبّ شخصاً فيخذلك أو أن تخسرَ حلماً فيكسرك.. فتمرضَ من بعده مرضاً نفسيّاً، يسبّب لك مرضاً في ضغط الدم ومرضاً في الأعصاب، وكلّما ازداد الوجع كرهت كلّ ما أحببت وللحظة واحدة فقط... أدركت أن لا أحدَ يبقى لأحد، جميعهم يرحلون عندما يجدون البديل.. جميعهم ينسون كلّ ما جمعتهم به الأيام من سرور.. أجل لا أحدَ يبقى لأحد، سوى ربّ العباد الذي من المحال أن ينسى أحداً.

أكملت لين حياتها، وحاولت أن تتناسى همومَها وأوجاعها.. عادت إلى عملها، لكن جمالها الطاغي كان قد تشوّه من الداخل.. باتت تعمل بكل نشاط وعفوية، دون حب بداخلها لأي شخص..

فقد استجمعت قواها.. وكتبت في مذكراتها التي كانت تتحدّث من خلالها عن مراحل آلامها معه بعض الكلمات التي

كانت تعبر عنها بعيداً عن الاضطرابات النفسية التي كانت تتلبّسها.. قائلَةً:

سيسألونك عن حماقتك ذات يوم، كيف قبلت رحيلي ورحلت؟ قل لهم إنك أجبنُ من أن تحتفظ بامرأة مثلي، وأقلّ صبراً منها... أخبرهم أنني أحببتك بجنون، وأنك حذفت من قلبي وجه النور... أخبرهم أنني أحببتك كثيراً، وأنك لم تُمارس الحب معي كما يليق بي، وأنك لم ترأف باهتمامي الذي كان يحيط بك بكل حب، وأنك لم تتحمّل جنوني الذي أغرقك في ألوانه العشرة... قل لهم إنني ما كنت أستطيع النوم وأنت بعيدٌ عن فراشي البارد كبعدك... أخبرهم أني كنت أقرأ لك المعوّذات في كل ليلة أشعر بها بخوفي عليك... أخبرهم أني كنت أموتُ ألفَ مرة من دونك، وأنك تعاملني دوماً بخلاف مشاعري الطاهرة... أخبرهم أنه لا يوجد بالكون امرأةٌ أحبتك كما أحببتك، وأن لا امرأة ستحقد عليك كما حقدت أنا... فقد قابلتني بعكس ما منحت، وتجبّرت على قلبي... قل لهم أن لا امرأة من بعدي ستمنحك الحب كما منحتك، لأنني لأجلك تغيّرت وقبلت كل ما فيك، رغم أنه لا يشبه ما بداخلي... قل لهم إنها رحلت وأنا من خسرت، خسرت قلبها الكبير الذي منحني كل الحبّ رغم أني لم أمنحه سوى الجرح... سيسألونك عن حماقتك ذات يوم، قل لهم إنك للحماقة عنوان، وإنها نورٌ لكل كهف، وإنك ما منحتها ربع ما منحتك إياه وقد جاء عليك الدور كي تتعذّب وتشتاق، وتعرف قيمة ما منحتُك إياه بعد فوت الأوان.. لأنها ما عادت ترغب فيك.

لمْ تتوقع ما حدث..

توسّدت لين وسادتها وكعادتها اليومية قبل نومها وهي تخمد جزءاً من شوقها الخيالي إلى جود، حسب اعتقادها، لفتَ انتباهها وميضُ هاتفها مشيراً إلى رسالة واتساب غير مقروءة، فتحت لين هاتفها مسرورةً علّ الرسالة من جود، لكنها فوجئت برقم غريب وصورٍ لم تتمكن من فتحها لرداءة شبكة الاتصالات في منطقتها. وحينما استقرت الشبكة وقامت بتحميل الصور.. فوجئت بصورها في وضعٍ مخلّ بالأخلاق مع جود، بلعت ريقها وتيبّس الكلام في جوفها وشهقت شهقةً قريبة من شهقة الموت.. تمالكت أعصابها برهة وكتبت لمرسلها من أنت!؟

فأجابها..

دعينا من الأسماء، فحتماً سأعطيك اسمي المزور، ناديني إذا شئتِ بـ محمد أو أحمد.

خافت لين حينما سمعت باسم أحمد ظنّاً منها أنه يعرف والدها.. فقالت له: حسناً يا محمد ماذا تريد مقابل الصور!؟ ضحك ضحكةً مكتوبة وصل إيقاع صوتها إلى مسمع لين.. ثم أردف قائلاً: يعجبني ذكاؤك حسناً، لا أريد شيئاً سوى ليلةٍ واحدة

معكِ، شُلّت أصابع لين عن الكتابة ولم يعد بمقدورها التنفّس والكتابة..

ففكرت أن ترسل إليه رسالة صوتية وقالت: اطلب ما شئت عدا هذا الطلب، هل تريد نقوداً..

فردّ قائلاً: أريدكِ أنت فقط، ألم تسمعي، ثمّة دقائق قليلة وأنشر صوركما في كلّ حدبٍ وصوبٍ، ارتعدت لين وفقدت قوة السيطرة على نفسها وقالت له: حسناً وماذا يثبت لي أنك ستصدق بكلامك وتعيد إلي الصور!؟

قال لها: تقصدين الصور ومقاطع الفيديو، وأرسل إليها مقطعاً جعلها لا تفكر في شيء سوى الخضوع لمطالبه..

- حسناً أين سنلتقي!؟

أعطاها العنوان وتواعدا بعد ثلاثة أيام ليلاً. لم تنم لين تلك الليلة وهي ما بين موتٍ وحياة.. تفكر في حالها وتتأسّف على خضوعها واستسلامها، وبدأت تفكر في حلّ كي تتحرّر به من قيدٍ بات كحبل إعدام على رقبتها..

دقّت على هاتف جود ولكنه كان مغلقاً، فلا بدّ أن يكون مسافراً كي يحيي إحدى الحفلات في بلد ما.. تركت له رسالة صوتية بما حدث وأخبرته بالمكان الذي ستلتقي به ذاك الشخص

مرّت الأيام سريعاً وجود لم يستقبل ما أرسلته إليه لين من رسائل واتصالات لا تعد ولا تحصى.. فظنت أنه قد قام بوضع حظر على رقمها، بعد ذلك الحوار الغاضب الذي دار بينهما..

غادرت لين منزلها ليلاً مطأطئةً رأسها وشعور الساقطة لم يفارق خيالها، دقّت باب المنزل الذي أعطاها عنوانه المدعو محمد. فتح الباب شابٌّ في منتصف الثلاثينيات، لم تميز جماله من قبح تصرفه معها.. ادخلي هيا، فقامت لين بإبعاده عنها من رائحته التي تثير الاشمئزاز، فشدّ على يدها ورافقها إلى غرفة تعلو منها أصوات الموسيقى الصاخبة، حاول الاقتراب منها إلا أنها قامت بالابتعاد عنه.. لم تسمح له بالاقتراب منها بتاتاً، كان يتمتمُ بكلمات سوقية..، حاولت بشتّى الطرق أن تجد لها مفرّاً من هذه الورطة التي سقطت فيها.. فوجدت تحفةً معروضة على رفّ الجدار، فأمسكتها وألقت بها فوق رأسه لتجده ساقطاً أرضاً دون وعي..

خشيت لين أن يموت رغم أن الضربة لم تكن قوية، فأعصابها متلفةٌ ولا قوة لديها.. لكن جسده الممتلئ بالكحول أضعفه مع ضربتها وجعله مرمياً فاقد الوعي..

باتت تفكر في حلّ ينقذها من الورطة التي وضعت نفسها فيها، إلا أنها في ذاك الحين لم تفكر سوى في إتلاف الصور ومقاطع الفيديو الموجودة على هاتفه المحمول.. ولحسن حظها أن قفل الهاتف مرهونٌ بخاصية البصمة فاقتربت منه ووضعت إصبعه على الهاتف وإذ به يفتح، استرخت لين قليلاً وبدأت تبحث بسرعة شديدة عن الملف الذي يحوي صورها، وعندما وجدته، قامت بمسح جميع المحتويات الموجودة، ومن بعدها قامت برمي الهاتف على الجدار كي ينكسر.. وإذ بها تسمع صوت الباب يُطرق

بصوت عالٍ جدّاً. هرعت لين وتملّكها الخوف.. خشيت أن تكون الشرطة قد أتت، اقتربت بكل خوف.. تنظر من عين الباب لتجد جود، فتحت الباب فوراً رامية نفسها في أحضانه من شدة الخوف.. قال لها ما بك ولمَ ترتجفين هكذا!؟ هل اقترب منك ذلك الوغد!؟ أين هو أخبريني!؟ فأجابت وهي بدموعها تغرغر.. لا لم يقترب مني بتاتاً، لكنه مرميٌّ هناك في الداخل، أنقذني يا جود.. أنار جود المنزل ويا لهول ما رآه إنه رفيق عمره عمار، ومن شدة صدمته به قام بتوجيه لكمة قاضية على وجهه.. أيقظته من غيبوبته وأغرقته في الوجع.

نظر كلاهما إلى الآخر دون أن يتفوّها بكلمة، وبعد طول النظرات، استجمع جود قواه قائلاً: أنت يا عمار، يا من سهرنا وضحكنا لياليَ معاً، يا من سهرت الليالي من أجلك إذا مرضت لماذا!؟

غرز عمار رأسه داخل يديه وقال له: سامحني يا جود، فأنت كنت أفضل مني في المال وكل شيء وكلّ الفتيات يوددن قربك دون تفكير، لذا زرعت كاميرات في شقتك داخل كل غرفة حينما طلبت مني تجهيزها للقاء حبيبتك، لم أكن أعلم أنها تهمّك إلى هذه الدرجة.. اعتقدت أنها عاهرةٌ ليس إلا، لم أتمالك شهيّتي لها وقمت بتهديدها.

فراح جود يضربه مجدداً وهو يصرخ في وجهه.. أيها النذل أيها الخسيس تهدّد فتاة، سأقوم بتدبير أمرك مهلاً عليّ..

وبدأ يصفعه ويلكمه بقدمه ويصرخ في وجهه: أين الصور أيها المفترس!؟ وبكلّ خوف ردّ عليه عمار إنها في هاتفي، فقالت لين لقد قمت بحذفها وإتلاف الجهاز.. قال جود لعمار: إن علمت مجرد العلم أن هناك أي نسخة إضافية منها فسأقوم بإحراقك وأنت حيّ، أفهمت!؟ تركه جود ملقى على الأرض بسكرته ودمائه وأخذ لين من يدها وهو غاضب جدّاً، استقلا السيارة وبقي صامتاً حتى وصلا إلى منتصف الطريق ومن ثم قال لها: أنت حمقاء أليس كذلك!؟ وأخبرته بما حدث وأنه لم يحدث بينهما ما دار في ذهنه..

لكنه لم يتقبّل أمر ذهابها إليه ولم يستطع إبلاغ الشرطة ولم يستطعْ أن يرأف بحالها، ظل يوبّخها ويضع كل الذنب عليها.. ففي نهاية الأمر هو رجل شرقي، رغم أن الذنبَ ذنبه وما كان للين ذنب بما حدث، غير أنها وثقت به في تلك الليلة دون أن تتوقع حدوث أمرٍ كهذا.

أخذها إلى منزلها وقال لها: هيا انصرفي..

نظرت إليه باستغراب وقالت انصرفي!؟ تقول هذه الكلمة لي!؟

صرخ في وجهها.. اسكتي نعم لك، أكرهكِ لين.. لعن الله ذلك الوقت الذي جمعني بك.. وتجمّدت عينا لين وحواسُّها، نزلت من السيارة وهي في حالة يُرثى لَها، انطلق جود بكل غضب وانفعال ولين بقيت مصدومة مما فعل.. قارب الشهر أن ينتهي دون

أن تجد من جود أي سؤال أو اتصال.. فقررت أن تسكت عن قصة إجهاضها للطفل دون أن تخبر جود بما حصل معها.. كي لا يظن أن طفلها كان من عمار ويشكك فيها، قررت أن تترك له الطريق مفتوحاً كما شاء.. وتمشي في طريقها دون أن تلتفت إليه، فقد زرع بها ألف جرح في أرض مليئة بالشوك وكأنها ما كانت حبيبته وكأنه ما كان كلّ ما تملك وترغب فيه.

«خليتني قوية»

لما بجفاك تمردت عليّ.. خليتني حسك عادي، بعد ما كان حبك بقلبي جنون مش عادي..

خليني أبعد عنك «بلا وجع بلا ولا شي مش متل ما كنت أتخيل أني بحبك بلا ولا شي.. طلع الحب ما بدو شي.. بدو شوية اهتمام، وأنت منو ما عندك شي، حلمت بأشيا أكبر مني ومنك وما لقيتك، بس لقيت الغدر منك، حبيتك وما كان بدّي منك.. إلا أنك تحبّني بعيد عن أي شي.. بس فضلت كل شي وتركتني بحياتك ولا شي».

ميرا وعبد العزيز

كانت لين تجلس مع ميرا في أوقات الفراغ وتتجاذبان أطراف الحديث.. وتشرع ميرا كما العادة في الحديث للين عن حال قلبها، وأنه علّتها الوحيدة في الحياة، فقد وقعت في الحب رغم أنها كانت في السابق أول المعترضين عليه.. وها هي.. تعاني علاقة حب بلا أمل.. تحبّ عبد العزيز ذاك الشاب السعودي..

تعرّفت إليه من خلال عملها، حيث كان يعمل منسقاً لعروض الأزياء.. صادفته غير مرة خلال مزاولتها عملها، لكنهما لم يتحادثا ولم تكن بينهما سوى نظرات العينين.. إلى أن تمّ اختيارها لتكون ضمن العارضات اللاتي سيشاركن في العرض السنوي لمجموعة الريم في دبي مما جعلها تقترب منه أكثر بعد أن سافرا معاً مع بعض الفتيات اللواتي سيشاركن في العرض.. طلب منها عبد العزيز بعد انتهاء العرض أن يجلسا ويتحدثا قليلاً... فانتابها قلق فظيع.. كانت تخشى أن يعاتبها على نظراتها، أو يحاسبها على خطأ ما قد اقترفته أثناء العرض دون أن تدرك...

سألها بكل شفافية: حدثيني عنك يا ميرا..

- قالت له: لم أفهم، ماذا تقصد!!

- أقصد أني معجبٌ بك كثيراً، وأودّ أن أعرفكِ أكثر..

احمرّت وجنتاها، وخجلت... ودقّ قلبها أول دقة حب صادقة، وبدأت تحدثه بكلّ عفوية وتلقائية.

هي أنثى واثقةُ الخُطى، تعلم ما ترغب فيه وما تبغضه.. كانت ترى جنة قلبها بعبد العزيز، إلى أن تطورت علاقتهما وبدأت تخبر لين بكل خطواتها معه.. أما لين فكانت تخشى على قلب ميرا من الضياع باسم الطائفية لكنها لم تشأ أن تعاندها كي لا تشعر أنها تغار منها بعد أن رحل جود بعيداً عنها.. ومرت الأيام، وكانت علاقتهما تتطور أكثر وأكثر.. إلى أن قرر عبد العزيز عرض فكرة الخطبة على ميرا.

وإذ بها تكشف سرّها الذي طالما كانت تخشى أن تبوحَ له به، وأخبرته أنها من طائفة مختلفة عن طائفتها. كانت صدمته واضحة، إلى درجة أنه لم يعد يعي ما عليه أن يفعل.. تركها وسار في طريقه دون أن ينطق بحرفٍ واحد.. انهارت، باتت تتصل به في اليوم آلاف المرات.. دون أن تجد منه استجابة لاتصالاتها أو رسائلها.. ومرت الأيام دون أن تجفّ دموع ميرا، هكذا إلى أن رفعت سماعة الهاتف وسمعت صوته..

هو لم يعترض على طائفتها، كان يودّ أن يعلمها درساً كي لا تكذب..

قال لها: الكذب شيطانُ الحب، وأنتِ ملاك.. لا يجوز لأنثى مثلكِ أن تكذب على رجل عاشق لقلبها مثلي، مهما كانت الأسباب.. هل هناك أي أمر لم تخبريني به غير هذا!!

قالت له: لا، لا والله ليس هناك أيّ شيء سوى أمر واحد..

فسألها ما هو؟!

قالت: إنني أحبك أكثر مما كنت أتصور.. كبر قلبي حبّاً بك يا عبد العزيز..

- وأنا أحبكِ جدّاً.

- لن أرحل عنكِ يا مجنونتي الشقية، سأحدّث والدتي اليوم كي تتقدّم لخطبتك لي يا عروسي الجميلة...

لم تصدق ما حدث.. ذهبت إلى لين والفرحةُ تغمرها..

كانت دقات قلبها تنبض في ملامح عينيها.. وهي تخبرها بكلّ ما حدث معها..

ردّت عليها لين، حسناً، وماذا بعد...

قالت لها: لِمَ السخرية! أتعتقدين أن عبد العزيز سيفعل بي كما فعل بكِ حبيبك الأحمق!!

قالت لها لين: اصمتي ولا تتكلمي عن جود بما لا يعنيك، لأنه نال شرف قلبي، وليس من حقكِ أن تهيني قلبي بهذه الطريقة..

قالت لها ميرا: هو ذهب وتركك دون أن يسأل عن جرحك..

أما عبد العزيز فلم يقدر على فراقي، وعاد لي عاشقاً أكثر مما سبق...

داخل لين وجعٌ لا يعلم به سوى ربّ السماء... ميرا تعيش مع أسرتها حياة سعيدة، بوجه واحد وليس بألف وجه مثل لين..

هي لا تشعر بوجعها لأنها لا تبوح به سوى لرب العالمين.. لكنها رغم كل ذلك كانت تخشى على قلب صديقتها، الذي تعلم سلفاً أنه سيتحطّم حينما تدخل الأمور في محور الجدية وتمضي الأيام دون صدى صوت عبد العزيز.. ما عادت أعصابُ ميرا تتحمل أكثر..

سألتها لين، أخبريني متى ستتمّ الخطبة كي أشتري ثوباً جديداً... ما كانت تعلم ما عليها أن تقول، سوى أن تغيّر الموضوع بحجّة انشغالها بعملها.. هكذا إلى أن جاء عبد العزيز لرؤيتها بعد شهر كامل.. قالت له لِمَ ذهبت ولم تعد؟

- لأنني أضعف من أن أقول لك ما حدث..

- تكلم لا تقف هكذا، ما عاد لدي قلب يتحمّل..

- أمي...

- ما بها!!

فرحت جدّاً حينما قلت لها إني أودّ أن أكمل نصف ديني، لكن حينما علمت أنك لست سعودية، ترددت كثيراً.. لكن بعد أيام طلبت أن تقابلك... هي تخشى مهنتكِ كعارضة أزياء، وتعتقد أن لديكِ علاقات كثيرة مع الرجال.. قلت لها أن تقابلكِ، وبعدها لها أن تقول ما تشاء.. لم تعترض، وسألتني عنكِ، عمركِ.. أين تسكنين وإلى أيّ عائلة تنتمين.. إلى أن وصلت إلى ما كانت تودّ أن تصل إليه، سألت عن طائفتكِ، ما كانت تعتقد أني سأفكر مجرّد

التفكير أن أرتبط بفتاة من طائفة مختلفة عن طائفتنا.. رفضت بشدة وقد حلفت أن تتبرّأ مني إن فكرت في هذا الموضوع، أو فكرت أن أفتحه معها مرة أخرى.. وأنها ستحرمني من الميراث، وتمنع العائلة كلّها من التواصل معي، وأنا ابنها الوحيد.. يا ميرا، أصيب قلبي بإحباطٍ شديدٍ... أرغب فيك، لكن واقعي قد تمرّد عليّ..

- ماذا تقصد بكلامك هذا!! لم أفهم..
- لنفترق خيراً لي ولك، كي لا أخسر كل عائلتي وقبيلتي لأجلكِ..
- أأنت مدركٌ لما تقوله؟
- أجل أعلم، فأنا أحدّثكِ بعقل واعٍ وقلب مغلق.. لا سبيلَ لي إلا أن أفعل ما أجبرني عليه واقعي.. أنا وأنتِ نحمل قلبين عاشقين، لكن قدرنا أسود لن ينير دربنا مهما حدث..

لم تتحمّل ميرا ما حدث، تركها ورحل، لكن هذه المرة رحل دون أن يترك خلفه أي عنوان.. لم يتوقف الدمع في عينيها، وما عادت تزاول مهنتها كما في السابق.. نزفت عيناها دماً على صورة دموع علمت عائلتها بما حدث، ولم يتحملوا ما حدث لابنتهم.. والدها قال لأمها، لا داعي للقلق سيمرّ الوقت ويشفى قلبها العليل، سيمرّ كل مُر... لكن يجب أن نبقى إلى جانبها كي لا تسوء حالتها أكثر..

لكن الحالة كانت تسوء شيئاً فشيئاً، إلى أن أصيبت قرنيّتها بفيروس.. أصابها بعمى موقت في العين اليمنى، سببه الضغط

الذي حلّ بأعصابها.. حاولت الأم بطرائق شتّى أن تصل إلى عبد العزيز، كي تنقذ روح ابنتها التي أوشكت على الضياع والانهيار التام.. إلى أن طلبت من لين أن تجلب لها رقمه من صاحبة العمل وفعلاً جلبته.. أخذت أم ميرا الرقم من لين واتصلت به فوراً دون أن تعلمه من هي.. قالت له إنها مصممة أزياء، وقد سمعت عن تنظيمه الممتاز في هذا المجال وتودّ أن تعقد معه اجتماعاً في مكان عام.. لم يمانع عبد العزيز، وحينما قابلته رأت في ملامحه حزناً عميقاً.. فأخبرته بما حدث بحال ابنتها...

قال لها: حالها من حالي، لكن ليس بالأمر حيلة..

لقد رحلت عن ميرا كي لا أؤذيها إن فكّرت عائلتي أن تشنّ عليها الحرب..

قالت له لماذا!!

فأجاب بما قالته أمه حينما سمعت بأنها من الطائفة الأخرى..

قالت له ما بك!! شابٌ مثقف مثلك كيف يستطيع أن يؤمن بأمور هزمت منذ زمن! فقد تخلصنا من هذه الأقاويل والاضطرابات الفكرية، كيف لك أن لا تقتنع أننا على دين واحد..

وهو الإسلام!؟

- أنا مقتنع، لكن ليس بالأمر حيلة.. فإني أجبن من أن أتخلى عن عائلتي لأجل فتاة أحببتها.

تمالكت الأم أعصابها واستجمعت ما تبعثر من أفكارها وقالت له بكل عقل: أمك جاهلةٌ لا تعلم سوى ما تعلّمته.. أوقفت

فكرها عند حدود المحرّضين دون أن تبحث بنفسها.. دون أن تنوّر عقلها ودينها.. هم فقط يرغبون أن يُشعلوا الفتنة بين طائفتين..

وإن كانت طائفتنا كما تقول، أنها غير محبذة لعائلتك.. فماذا تقول عن أشخاص يقتلون الحبّ باسم طائفة ذنبها الوحيد أنها ولدت في بطاقة أحوال مالكها.. فـ «الفتنة أشدّ من القتل» يا بني ومثلما أن الإرهاب لا دين له، فأيضاً الطائفية لا دين لها.. هذه الفتنة استعبدت عقول البشر، وجعلتهم يعبدون كل شيء عدا الله..

هل تعتقد أن الله تعالى يقبل ما لا يُقبل.. لا يحقّ لك، لا أنت ولا أمك ولا أي كان، أن يمسّ قلب ابنتي لسبب ليس لها به ذنب.. هي لم تختر اسمها، فما بالك بمذهبها، إن شئتم أن نحترم وجودكم فعليكم بالمثل، لا التقليل من شأننا بسبب طائفة اخترعوها مسمها كي يقسموا البشر.. ربنا واحد ورسولنا واحد وقرآننا واحد..حتى شهر رمضان نقوم بصيامه، وفريضة الحجّ أيضاً.. فهل لك أن تقول لي أين الفرق وأين نقطة كفرنا ونقطة إيمانكم!!

صمت عبد العزيز، ومن ثمّ قال لها: أنا لست جاهلاً يا خالتي، ولست متطرفاً، والدليل أني قد علمت كلّ ما علمته عن ابنتكِ، ورغم ذلك أصررت على الارتباط بها.. لكن حكم القويّ على الضعيف كان أقوى مني.. أنا أعلم كل العلم عن التفاصيل التي ذكرتِها، فأغلب أصدقائي يحملون مسمى طائفياً مختلفاً عن طائفتي وأيضاً ديانات مختلفى لكنني أعاملهم حسب أخلاقهم لأن

الدين أخلاق والحمدلله لم أرَ منهم إلا الخير.

قالت له: إذاً لِمَ لم تتحدَّ لأجلها، وتخضع لقناعاتك!! عبد العزيز:!!

- لا أستطيع، أخشى عليها من غضب عائلتي إن تزوجتها دون رغبة منهم.. لذا قرّرت أن أحافظ على ملامح هذه العلاقة، كي لا أؤلم هذا الحب وأؤلمها بطريقة قذرة.. أخاف عليها وأحبها جدّاً، لكني لا أستطيع أن أتزوج بها..
- هل تعتقد أن جسدها بلا دماء، هل هو بارد وهل لا ترتعش روحها بأي إحساس؟ هل تعتقد أن كبرياءها ليس لها مقام، أم أنك تعوّدت الهزيمة والانحناء..
- لا لا ليس كذلك، بل إني لا أودّ أن أضع حياتها قيد الانتظار، من أجل علاقة لا أمل منها.
- حسناً، سأحاول أن أداوي جرحَ ابنتي والله وكيلي.. لكني أرجوك، لا تحاول أن تقترب منها مجدداً لسبب من الأسباب.. لا أودّ لجرحها أن يكبر أكثر..
- أنا آسف، لكن قدري ضدي وليس لي بالأمر حيلة والأمر محال.

خلافات ومشكلات مذهبية أوقعت بيننا كمسلمين.. حملنا من خلالها السلاح، وأرقنا فيها بعضنا دماء بعض، كان حريّاً بنا كبشر أن نجلس ونتناظر باسم الدين والحق حتى نصل إلى حلّ جذري يوحّدنا على الكتاب والسنة ويجعلنا بعدها نلتفت إلى

العدو الأكبر «الصهاينة».

أنا لستُ بعدوّ لك ولا أنت بعدوي، عدوي وعدوك هو من خطّط أن نكون أعداءً... أعداء الإنسانية أعداء الرب.. باسم الطائفية، لا يحقّ لأي شخص أن يلصق ذنب أشخاص بذنب طائفة كاملة... بل عليه أن يحاسب المذنب فقط وأن يضع له حدّاً... لا يحقّ لمخلوق محاسبة الإنسان، فالله كفيل بمنح العقاب لأي مذنب بحق الإنسانية والدين.. كفى ثأراً، وحقداً، واضطهاداً.. كفى، فالدماء في عالمنا باتت كالبحر... المشكلة الرئيسة ليست باختلاف الطوائف، ولا باختلاف الجنسيات.. المشكلة الكبيرة، هي وجود أعداء الإسلام، داخل الأرض.. منحرفون، هدفهم الوحيد هو تمزيق الإسلام باسم الطائفية، وتشويه لوحة الإنسانية، للوصول إلى هدفهم الأساسي وهو تفكيك وطمس صورة العرب وانتصار الغرب وتفكّك ديننا الإسلامي الحنيف، كلنا واحد، نصلّي لرب واحد ونعبد ربّاً واحداً، ونجتمع أمام الكعبة.. ومن قال عكس ذلك، عليه أن يعيد النظر في عقله وإنسانيته إن كان لديه بالأصل عقل ناضج يعتمد عليه.. فكل من في الحياة يعيشون بربع عقل، وما تبقّى من عقولهم ليس إلا فراغاً يحتوي على الغباوة لا أكثر.

زاولت لين حياتها دون أي فوضى خارجية.. كانت تترقّب تفاصيل حياة جود من بعيد كي لا تضعف أمامه مجدّداً، وهي تقول بكل ثقة وبعيداً عن الخوف الذي يتملّكها بشكلٍ يومي:

أعشق إرادتي في الحياة التي تجعلني أرى أني من أولاء

النساء الكادحات والمتحديات لواقعهن.. فكم أودّ البوح للجميع بما فعلته كي أصل إلى هنا... حاربت مجتمعي، وتمرّدت على واقعي الذي رغب والدي أن أكون به صورة منه، أو كان يرغب بأن يُرغمني عليه.. أعلم أني قد أخطأت، لكني قد تعلّمت أموراً عدّة ما كنت لأتعلمها لولا الإقدام على تجربة كهذه.. لكن ما يؤسفني، أنني لم أعش حياةً كباقي البشر.. بل عشت شخصيتين متناقضتين... شخصية الفتاة البسيطة والغبية أمام والدها.. وشخصية الأنثى الفاتنة والمتمردة على واقعها... أخشى أن أظهر مدى ذكائي أمام والدي، فهو مثقفٌ.. لكنه محافظ بطريقة غريبة، كان يمنعني من قراءة الروايات والكتب الغرامية، أو تلك التي تفتّح عقل الشباب على أمورٍ جديدة...كي لا أطمح إلى حياة أفضل، أو أحلم برجل وسيم كالذي نقرأ عنه في الكتب... كم تمنيت أن يراني والدي بأبهى الحلل، كما يراني الجميع في الخارج.. فأنا أقوم دوماً بمسح المساحيق عن وجهي قبل الدخول إلى المنزل، ونزع كعبي العالي من قدمي، وإزالة طلاء الأظفار من على أصابعي.. وخلع المجوهرات التي اقتنيتها من مكسبي الفائض في عملي، وارتداء حجابي كما يرغب، كي لا يعاقبني ويوبّخني ويمنعني من مزاولة العمل.

كانت لين تكره هذا النمط من العيش بوجهين مختلفين.. إذ ليس من الطبيعي أن يعيش الإنسان بوجهين متناقضين!! مع أهلها تلبس ثوب الإيمان، وحين تخلو إلى حريتها تمارس الرذائل على

اختلاف أنواعها!! الجنس والسكر والمحرمات كافة.. تنحرف كما لو أنها بنتٌ للشيطان.. فما أصعب أن يحيا الإنسان حياة كهذه..

لين تعيش صراعاً داخلياً بينها وبين ذاتها.. تحلم، تتأمل، لكن داخلها مكسور عكس ظاهرها القوي فقد كانت تذكر دوماً قول أمها: إن الأنثى القوية والشامخة كالجبال لا تنكسر، حتى لو وقفت أمامها أعاصير العالم.. فلا بدّ أن تنتصر.

عادت لين إلى الكتابة مجدداً وقالت: رغم ما يعتريني من ألمٍ أحياناً بسببه، ورغمِ قطعي على نفسي عهداً ألّا أكترث لقلبي، إلا أنني أخاف عليه كقطعة التصقت بروحي دون مقاومة أو صدّ لمشاعري نحوه.. أخاف أن يتعثّر وهو يمشي فلا أكون بجانبه كي أحمي جسده باندفاع جسدي.. أخاف أن أقول له صباح الخير ويكون صباحه سيئاً.. أخاف أن يأتي يوم ولا أجده قربي، أخاف أن يأتي يوم ويرفضني قلبه ويُرغمني أن أعيش من دونه.. أخاف من نفسي عليه أن أؤذيه بشرّ فكري واندفاعي وتهوّري.. من أن أجعله يخالف مبادئه لأجلي، من أن يحارب أهله وواقعه كي يكون بقربي، أخاف أن يأتي يومٍ أهاتفه مائتي مرة ويتقصّد عدم الرّد علي.. لأنه ما عاد يرغب في وجودي.. يا ربّ أنت تعلم حجم سعادتي بوجوده فلمَ لم يقدّر وجودي، معه أموت وأحيا.. تنتابني نوبةٌ من البكاء أحياناً.. أحاول أن أحاربها وأنتزع جذورَها من عيني، فأنهيها بضحكة عالية وأدفنها بتنهيدة وسكوت وحزن مكبوت.. إنه جنون، ما عدت أعلمُ من أكون!؟ فكم تمنيت أن

يكون لي نصيب معه في منزل واحد، لا يهمّ أين يكون.. المهم أن نكون فيه معاً.. أقاسمه فيه رغيف الخبز وأنام في سريره على الوسادة نفسها، نأكل بملعقة واحدة.. يغني لي وأرقص له.. يضع لي طلاء الأظفار وأحلق له ذقنه..

ويكون لنا كأس ماء نشرب بها من موضعٍ واحد.. يغلق لي علّاقة عقدي ويستمتع باستنشاق عطري، كم تمنيت أن أكون له أمام الجميع، أقهقه من الضحك معه في منتصف الطريق وأمام الجميع ويناديني بصوت مرتفع دون خوف، هيا حبيبتي تعالي إلي.. يجنّ فرحاً معي وأجنّ سعادة لأنه لي.

لكن أملي به ضئيل، فقد بات قربُه مستحيلاً.. فمن أين أجلب الصبر وكيف لي أن أقوى على نسيان أحلامي بعالم بعيد عنه.

لهيب الشوق

كانت تشعر بالحنين إليه.. كحنين المغترب إلى قهوة الصباح في بلاده... كحنين الأم إلى ابنها الغائب وكحنين الكون إلى السلام والأمان.. وتشعر أن أبجدية شوق بداخلها تتحول إلى صمت وعجز كلّما حاولت أن توضّحها ولو أمام نفسها على الأقل..

تُرى في أي بقعة من هذه الأرض تسكن الآن يا جود؟

وماذا تشعر الآن وبِمَ تفكر؟!

هل تشعر بي، أم أنني أتوهّم حبك وأهذي كعجوز خَرِفة!!

رفعت يديها ودَعت قائلة:

«اللهم صبّرني على حرّ هذا الشوق وبرد الغياب وثلجه»...

لم تستطع بتاتاً أن تدعو الله أن يريحها من حبها وحبيبها..

رغم أنها ما عادت تستطيع تحمّل الأوجاع التي تمرّ بها.

كانت تقضي الوقت حزينةً.. مكسورة.. تفكر فيه، في جنينها الذي قتلته، في خيانة والديها، في كلّ ما حدث.. سألتها مريم ما بك يا ابنتي؟ وبعد صمت طويل لم تستطع أن تقول سوى إنها بخير.. وبعد أن كررت الأم سؤالها غير مرة، وألحّت عليها قررت أن تخبرها عن قصة ميرا صديقتها مع عبد العزيز، كي لا تُحرج نفسها بعدم الردّ على سؤالها..

رغم أن مريم تعلم كلّ العلم ما حال ابنتها.. وتدرك أن زلزالاً مدمراً قد اجتاحها على حين غرّة وغفلة.. لكنها كانت تحاول التجاهل وطرح أسئلة من شأنها أن تجعل لين تخرج عن صمتها ومنه.

قالت لها: ما عدتِ تحبين الذهاب إلى منزل صديقاتكِ.. فما القصة وهل سبّبت إحداهنّ لكِ أي إزعاج، فأجابت لين ببرود: لا أودّ الاقتراب من أحد، حياتهن لا تشبه حياتي يا أم لين.

صمتت مريم قليلاً وقالت:

حينما يقطع الإنسان علاقته بكل من حوله بسبب خوفه أو قلّة ثقته بذاته، لن يكون بعدها صديقاً لأحد، بل سيكون عدوّ نفسه الأول... لا تنعزلي عن العالم الخارجي يا ابنتي.. تقرّبي إلى الله أيضاً وصلّي واسأليه ما تشائين، هو وحده سبحانه القادر أن يُخرجكِ مما أنتِ فيه.

قالت لين بينها وبين ذاتها: أيعقل أن أمي تشعر بحجم المعاصي التي في داخلي!

أيعقل أنها علمت أي شيء عن أمري! رباه، أنقذني من خوفي وأخرجني من سجني هذا..

ما بك يا لين، لمَ اصفرّ وجهك؟ ولمَ أرى الرعبَ يسكن داخل عينيكِ؟

– لا شيء يا أمي، لكنني أفكر في كلامكِ، وأستعيد القليل من

شريط حياتي.. معكِ كلّ الحق، يجب أن ألجأ إلى ربي، فوحده أعلم بحالي..

- أنا معك يا لين، أرجوكِ لا تكوني حزينة بهذا الشكل.. أعلم أن والدكِ يقسو عليكِ كثيراً، لكن قلبه أبيض، فهو يحبكِ كثيراً حتى لو لم يُظهر ذلك.. فلا يوجد أب يكره أطفاله، حتى لو أظهر العكس.. هو يخشى عليكِ من كل شيء، لهذا يودّ أن يحميكِ من كلّ شر يا ابنتي.. انتبهي لنفسكِ، ولا تتدخلي في ما لا يعنيكِ بتاتاً.. كوني حدود ذاتكِ، وابتعدي عن حدود الخلق.. لا تكوني كميرا ولا تفكري كأم عبد العزيز... ابتعدي عن كل أمرٍ متعلّق بالأمور السياسية والطائفية، فالسياسة لعبة الحاقدين، والطوائف لعنة اللاإنسانيين.. جميعهم في زماننا يقاتلون ويقتلون باسم الدين.. جميعهم يكرهون يهمّشون بعضهم بعضاً باسم الدين.. رائحة الدم باتت منتشرةً في كل مكان، والخوف يسكن كل إنسان.. يا ابنتي، لا يوجد لدي سواكِ.. ووالدكِ، إن كان فشلُ ميرا وحبيبها ما يُحزنكِ ويُبكيكِ، فلا تكترثي للأمر ولتدركِي جيداً ما هو ديننا...

ديننا دين الحب والسلام، لا حقد به ولا شر فيه لبني الإنسان.. ومن شاء أن يسألكِ عن طائفتكِ فأخبريه أنكِ تؤمنين بالله تعالى.. ولعبة الطوائف التي اخترعها البشر، لا علاقة لكِ بها بتاتاً... أخبريه أن دين الله هو دين محبة، وأن التعصب ليس سوى سمّ قاتل ودنيء..

«بلدنا يا ابنتي ما فرّقها وشتّتها غير الطوائف، ما غرّب ناسها وعذّبهم غيرها.. اللي بدو يعيش ببلادنا يا بدو يعيش ابن المير أو بدو يسافر ويتغرب لنّاس تفكروا أمير»..

وإن كنت يا ابنتي تشتكين أمراً ما لا أعرفه فتذكري جيداً أني تركت أرضي وأهلي وأصدقائي وعالمي الخاص لأجل أبيكِ رغم أن كلاً منا كان من طائفة مختلفة.. إلا أنني ما ندمت على ذلك بل ندمت كثيراً على جرمي، فلم أقدّر قيمة نفسي قط.. أعلم أن أخي كان سيرهن مصيري بعبد الرحمن، لكنّ حياتي حينذاك كانت ستكون أرحم في موطني وفي كنف عائلتي.. فكلما اشتكيت إلى والدك فقر حالنا، أذلّني وعيّرني برخصي.. رغم حبه لي، لم أكن أدرك عندما أحببته شكل الأيام المقبلة التي سأكون بها معه، أبوك يا لين قد قتلني بكثرة تناقضاته.. حبّه العارم مات من لسانه الرخيص، وكلامه الجارح الذي يظلم قلبي ويحرمه من أي شعورٍ جميل.. هو يعلم جيداً أن لا مكان لي من بعده، لذا ها أنا خاضعةٌ لمصير حياتي معه لأجلك يا لين، ولأجل ذكرى مكتبة بيروت التي ما زالت تحيي بداخلي ولو فتاتاً من الأمل.. واستطردت مريم بالحديث عنها متناسيةً أنها تحاول التخفيف عن ابنتها..

الحبّ يا ابنتي يزول مع زوال الاحترام، وكثرة الشكّ، شعوري تجاه والدك متناقض كالحالة التي أسكن بها.. لو كان بيدي يا لين لما جعلت حياتك كما هي الآن.. لما بقيت في تلك البلاد مع أحمد.. لما تركتك دون علم أو شهادة... لدعمتكِ بكل

ما استطعت، لقد خطّطت لمستقبلكِ من قبل، لكن الله شاء ولا اعتراضَ على حكمته.. كان لديّ طموح كبير، وقد كنت الأولى في دراستي، محسودةً من الجميع.. وهذا الحسد ويا للأسف قد رماني في هذا الواقع المريع.. كان وضع عائلتي المادي ممتازاً جدّاً لا بدّ أن شقيقاتي قد حقّقن ذواتهنّ وأحلامهنّ.. كنا نحلم معاً رغم أني أصغرهنّ، لكني الأكثر حظّاً بحبهنّ..

آآآه وافترقنا، ولا أعلم أبداً إن كانت رياح القدر ستلمّ شملنا في يوم من الأيام أم لا، على كل حال كوني حذرةً بتصرفاتكِ يا لين ولا تفعلي ما فعلت بنفسي.. حاولي أن تصنعي سعادتكِ بكل ما حباك الله من قدرات...

هزّت لين برأسها وقالت سأفعل ما بوسعي يا أماه ولن أكون لقمةً سهلة للحزن والألم..

أخبريني يا أماه بالله عليك: لمَ لم تحاولي التواصل مع بيت جدي في العراق!!

- حتى لو فعلت، فماذا سأستفيد.. أبوكِ لن يقبل وخالكِ سيُفشل أي محاولة عودة لي.. أظنّ أنهم قد نسوا وجودي لا سيما بعد أن توفي والدي الذي سمعت خبر موتة من خلال التلفاز كبقية المشاهدين للحدث، لم استطع ان اقبله واشتمه واعانقه قبل ان يرحل.. فقط كسرني موته،.. لا بدّ أنهم قد اعتبروني بحكم الأموات، فكيف لي أن أعود!! بداخلي جروح تبكي... كونٌ بأكمله يصرخ بحرقة، جمرٌ

يحرق كل أجزائي.. لذا، لا تقتلي طموحكِ يا لين كما فعلت ولا تنحرفي مع أهواء نفسكِ العاصية.. فلن ندوم لكِ أنا ووالدك.. أتمنى من الرب أن يطيل عمري كي أطمئنّ إليكِ في منزل زوجكِ، كي أضمن لروحي السلام بعد أن أسلّمكِ إلى شخص يستحقّكِ..

- لا يا أمي، لا أريد أن أتزوج، لا أودّ أن أرى صورتكِ التعيسة مع أبي في حياتي، لا أودّ أن أعيش حالة الفقر في عزّ شبابي.. ها أنا أعمل ولله الحمد، لا أحتاج إلى رجل يُعيلني.
- ليس كل الرجال كأحمد زوجي وهناك الصالحون منهم وهم كثر.. خذي أكبر مثال أبي، كان رجلاً عظيماً.. طيباً ونقيّاً، كان سياسيّاً معروفاً.. طريقة السياسة التي كان يتعامل بها مع من حوله تدرّس، فكلّها خير وحب ولا شر فيها.. كان روائيّاً أيضاً، والناس تعشق أخلاقه الحميدة..

لكنني كسرت ظهره برحيلي، ودمّرت حياتي بعده.. مرّت الأيام، وتحسّنت حالة لين الصحية قليلاً.. رغم أن الأنثى التي تسقط جنينها بيديها لا تغفر لروحها أبداً.. إلا أنها حاولت أن تمثّل على ذاتها دور البطولة، وتظهر لنفسها أنها قوية وتستطيع أن تتحدّى ما جنته على ذاتها كي لا تنكسر أكثر.. لكن سرعان ما كان يتخطّفها الحزن.. حزن وقلق واضطراب، تحاول أن تتحدى ذاتها كي لا تنهزم.

ميرال ويزن.. وعاداتٌ لا تموت

سافرت ميرال إحدى زميلات لين منذ أيام قليلة، كانت تلتقيها دوماً من خلال عروض الأزياء الكبرى.. حيث إنها كانت عارضة جميلة ومتمرّسة في مهنتها، إلا أنها قررت أن تعود إلى بلدها سوريا بعد أن أصبحت في سنّ مناسبة للزواج، فلا يمكنها البقاء في المملكة حيث إن فرصَ الزواج ضئيلة بسبب ديانتها التي تفرض عليها أن تأخذ من ملّتها نفسها.. فقد ولدت ميرال وهي تحمل ديانة أهلها.. وهذا لم يمنع لين من أن ترافقها كصديقة عمر، فهي تحبها كثيراً وتتمنى أن تبقى علاقتهما قائمة مدى العمر حتى لو لم تكن مسلمة.

ولدت ميرال في المملكة العربية السعودية وأحبتها وتأقلمت بها مع عائلتها.. إلا أن أهلها قد اقترحوا عليها العودة إلى الوطن، كي لا تقضي حياتها في وطن لا مجال فيه أن تلتقي زوج المستقبل المناسب لها، فهي لا تستطيع أن ترتبط برجل مسلم.. ليس بسبب رفضها للإسلام، بل لأن عائلتها وعشيرتها لن يقبلوا أمراً كهذا بتاتاً... وسيعتبرون أنها قد أقدمت على فعل العار، إلا أن الحياة قد رمت بها نحو ما لا تشاء عشيرتها، فقد أحبت شاباً مسلماً وهذا الأمر محال ومرفوض رفضاً قاطعاً..

كانت ميرال تعلم عن قصة لين كاملة.. وعن كل أسرارها وكان صعب عليها للغاية قرار رحيلها، إلا أنها بقيت تتواصل معها عبر الواتساب وأخبرتها عن حالها، وأن البلاد هناك مختلفة ومنفتحة وتتيح لها فرصاً حياتيّة أفضل، وأن حبيبها سيأتي من الكويت، كي يلتقيها بعد أسبوعٍ من اليوم. كانت ميرال تتحدث عن يزن بكلّ حب وتتمنى أن يكمل طريق حياته معها، رغم علمها بكلّ العراقيل التي ستواجهها. أخبرت لين أنها ستذهب في المساء كي تحضر حفلة زفاف صديقتها وأن عليها أن تجهّز بعض الأمور في المنزل وتتوجّه بعدها إلى الصالون النسائي، كي تتألق في مظهرها.. وقطعت حديثها قائلة: لا أعلم ما بي يا لين أشعر بأمرٍ مزعج جدّاً، كل مَن حولي بات مرتبطاً.. فهناك من تزوجت ومن خطبت ومن ارتبطت، لا أعلم ما بي.. فليس من عادتي أن أدقّق في هذه التفاصيل، لكني أرى أمامي هذه الفترة ارتباطات كثيرة عبر الفيس بوك، حالات خطبة وزواج.. اليوم ستتزوج صديقتي والأسبوع القادم مدعوّةٌ أيضاً لزفاف صديقة أخرى، إنه أمر غير طبيعي، كل يوم أسمع بارتباط جديد، يا إلهي ما الخطب؟! أنظر إلى حالي بتحسّر على نفسي وأسألها لمَ حظّي هكذا؟!..

لا أنكر أن يزن شخص رائع وهو من اختاره القلب وحتى عقلي مقتنعٌ به وتكفيني الراحة التي أشعر بها إلى جانبه، لكن عيبه الوحيد أنه مسلم.. هل يعقل هذا الأمر؟! ما هذا العيب الذي

يلصق بنا تهمة العار أمام مجتمعنا، إن فعلناه.. هم يحللون الأمر بهذا الشكل، لا أستطيع أن أتكلّم عليه أو أخبر أحدهم أني مرتبطة به، لا يهمهم من هو؟! ما صفاته ما عمله أو ماله؟! يهمهم فقط أنه يحمل ديانة مختلفة عن ديانتنا.. إن هذا الأمر يقلقني ويجعلني كئيبة، لا يسمح لي بالشعور بالفرح والسعادة، حالكة عيناي، رغم أن قلبي مشعٌّ بنور الحب، نور مستقبلي مظلم ومصيري معه مجهول.. ما عدت أدرك كيف أجد الحل؟! هل سنكمل أم سنفترق؟! إنه أمر مرّ كالعلقم، ليس من عادتي أن أفكر في هذا الحال المتشائم وتحديداً أنني فتاة لا ينقصها أي شيء، إلا أن الرب رماني أمام نصيب لا يقبله زماني.. ابنة خالتي أخبرتني بالأمس أن حبيبها سيتقدّم لخطبتها، وأن كل عائلتها تعلم بهذا الأمر وسعداء به، إلا أنا.

أسيرة نفسي وعاطفتي ورغبتي فيه، لا أستطيع أن أبوح بحبّي له أمام الخلق.. سألت نفسي ألفَ مرة منذ ارتباطي بيزن، لمَ يحصل معي كل هذا؟! أتمنى أن أعيش حياةً طبيعية كبقية الفتيات أخطب وأتزوج بمن أحب.. أفرح معه أمام الجميع، أضع يدي بيده وأرافقه للعشاء أزور أصدقائي برفقته، أشعر أني سأدفع ثمناً كبيراً من عمري.. سيكون الثمن غالياً جدّاً، ولن أكون سعيدة ولن أمارس حياتي كما يجب ولن يفرح أهلي بي.. إن قررت الزواج به، أشعر بشعور حقير لا يفسّر..

ردّت عليها لين قائلة بخصوص الشعور الذي ينتابك حاليّاً، هو شعورٌ طبيعي جدّاً.. أن تري أغلبَ من حولكِ مقدماً على ارتباط رسمي، إنه لأمرٌ مشتّت بعض الشيء وأنا أشعر مثلك تماماً، لكن لا يد لنا بإصلاح تشتّتنا، فما يحدث معكِ قد حدث معي أمس.. فهناك فتاة أعرفها، أقامت حفلة زفاف بسيطة لها وقد تابعت حفلة زفافها عبر «برنامج السناب شات».. كانت سعيدة جدّاً والفرح يتطاير من عينيها.. فقد كانت وعريسها رائعين جدّاً، رغم أنهما لم يلتقيا إلا منذ مدة قصيرة وغيرها الكثير من الفتيات، هو الشعور نفسه.. لا يتملكنا وحدنا، بل يجتاح أحاسيس العديد من الفتيات..

نحن كفتيات لا نطمع في الزواج أكثر من طمعنا في الاستقرار.. نودّ أن نحصل على استقرارنا كأفراد بعيداً عن أهلنا، وعن نعتهم لنا بالأطفال وأننا تحت جناحهم حتى نرتبط بالشريك الذي سيحمينا من غدر الزمان.. وكأن الرجل جبل لا ينكسر، لا يعلمون أن الرجل والمرأة كيانان مكمّلان لاستقرار أي منزل، وبخصوص حبكِ ليزن وشعوركِ بالعار أمام مجتمعكِ بسبب حبكِ له، لذا أفهم شعوركِ جيداً.. يزن شخص لا يُعاب ولا ينقص عن غيره من الشبان، يحبكِ وتحبينه ومن الطبيعي أن تكون فرحتكِ به غير كاملة، فلا بد أنك ستواجهين تحديات وستصدّكِ كلمات مَن حولكِ.. ومن المحتمل أن تنفصلا بسبب أمور لا تعدّ ولا تحصى..

أنصحكِ أن تتعمّقي فيه أكثر.. كي تقتنعي جيداً إن كان هذا الشخص يستحقّ كلّ هذه التضحيات التي تودّين أن تمنحيها له.. ففي نهاية الأمر لن أسمّي عطاءكِ بالتضحية، بل سيكون حبّاً.. لأني أؤمن أن لا علاقة للديانات بتشتيت القلوب، بل كلّ ما في الأمر أن مجتمعنا رسم لنا كلّ ما هو مشوّش لعقولنا وممزّق لقلوبنا، وها أنتِ تقولين إنهم غير مهتمين باسمه وعمره وعمله ودراسته وماله.. غير ملتفتين إلى أخلاقه وإلى محبته لكِ ومكانته في المجتمع، ما يهمّهم أمرٌ واحدٌ فقط هو ديانته..

انظري إلى مدى تخلفهم هم وأمثالهم، حتى نحن كمسلمين انقسمنا باسم الطوائف والكثير يرفض رفضاً قطعياً تزويج أبنائه من أبناء طائفة أخرى، وطبعاً الأمر لا يعمّم..

وبالنسبة إلي سأقول لك بأن هذه الحياة حياتكِ وهذا الشخص حبيبكِ واختياركِ، فلا تلتفتي إلى قول أحد إن كنتِ واثقةً أن هذا الشخص سيكون مصدر سعادة لكِ.. وأنه سيكفيكِ طول العمر، لا تهتمي بهم.. فأبسط ما في الأمر حينما تقررين الارتباط به وتبدئين حربكِ لأجله، أن تخبري أهلكِ برغبتكِ في العودة إلى السعودية.. كي تستقري هنا، حينما تقررين أن تقلبي مسار الأمور إلى الجدّ وتنهي كلّ أموركِ في سوريا وتأخذي كلّ حاجاتكِ من هناك.. وتشطبي كلّ أحلامكِ فيها، وحينما تأتين تبدئين بفرض قراركِ أمام أهلكِ، سيكون الأمر شائكاً وصعباً.. وربما مستحيلاً في بداية الأمر لكن لا مستحيلَ سيقف أمام عتبة الحب إن شاء

القلب أن يعلن الحرب لأجل الحبيب.. وعليكما حينئذ أن تتحملا معاً شوائب هذه الحرب، ويجب عليه أن يحدّث أهلكِ ويقنعهم به، حتى لو رفضوه مئة مرة.. عليه أن لا يستسلم.. فالحب لا يقبل الضعفاء وإن حصل وتمّ قبولهم، لا تبالي بمن حولكِ.. اكذبي عليهم.. فهم يستحقون أن يُخدعوا، لأنهم مخدوعون وموهومون بواقع جدرانه سوداء.. سافري معه إلى الكويت أو إلى الصين لو شاء، هناك حيث لا أحد سيدقّق في ديانتكما، بل سيدقّقون في جنسيتكما ليس إلا، وبعد سنوات إن رغبتِ في العودة إلى بلادكِ، عودي وأطفالكما بين يديكما.. سيتفلسفون قليلاً وحين يأتي غيركِ سينشغلون به عنكِ، فلا تقلقي إن لم يتقبّل أهلكِ الموضوع.. لا أحد يحق له أن يتفوّه عليكِ بحرف واحد.. رغم أني أعرف رأي والديكِ جيداً بالنسبة إلى هذا الموضوع.. لكن لا تستسلمي، هل يعقل أن تقف حياة العديد منكم بسبب مصير الأحاسيس الخارجة عن خطّ الديانات؟! أظنّ أنه أمر معيبٌ للغاية.. لذا عليكِ أن تكوني قوية ولا تستسلمي أبداً، اسمحي لنفسكِ أن تقرري بعيداً عن أيّ عائق.. بعيداً عن مُسمّى ديانته.. امنحي علاقتكما فرصة العيش أو الموت، فلربما تكرهينه خلال الفترة القادمة وربما تعشقينه عشقاً يعميكِ عن كلّ المصائب التي ستواجهكِ.. فبالحب نقوى وكلّ ما فينا يتقوّى فلا تستعجلي الأمور.. وعيشي لحظة الحب كما هي، لا تستعجلي العذاب.. دعيه يُثبت لكِ من تكونين بالنسبة إليه، فإن أثبت لكِ هذا الأمر فامنحيه ما شاء من العمر..

فوضعكِ هذا يحتاج إلى علاقة حب صارمة وعليكِ أن تفكري فيه بشكل جدّي، وعليكِ أن تعلمي أمراً مهمّاً للغاية، أن المشكلات الحقيقية ستبدأ بعد الزواج وكلّ ما سيحدث مع الفتاة قبل ليلة الزفاف سيكون أمراً طبيعيّاً.. وكل ما نتطرّق إليه من نقاشات وحوارات ما قبل الارتباط الرسميّ هي أمور تافهة ولا تستحقّ أن تُعظّم، لكننا نشعر أنها أعظم بسبب انشداد مشاعرنا بشكل هجومي تجاه الحب.. جميع هرمونات الحب في إحساس الجسد تتفاعل بشكل أقوى وندقق في أقل التفاصيل، وهذا الأمر معكوس بشكل كبير بعد الزواج، حينما نصبح عقلانيين.. نفكر في تكاليف المعيشة قبل تفكيرنا في تكاليف عطاء قلوبنا.. هنا فقط تتشتت علاقتنا بمن نحب، أمّا كل ما يحدث معنا قبل الارتباط الرسمي من مشكلات عاطفية مهما كان حجمها فسنذكرها في المستقبل ونحن مبتسمون، لذا عليكِ أن تكوني قوية يا ميرال ولا تلتفتي إلى من تزوج أو ارتبط أمام عينكِ، دعي عينكِ على واقعنا، لا أحب ضعفكِ ولا تظني أنكِ من تعانين وحدكِ.. فأنتِ تعلمين أن هناك العديد من الفتيات المسرورات اللواتي ترينهنّ في ثوب الفرح، قد مررن بما حصل معكِ وأحببن من خارج دينهن إلا أنهنّ استسلمن لواقعهنّ معتقدات أنهنّ سعيدات، رغم أني أشكك في هذا الأمر، فلا بدّ أن بعضهنّ مسرورات بحياتهن ومع اختيارهنّ بعد أن كانت خيرة الله بأن يلتقين من سيسعدهنّ طوال الحياة.. وبعضهن مدفونات من الداخل ويتظاهرن بالفرح كي لا يكسرن قيدَ العادات والتقاليد.. لا

أحد سيقدّر وجعكِ فيما بعد سواك، حينما تبقى قصتكما مركونةً إلى الأبد دون أن يعلم بها أحد سواكما.. دعي قوتكِ تحارب لأجل من شاءه القلب، ولا تقلقي على نفسكِ، فهي قوية بما فيه الكفاية كي تتحدى كل ما سيحدث معها وكلّي ثقة بهذا الأمر.. وأودُّ أن أخبركِ بأمرٍ مهم، حينما تصل الفتاة إلى سنّ الثلاثين.. تلتصق بها تهمة العنوسة وتصبح عبئاً كبيراً على عائلتها، ليس بسبب عدم استطاعتهم احتواءها ضمن زوايا منزلهم، بل لأنهم لن يتحملوا ضجيج ألسنة مَن حولهم «ابنتكم عانس لمَ لم تتزوج حتى الآن؟!» هل بها علة؟!.. أو ما شابه من تهم العار التي يطلقها مجتمعنا كأنشودة وطنية لا تموت، رغم أننا نعلم جيداً أن العنوسة كلمةٌ اختارها مجموعة من الجهلاء كي يحرصوا على توارث الجهل بين الأجيال.. سيكون همّهم الوحيد الزواج لا الاختيار حينئذ، لذا سيقبل الأهل في هذه السنّ خيار ابنتهم حتى لو اختارت رجلاً لا يملك من العمر خبرة.. المهم لديهم أنه رجل ليس إلا... تعقيداتٌ لا أحبّ أن أتعمّق فيها لكن وضع الفتيات في مجتمعنا مخزٍ يثير الشفقة.. ما دام هناك أناس يدعمون الجهل بكل فخر..

في اليوم التالي تلقّت ميرال رسائل لين الصوتية عبر برنامج الواتساب.. ورحبت بها وأخبرتها أنها لم تستطع بالأمس الردّ عليها بسبب تأخرها عن موعد مصفّف الشعر، ولم يسعفها الوقت.. فقد كانت مشغولةً بتجهيز نفسها، كي تذهب إلى زفاف صديقتها مساء أمس.. وبدأت تخبر لين عن الحفلة كم كانت رائعة.. وكم سرّت

بحضورها واجتماعها مع أصدقائها الذين لم تلتقِهم منذ زمن، قائلة وهي مستهزئة بنفسها.. مرفقة مع كلامها ضحكة صفراء، ترثي بها حالها.. آه يا لين لو تعرفين ما رأيته بالأمس.. تلك التي يرافقها حبيبها والتي ترقص مع زوجها والتي يطعمها زوجها، وكأنهن يتقصّدن استفزازي بدلالهنّ على رجالهن وثقتهنّ أمام الجميع، وهنّ برفقتهم، أمرٌ غريب للغاية.. أتمنى من الله أن يكونوا سعداء حقّاً، وفي الأسبوع القادم سأحضر زفاف صديقة أخرى لي وبالنسبة لما قلته لي، فكلامكِ صحيح جدّاً ومنطقي.. لكن لا أعلم أهو صحيح أنه يجب علينا التفكير جيداً والتثبت من قرارنا أمام وضع كوضعي، وفي نهاية الأمر إن قرر أن يكمل مع من يحب فعليه ألّا يسأل عن رأي أحد بتاتاً وسأفعل هكذا، لكني في الوقت الحالي أحاول أن أكسب الوقت بالتفكير ودراسة الموضوع من جميع الجهات بشكل أدق إن كان هذا الشخص سيسعدني ويعوّضني عن أي ضرر سيمسّني في المستقبل، ففي نهاية الأمر موضوع الدين معقّدٌ بعض الشيء وصعب جدّاً في مجتمعاتنا، لا نستطيع أن نختار شريك حياتنا دون أن ندقّق في ديانته قبل أي أمر وكأن علينا أن نقول لقلوبنا لحظة من فضلكِ لا تدقّي قبل أن نكشف عن ديانته، إن كانت بصمة ديانتنا تطابق بصمة ديناته أو طائفته قبل أي أمر آخر..

يا إلهي لو تعلمين عن تفاصيل مجتمعي بالمجهر لما تحمّلتِ.. يخافون بعضهم بعضاً كثيراً ويهتمون بالمظاهر بشكل

كبير. أتصدقين يا لين ما هو أساس علة مجتمعنا الشرقي؟! علّتهُ أنه يخاف العيب أكثر من الحرام ويرفع مقام التقاليد أكثر من الدين.. نحن نتشاجر على اختلافنا بأدياننا، رغم أننا لا نملك يداً باختيارها.. لكن شعار الديانات ليس سوى عباءة نستر بها حقيقة ما نخشاه.. فمجتمعنا الشرقي يعبد التقاليد أكثر من عبادته للرب نفسه، لذا سأترك الأمر بيد الله، لأن نفسي مضطربة كثيراً ولا أودّ أن أتخذ قراراً وأندم عليه فيما بعد..

لين: معكِ كل الحق، كل منا له علة، ها أنا أجاري أبي والمعتقدات التي يودّ أن أسير عليها كما يشاء، أمثّل عليه باحتراف أنني تلك الفتاة التي لا تخرج عن حدود الحائط الذي وضعه لها، يؤلمني شعور النقص الذي يتملكني بسببه، فكلّ صديقاتي صديقات لآبائهن إلا أنا.. وحتى ميرا عائلتها تساندها دون أن تحاربها، تعلّمها دون أن تصفعها.. تخاف عليها دون أن تشعرها بالذنب.. وربما هذا هو الأمر الوحيد الذي يستفزني كي أفكر في مسألة الزواج ليس إلا... كي أشعر أنني إنسانة طبيعية وغير مقيّدة بشخصية لا أحبها، وفي الوقت نفسه لا أودّ أن أدفن نفسي داخل قوقعة زواج لا أعرف وجهة مصيري بها.. وإلى أين سيؤدي بي طريقه.. فكرة الزواج في حياتنا واحدة وروتينية وسياسة الحياة أيضاً واحدة..

وُلدنا كي نتعلم ومن ثم نكبر، ندرس.. نتخرج، نعمل أو نتزوج ومن ثم نلد جيلاً جديداً، كي يكرر ما كررناه وتصبح حياتنا

روتينية ومملّةً من الدرجة الأولى، لذلك أؤمن أن لا بدّ للإنسان أن يصنع طريقه بيده، أن يعيش كما يشاء لا كما يشاؤون.. ويلوّن سماءه بجميع الألوان التي يحبها ولا يرهن مصيره بلونين محددين الأسود والأبيض، بل عليه أن يترجح بين أطياف الألوان ويقف في المنتصف.. عند الخط الرمادي كي يلوّنه كما يرغب..

أجابتها ميرال بتسجيل صوتي قائلة: أعلم جيداً أنهم يمثلون السعادة وحياتهم حافلة بالتقلّبات، لكن في نهاية الأمر.. حينما نراهم بصورتهم الجميلة أمام الجميع نحب الحالة نفسها، كما لو كنّا نشاهد مسلسلاً رومانسياً.. العشاق به يتزوجون ويبقون على قيد الحب وهم مسرورون، فدائماً أفتقد هذا الشعور يا لين.. وتحديداً إني أودّ بشدة أن أخبر الجميع بحبي ليزن ورغبتي في إكمال عمري بجانبه.. لو علم أحد أنه مسلم، فلن يتقبّله أبداً.. عقلهم المعقّد وطريقة تفكيرهم والبيئة التي أرغمونا أن نتأقلم بها.. دمرت أموراً عديدة بداخلنا، نحن نخاف بعضنا على بعض كثيراً ونسعى دوماً للتماسك مع بعضنا بعضاً ولا نقبل أن نتزوج من غير ملّتنا ولا نتزوج من غير ديننا.. لذلك أشعر بالعار لأني أسير ضد التيار، فهم زرعوا بداخلنا قواعد مخطوطة، لا يُسمح لنا أن نخرج عنها.. كم أودّ أن أمسك بيد يزن أمام الجميع، دون أن أختبئ معه بعيداً عن أنظارهم.. وبخصوص الزواج، صدقتِ فهناك زواج يحررنا وهناك زواج يشنقنا ويقيدنا، فالزواج كالبطيخة المغلقة.. لا نعلم أكان مذاقها حلواً أم لا.. إلا بعد أن نجرحها بسكين حادة،

أشعر أن وضعي مقبول أمام وضعكِ يا لين، لأن طبيعة عائلتي تختلف عن طبيعة عائلتكِ.. وطريقة تفكيرهم، لا بدّ لها أن تنعكس على طريقة تفكيركِ وترغمكِ على أمور لا رغبةَ لكِ فيها، عكسي أنا تماماً.. فمجتمعنا منفتح بكلّ الأمور عدا الزواج الخارجي.. وبخصوص خوفكِ على والدكِ من صدمة ستصيبه لو علم بأفعالكِ التي تفعلينها دون علم منه.. فمعكِ حقّ لأن آباءنا مسالمون جدّاً ويخشون من المجتمع، وهمهم الوحيد وضع صورتنا بالشكل السليم أمامهم.. وفي نهاية الأمر عليهم أن يتحمّلوا ما جنت تربيتهم علينا من تعقيدات، فنحن لا نستطيع أن نكون كما يرغبون فيه.. نحن نقوم بتقديم حق الاحترام لهم ونحاول قدر المستطاع ألا نتمرّد.. وأن لا نتصرف أمامهم بما لا يرضيهم، لكننا في النهاية بشر نخطئ، ننحرف نحو ما لا نشاء أحياناً، نعيش حياتنا بطريقة لا ترضيهم.. لكننا في نهاية الأمر سنفعل ما نشاء لا كما يشاؤون.. ويجب أن لا نقبل دور الفتيات التقليديات لأجل إرضائهم، أشعرونا بعقدة الذنب والمسؤولية تجاههم، لكننا لا نستطيع أن نكون صورة تلك الفتاة المثالية التي صوروها بعقولهم، على أنها تسير كهيكل إلكتروني يبرمجونه كما يشاؤون.. كي يتصرف حسب تعليماتهم، إلا أن الحياة تسير عكس ما يتخيلون ويرغبون فيه.. في نهاية الأمر لسنا بدُمى بين أيديهم.. بل نحن بشر معرّضون لارتكاب الأخطاء في أي وقت دون رغبة منا في هذا الأمر..

هم لا يفهمون أننا نودّ أن نقتحم الحياة بلا عون منهم وأننا

أصبحنا كباراً وقادرين على تحمّل أعباء الحياة، لا يعلمون أننا حين نحب لا نفكر في اختيارنا.. قدر حاجتنا وراحتنا للشخص الذي أحببناه وأن لا يد لنا بما تجنيه نبضات القلوب علينا، فقد اخترنا مسار حياة عكس حياتهم وهذا الأمر لا يرضيهم ولا تستطيع عقولهم استيعابه، أمر صعب جدّاً أن نتأقلم مع أهلنا.. إن لم يتفهّموا رغباتنا، وكما قال الإمام علي بن أبي طالب «لا تربوا أبناءكم كما رباكم آباؤكم، فلقد خُلقوا لزمان غير زمانكم».

ردّت لين عليها مؤكدة وقالت لها.. إن بقيتِ داخل هذه القوقعة التي خلقوها لكِ.. بسبب ديانتكم فلن تكملي مع يزن وستفترقان لأجل التقاليد. عليكِ أن تدركي أن اختياركِ لحبيبكِ يعني أن تتخلي عن الجميع كي يكون لكِ كلّ الجميع.. لا أشعر أنك تملكين القوة الكافية كي تتحدي لأجله ولا القدرة عن التخلي عن كل الأمور التي تحدث بشكل طبيعي حولكِ من أجل كسبكِ إياه.. لذا تثبتي من رغبتكِ فيه إن كان يستحقّ فعلاً وستتخلين عن كلمة «مبارك» لأجله، لأن مجتمعكِ حينئذ سيرفضكِ معه.. لذا عليكِ أن تكوني قوية به دونهم.. أكملي ما بدأتِ، وإن لم تستطيعي أن تتخلّي عن كل هذه الأمور، فابقي بعيدة عنه لأجلكما.. أما بخصوص أهلنا، فقد صدقتِ.. أستغرب كيف يفكرون صدقاً، فقد صنعوا منا جيلاً ممثلاً ببراعة ورغم كل ما نمثّله أمامهم يصدموننا بتصديقهم لنا، إلى أيّ درجة يعتقدون أننا مثاليون وسط مجتمع كل شيء به منحرفٌ وغير صالح للإصلاح!؟.. عيبُ أهالينا أنهم يودون

أن يربونا كما تربّوا دون أن يسألونا عن قبولنا أو رفضنا لقرارهم هذا!..

قالت لها ميرال آآآآآخ يا لين لقد وضعتِ يدكِ على الجرح الذي يُقلقني وصدقتِ بقولكِ إن عليّ التخلي عن كل أمر لأجله وأن أتحلّى بالجرأة والصبر كي أستطيع التأقلم بحياته وهذا الأمر ليس سهلاً بالنسبة إليّ بتاتاً.. ولا تعتقدي أنني أفكر بهذه الطريقة لأني لا أود خسارة كل شيء.. فأنا أعلم أنه لا شيء سيكتمل حتى ولو ارتبطت بشاب من نفس ديني، فلا بد أن أختلف معه بأمور عدة وستحدث أمور بقربه عكس ما أرغب فيه، لكني أحاول دوماً أن أحصل على ما أشاء بأقل الخسائر.. ففي نهاية الأمر، لا أودّ الزواج إلا بشكل طبيعي.. برجل مقبول ممن حولي ومحبوب لدى أهلي.. أن أكون كأيّ فتاة طبيعية، ومن الطبيعي أن أفكر في هذا الأمر.. فكلنا نطمح إلى عيشة طبيعية وبسيطة.. ونسأل أنفسنا حين تواجهنا عراقيل كهذه، لمَ نحن دون البشر!؟.. نتعذّب من الحب ونشتكي ظروف العمر..

قالت لها لين: في حياة كل إنسان علّة ما، يشعر كأنها الأعظم والأكثر تأثيراً من غيرها.. لو رأينا ما يتحمّله الغير من أمور شائكة ومصائب، لعلمنا أن مشكلاتنا لم تتعدَّ مشكلاتهم بنسبة صغيرة، فكري قدر المستطاع لأني أعلم بما سيحدث معكِ منذ الآن.. لكني سأترككِ لتجرّبي مصيركِ معه.. وأتمنى من الله أن يسعدكِ ويحقق مبتغاكِ..

أنهت لين حوارها مع ميرال وهي تشعر بالقلق الشديد نحوها، وتمنت لها راحة البال وأن تكتمل علاقتها بيزن كما تشاء، ومن ثمّ ذهبت لتكمل عملها. وأثناء فترة العمل، تأخر الوقت وشعرت أن عليها أن تعود إلى المنزل، فجلست تنتظر السائق ريثما يأتي في مجلس الانتظار، لكنها لم تكن تعلم أن انتظارها سيكون موقتاً لموت أحدهم.

الفاجعة

تأخرت لين عن موعد عودتها إلى المنزل.. دقّ أحدهم باب بيتها، فتح أحمد باب المنزل فوجد صندوقاً كبيراً مغطىً بالورود، والسلاسل الحمراء.. مكتوب عليه إلى لين. وفي الساعة العاشرة وإحدى وعشرين دقيقة وبعد أن تأخرت لين. عن عودتها عشرين دقيقة كاملة، قرر أحمد أن يفتح الصندوق ليرى ما فيه من أشياء: طقم مجوهرات مرصعٌ بالماس والأحجار الكريمة.. عطورٌ عديدة، وعود وبخور، وحقيبة شانيل الأصلية، مع مجموعة مساحيق للوجه، وثوب سهرة أسود اللون... تعجّب الأب، لمن كلّ هذه الأشياء ولمَ هي على باب منزله تحديداً.. وإذ به يلمح مجلةً خاصة بالأزياء يحمل غلافها الخارجي صورة فتاة، كل ما فيها يضجّ فتنة وأنوثة وإغراءً للعين والنفس.. سأل نفسه: يا ترى من هذه الفتاة ومن تشبه!! بدأ يفكر، ويستذكر ويحاول التركيز في الصورة أكثر.. إنهما عيناها، أجل عيناها.. إنها لين لا لا، لا بدّ أني أتوهم.. من هذه الفتاة؟ وإذ به يجد العديد من الصور المنفردة.. إلى أن حطّت يداه على صورة أكثر دقة ليتحقّق أنها ابنته لين.

إنها لين!! صمت الأب صمت انكسار، تقدّم إلى الأريكة وأسند جسده، وصاح: لين ابنتي، لين ابنتي!! بدأ يحادث الصورة

دون وعي، عارية كالممثلات أنت لا تشبهين ابنتي.. من أنتِ، لم دخلتِ منزلي؟ أنا أحب لين.. إنها وحيدتي وسندي، أما أنتِ فلا أعلم عنكِ شيئاً فمن أنتِ، وبدأ أحمد يبكي كالطفل الصغير مفجوعاً بما رأت عيناه.

كانت الدموع تتساقط من عينيه كما لو أنها أمطار تهطل من سماء، لم يسقط منها مطر منذ ألف عام.. بات مشلول الحركة، وألف سكين تفتك في صدره.. لم يستطع أن يستوعب ما رآه، يحدثها فيكره نفسه.. يكره نفسه لأنه مدرك جيداً أنه لولاه ولولا قيوده التي قيدها بها، ما وصلت إلى هنا.. خرجت مريم من غرفتها، وسألت أحمد عمن طرق جرس المنزل دون أن تسمع منه أي ردّ... اقتربت منه لتجده مصدوماً والدمع لا يتوقف من عينيه.. صدمت بشدة، فهي لم تر أحمد طوال السنوات التي عاشتها معه وهو يبكي.. باتت تسأل نفسها عن الذي جرى، ولكن صدمتها بدموع عينيه قد حبستها عن التفكير.. اعترى الرعب مريم عندما رأت أحمد وهو ينهار.. وأصبحت عاجزة عن تحريك شفتيها.. أحمد يبكي!! لم أره يوماً يفعلها، إلا من سنوات طويلة.. حين مات بدر شُل تفكيرها هي الأخرى وكأن حالة من التجمد قد أصابت كليهما... لمْ تتحمّل مريم دمع حبيبها..

فهو طفلها رغم ما عانته بقربه من جفاف حياتيّ وعاطفي.. سقطت منهارةً أمام دمعه، لم تستطع أن تفهم الحرقة المتفجرة في عيني أحمد.. دمعه عظيم، لا يسقط إلا لأمرٍ عظيم.. فما الخطب

يا ألله وإذ بها ترى صورة بين يديه، ما استطاعت أن تلمح لمن هي.. فقد كان رأسه المنحني خيمة لها.. فظنت مريم أنها صورة وائل صديقه في العراق الذي سمعوا خبر إصابته بجروح شديدة من النشرة الإخبارية.. ظنت أنه قد مات، وعندما اقتربت منه كي تسحب الصورة من يده، دخلت لين إلى المنزل، وهي ترى والدها منهاراً على غير عادته.. قلقت، تشنّجت وفكرت في كل شيء... لم تعتقد قط أنه من الممكن أن تفضح أسرارها... سألت أمها عن السبب الذي أغرق والدها في البكاء، فقالت لها بصوت خافت، لا أعلم.. وأخبرتها أنها مصدومةٌ من حال والدها.. ثم اقتربتا منه وسألتاه ما بك: صاح أحمد: لقد ماتت لين، وسقط أرضاً وهو يصيح ماتت ماتت ماتت... هكذا إلى أن غاب صوته وغاب أحمد مع صوته، لا إسعاف ينفع، ولا صرخات مريم المرتفعة تنفع.. هرعت لين بين ممرات المبنى تصرخ، تهرول كالمجانين، أبي، أبي.. أنقذوا أبي، لا أحد يسمع.. بدأت تقرع الباب بكلّ قواها على جارها أبي سامر وما من مجيب... نزلت مريم إلى الشارع دون غطاء يسترها.. بدأت تسير وتصرخ بأعلى صوتها، أحمد، أنقذوا أحمد لقد مات... أنقذوه، لا أريد أن يموت أرجوكم.. أحمد مات مات..

أين الإسعاف؟ تجمّع الناس حولها، واقتربوا منها وأدخلوها المبنى، وهم يحاولون أن يفهموا منها دون جدوى.. فقد دخلت مريم بحالة هستيريا خطيرة، ولين ما زالت مصدومة.. فقد رأت

ما لم تره أمها بعد.. رأت صورتها في يد والدها القتيل، وتجمّدت دون أن تنطق بحرف واحد.. مات والد لين وماتت هي بعينيه قبل موته... الشعور بالذنب مؤلم جدّاً.

كانت لين على يقين تام بأنها مذنبة وخائنة لأمانة أبيها.. أبوها لم يقتل برصاص، ولم يمت جرّاء حادث عرضيّ في الطريق، بل مات بسكين انعدام الثقة من أغلى مخلوق كان يثق به في هذه الحياة، ابنته لين. سارع طبيب من البناية المقابلة ليفحصه ويرى إن كان به نبض، لكن ويا للأسف كان جسمه قد أصبح بارداً، ووجهه مصفرّاً.. مات أحمد، وماتت معه كل سنوات البؤس والمعاناة.. ودّت مريم أن يُدفن أحمد في جوار بدر في مسقط رأسه لبنان، لكن تكاليف نقل الجثمان باهظة جداً، فقرروا دفنه في السعودية.. حاولت لين التواري عن أنظار والدتها للحيلولة دون وقوع مواجهة لفظية بينهما.. لكن نظرات مريم كانت كفيلةً بجلد لين بسوطٍ فتّاك ومؤلم يغني عن تلك الإهانات التي كانت ستتلقاها.. مضى شهران، لم يتغير على لين ووالدتها الوضع، فقد كان وجود أحمد في حياتهما كعدمه.. فلين هي التي تعمل وتجلب النقود، وأحمد يقوم بتخزينها وإخفائها.. وقد وجدتا معه ما يقارب مئة ألف ريال سعودي..

عادت لين إلى عملها وعادت حياتها كما السابق، رغم أن علاقتها بوالدتها باتت مشتتة... إلا أنها اعترفت بكل أخطائها، وأخبرت والدتها بعلاقتها بجود، وأنها قد أجهضت طفلها.. وأنها

تمنّت أن تعيش حالة الأمومة، إلا أن الزمن والموقف كانا أقوى من أن تحتفظ بطفلٍ قادم عن طريق علاقة غير شرعية.. أخبرتها أن لا ذنبَ لها بما حدث، وأنها أحبته بلا وعي، ما كانت تظن أنها ستفقده وتكمل حياتها دونه.. حاولت مريم أن تتفهّم موقف لين، وأن ما حدث لأحمد هو قسمة ونصيب، وأن عمره قد انتهى عند تلك الساعة ولا قدرة للإنسان على إيقاف عجلة الموت وتعطيلها..

قررت أن تخضع لعمل لين، لأنه مكسب رزقهما الوحيد، وقررت أن تحتفظ بالمبلغ الذي وجدته لدى أحمد كي تضيف عليه وتشتري منزلاً لها وللين في لبنان.. فهي لا تودّ أن تبقى ابنتها مغتربة عن وطنها، تودّ أن تعود إلى الأرض التي عاشت بها مع أحمد ودفنت بها طفلها بدر... حاولت مريم أن تمسك بزمام الأمور، وأن تراقب لين وتهتم بها أكثر مما سبق... صارت لين ولأول مرة تشعر أنها حرة تعيش بشخصية واحدة، ولا تحسد ميرا وصديقاتها على طبيعتهن أمام عائلاتهن.. باتت سعيدة بنفسها وبصدقها، رغم أنها ما زالت تشعر أن ذنوبها لن تغفر أبداً.. لم تكن لتنسى جود قط، لكنها تناسته بعد ما مرت به من صعاب بسببه.. بدأت حياتها تتغير بشكل جذري، تتواصل عبر المواقع الاجتماعية بكل أريحيّة أمام والدتها.. أضافت الكثير من الأصدقاء عبر حسابها في الفيس بوك، ومن بينهم كان ذاك الشاب رافي.

رافي

لبناني الجنسية يعيش في كندا، كان كاتباً مشهوراً، كتب رواياتٍ شهيرة ولديه الكثير من الفتيات في حياته... إلا أن لين كانت القصيدة اللافتة في حياته.. والومضات المثيرة التي جذبت انتباهه، انجذبت له رغم يقينها أنها لن تستطيع أن تمنحه الحب.. كان يتابع تفاصيل يومياتها بصمت، إلى أن جاء يومٍ وكتب لها أمام الجميع في تعليق على أحد منشورات الحائط: اتركي كلّ هؤلاء البشر وكوني لي وحدي، تعالي فأنا أحبك يا لين.. اتركي الجميع وكوني زوجتي في شرع الله بعيداً عن عالم المنحرفين اجتماعيّاً..

صدمت لين، وقد بدأت تستقبل الرسائل والتعليقات من الأصدقاء والمتابعين.. إنه شخصٌ جريء، ولا بدّ أن تمنحه فرصة كي لا تندم إن قرر بسبب تجاهلها أن يغيب.. فبدأت تحادثه يوميّاً، وتشعر أنه شخصٌ غريب الأطوار، مستفزٌّ يحب نفسه بشكل غير اعتيادي، لكنه يحبها كما لو أنها نفسه.. حاولت أن تقترب منه، إلا أنها ترددت كثيراً... وبعد مرور الوقت، كتبت على الحائط الخاص بحسابها الفيسبوكي..

ذاك الرجل الذي كتب لي منذ أشهر تعليقاً يقول فيه أمام الجميع «أحبك» وطلب مني أن أتخلى عن هذا العالم الإلكتروني

وأكون له واقعاً وتجاهلته، إن عاد فسأتزوجه وأعيش ساعة في اليوم لكم وكلّ العمر له.. لم تدرِ لمَ كتبت تلك الكلمات.. هي لا تشعر شيئاً تجاه رافي ولم يحدث بينهما شيء، كانت تظن أنه الفراغ العاطفي يرغمنا أن نصنع أشياء مضحكة أحياناً.. وأكملت لين حياتها دون ضوضاء... وأصبحت تخرج في يوم إجازتها مع والدتها إلى الأسواق التجارية، وعرّفتها إلى أمهات صديقاتها، وأصبحت حياتها أكثر استقراراً من السابق..

لكن جود كان يتملك كلّ فراغٍ فيها يقتحم خلوتها، تحاول أن تترقّب أخباره عن بعد كي لا تؤذي كرامتها إن شعر أنها ما زالت تفكر فيه.. تسأل نفسها دوماً، هل تزوج ابنة خالته الحمقاء! أين هو الآن في السعودية، في الأرض نفسها التي أسكنها.. لكن سرعان ما تحرم نفسها من التفكير فيه كي لا يحاصرها شبح الحزن، ويجعلها مستيقظة والدمعُ والخوف والقلق والصراخ يعبث فيها وفي روحها، وفي كل الأمور السيئة.

كانت مريم ترافق لين إلى منزل صديقتها ميرا.. فقد استعادت ميرا قواها وعادت إلى عملها وارتبطت بشخصٍ أحبها، وأنساها عبد العزيز الذي ابتعد عنها باسم الطوائف والتقاليد.. وكنّ يسهرن ويتجاذبن أطراف الحديث ويخففن أعباء الحياة وهمومها بعضهن عن بعض وذات مساء قررت لين أن تذهب إلى أحد المجمّعات التجارية مع والدتها إضافة إلى ميرا ووالدتها كي يتسوقن قليلاً، ويتناولن العشاء في أحد المطاعم، وأثناء جلوسهنّ.. ذهبت لين

إلى دورة المياه، وحينما سارت قليلاً، وقعت عينها على شاب كان يتتبّعها وبعينه نظرة لم تفهم تفاصيلها.. تجاهلته، وإذ به يقترب منها ويطلب منها أن تسمعه قليلاً.. قالت له: ماذا تريد مني، عليّ الذهاب فوراً.. تمنّعت في البداية، لكن الفضول تملّكها... طلب رقمها فقالت له: أنا لا أتصل بأحد، خذ رقمي إن شئت أن تحدثني.. بدأ التفكير يتقلّب بداخلها، سألتها مريم لمَ تأخرتِ!! قالت: إنها توقفت لترى ثوباً في المحل المجاور لهن.

عادت إلى المنزل، وحينما نامت مريم صارت تفكر من هو!؟ وما هذه الجرأة التي يملكها كي يتجرّأ على إيقافي أمام الجميع.. «المرأة تحب الرجل الواثق، وتحديداً حينما يكون ثابتاً وجريئاً».. لكنها تخشى أن تتسرّع..

قال لها عندما سألته عن سبب رغبته في الحديث معها، إنه لا يودّ منها إلا كل خير، وإنه سيخبرها في الوقت المناسب.. ظهرت رسالة من الشاب عبر الواتساب.. سألها عن حالها، فحاولت أن تتغابى وتسأله من هو!! وأنه مخطئ بالرقم.. اعتذر منها لكنها شعرت أنها حقيرة، وقررت أن تعتذر منه وتسأله ماذا يريد منها.. إنه معجبٌ جدّاً بها.. بدأ الحديث بينهما يوماً تلو يوم، فلين تشعر بجفاف عاطفي ومن الطبيعي أن تنجرف بمشاعرها أمام أي شخص معجب بها ويستطيع أن يعزّز عاطفتها ويسقيها من ماء الحب.. حاول عبد أن يتقرّب من قلب لين، ويغمرها بالحب الجميل لكنها كانت جافة معه ولا تفكر في أي أمر جدي معه.. فكلما فكرت

أن تقوي علاقتها بأي شخص تعرفت إليه بعد جود، عادت صورة جود أمامها كما لو أنها لم تفارقه.. رغم أنه قد مرّ على فراقهما ما يقارب السنة ونصف السنة، إلا أنها بقيت تتتبّع أخباره دوماً، وتسمع أغنياته كما لو أنها مهداةٌ لها.. حاول عبد أن يتملك حياتها بشكل يومي، إلا أنها كانت تصطنع الحجج والمبررات كي تبعده عنها.. فهي لا تحبّه وهو طامع في الزواج بها.. كان يكتب دوماً للين، بدأ كتابة الشعر من جديد لأجلها.. كان يراقصها دوماً على أغنية ماجدة الرومي:

«يسمعني حين يراقصني كلمات ليست كالكلمات» وحتى بعد رحيلها عنه ومفارقة وصله، ظلت تتابعه من بعيد عبر برنامج «السناب شات» تراه من خلاله ليسمعها دوماً أغنية ماجدة، وهو على يقين تام أنها سوف تسمعها وتقرأ كل ما يكتبه لها.. أجل هي كانت تفعل كلّ ما اعتقد، ليس حبّاً لها بل حبّاً لحبه لها..

في المقابل، كانت تخشى أن تكون خاصيّة برنامج السناب شات تتيح للأشخاص معرفة عدد المرات التي يكرر بها الشخص مشاهدة الفيديو أو الصور، كي لا يرى جود عدد المرات الإجرامية التي رأت بها لين صوره خلال أربعٍ وعشرين ساعة لمشاهدة الفيديو من العامة..

هي تحب الطمأنينة التي كانت تشعر بها تجاهه، رغم علمها أنه رجل لا يصلح لامرأة مثلها، لأن ذكاءها يفوق علمه ومعرفته بالحياة.. كانت دوماً تنعته بالغبي، ورغم ذلك يبتسم لها كما لو

أنها قالت له أنت عيدي... كان يجلب لها دوماً لوحاً من الشوكولا وتحديداً «الجالاكسي» وترغمه على تناوله معها كي تتذوق طعم شفتيه مع طعم الشوكولا المفضلة لديها.. لكنه كان يتمنّع دوماً بسبب الحمية التي يقوم بها، لأجل نظامه الرياضي.. هي تعلم أن جود، إنسان أناني وأحمق في بعض الأحيان وأنه لا يستطيع إسعادها أو منحها الأمان الذي تطمح إليه، مع أي رجل في العالم..

تعلم كلّ العلم أن ارتباطها بشخص مثله، يعتبر في قمة الجهل.. لم يجلب لها ورداً ولو مرة واحدة... ولم يهتم بشؤونها كثيراً ولم يتابع معها مسلسلها الهندي المفضل، فقط كان يغني لها ويعزف كما تحب ويدللها حينما تكون بين يده فقط ومن بعدها ينقلب حاله إلى حال مختلف تماماً عما كان عليه، فهو رجل شتويّ بامتياز يفتخر ببروده أمام مشاعرها، وهي امرأة لا تهوى البرود..، برجها ناري.. حياتها برقٌ ورعد وأعاصير، ومشاعرها أمامه باتت لامبالية، ودقات قلبها تثلّجت.. فبردُ قلبه قد أطفأ اشتعالها وانفعالها وثورة مشاعرها باحتراف، لذلك رحلت عنه وما زالت تترقّبه من بعيد.. لأنه أول دقة قلب هتفت في داخلها.. وأول رجل أرعش قلبها من لمسة يدٍ واحدة.. ففي عينيه سحر، يجعلها بكل غباوة تنحني له وتستسلم أمامه..

في الليل فقط كانت تتحرك العاطفة في قلب جود، حينما كان يحدّث لين وينام على صوتها.. يعشق أنوثتها، يغار عليها يغني لها كما لو أنه شخص آخر غير ذاك الذي في النهار... وهذه اللحظات

تحديداً التي كانت تشدّ لين إلى جود.. لكنها قررت أن تتخلى عن كلّ رجل يحاول الاقتراب منها بعده وبسببه.. وعاد رافي ذلك الرجل الثلاثيني، الذي يملك أفكاراً غريبة بالنسبة إليها، ويحبها بطريقة غريبة لا تشبه حب بقية الرجال لها.. فقررت أن تحدثه، رغم أنها لا تعرف إن كان يشدّها أم أن وجعها من جود قد منعها أن تحب من بعده.. كتبت له رسالة قائلة له فيها: هل ما زلت على قيد الحياة!!

فقال: أجل، ما زلت صغيراً والحياة رغم عدمها أمامي إلا أنها تحبني ولن تقبل أن أغيب..

- كيف الحياة معك!!

- ملح وسكر، لا بأس بها...

- أعتذر إن سببت أي إِزعاجٍ لك..

- لا إزعاجَ أبداً.. أنتِ لستِ بغريبة عني ويحق لكِ أن تحدّثيني وقتما تشائين.

ثم قال لها: «على فوقة»..

- كيفو قلبك! بعدو فيكِ نبضي بينبض..

بعدو بيعرف معنى الحب!!

- قلبي بقلبك.. بعدو معلق.

مش قادر ينسى ولا من بعدك يتعلق...

- بعدو بيعشق! بعدو بيقلق!!

- متل الأول ويمكن أكتر.. بعدو بيحلم بعدو بيسهر

وحلمو بقربك بعدو أبيض.. يمكن زعلو تلون أسود

بس الحب الطاهر بيبقى جوا بقلبي.. فيك معلق».

- هل ما زلت تفكر بي رغم كلّ تجاهلي؟

ردّ بكل حب: أجل يا فاتنة المملكة..

- لا أودّ أن أفسد عليك حياتك وأسمّمها بمشكلاتي الحمقاء في كل مرة سنلتقي..

يجب علينا أن نهيئ أنفسنا للوداع..

أودّ أن أبقي ما بداخلي لك، دون أن ألوّثه بمشكلاتنا البلهاء..

أحببت أن أطمئن إليك لا أكثر..

فأنا أفكر أن أعود إلى لبنان، ألا تودّ أن نلتقي؟..

قال لها، لا أودّ..

فكتبت له..

رافـي..

هل للقلب أن يهوى بعد حماقاتك حبيباً!...

لم أشعر بتاتاً بروعتك، بل شعرتُ دوماً بغباوتك التي كانت تشدّني إليك دون أن أعلم ما السبب.. ربما لأنك استطعت أن تلمس كلّ ما بي دون أن نلتقي، وربما لأنك حرّكت كل ذبذبات مشاعري دون أن تنطق بأي حرف غير عادي.

الحب أنت ولك كلماتي أينما كنت يا أنت.

اسمعي يا لين، كلما شعرت باقترابي منكِ، ابتعدت أكثر، فأنا عنيدٌ في حبكِ ولا أود أن نلتقي كي لا يذبل هذا الحب عند أول

نظرة، فإن قررت أن أعود إلى بلادنا كي نلتقي، حينئذ ستكون حتماً نهايتنا..

ومن بعدها لن نلتقي أبداً..

تجاهلت لين حديثه وقد بقي كلامه المبعثر عالقاً في ذهنها إلّا أنها قررت أن لا تهتم لأجله طالما أنه لا يود رؤيتها على أرض الواقع.

بقيت مريم جالسة في الصالة أمام التلفاز.. مع الهدوء والفراغ القاتل الذي كان يتملّكها كامرأة دون رجل، جلست تتذكر شريط حياتها مع أحمد، حينما قال لها عندما كانا في العراق:

حبي لكِ يمكث داخل هذا القلب، ضعي يدكِ واسمعي موسيقى النبض.. فلا بدّ للأرض أن تصرخ باسم حبنا يوماً من الأيام، وتعلم الأرض بأحلامنا ونبضاتنا يا زهرة بغداد.. حبكِ يجري وسط قلبي، مثل نهر دجلة في العراق.. ستكونين حلالي يوماً ما وسنصلّي داخل أسوار القدس لنبارك هذا الارتباط وسنسير في شارع النيل بمصر، وسنشرب قهوتنا السوداء أمام ميناء عدن، وسنرسم أحلامنا أمام جبل قاسيون في سوريا وسنضع «أقفال الحب» على جسر «بون ديزار» الشهير المقام فوق نهر «السين» في باريس.. وستقرئين كُتبكِ المفضلة في قهوة نزار.. الممتلئة بالصور الشعرية، والأغاني الكاظمية والحروف النزارية والدرويشية... بين الطرب والجمال بالأردن، وستتنزّه في أزقّة بيروت ونمرّ بالمركب

الصغير تحت صخرة الروشة.. إنها بلادي ستعجبكِ جدّاً، إنها جميلة كعينيكِ يا مريم وكم جميلٌ هو حظي بكِ وكم أتمنى أن تكوني حلالي يوماً ما...

تذكرت مريم كلام أحمد، وترحمت عليه.

هي تعلم أنه إنسان جميل الروح، نقيٌّ عكس ما أظهره... فلو كان يستطيع أن يحقّق أحلامه معها لما تأخر ثانية واحدة.. لكن الفقر، أجل الفقر يكسر أحلام الإنسان، ويحطّم الحب والآمال..

هي تتذكر أحمد، صاحب المكتبة الصغيرة التي تحمل اسم عاصمته بيروت، إلا أن تلك المدينة كانت واسعة جدّاً وكل شيء فيها مثيراً للدهشة، فقد وجد بها أفكاراً منفتحةً جدّاً مخالفة لم اعتاده ولم يستوعب عقله ما رآه فيها... حتى أنه لم يستطع أن يفتح مكتبة فيها، خوفاً من أمورٍ هو ذاتها يجهلها، لكنه استسلم وبات جاهلاً منذ أن أقفل أبواب مكتبتة في العراق.. رغم أن لبنان بلد الثقافة والأدب، بلد الشعر والطرب.. أبيات جبران تتغنى به، وصوت فيروز يصدح كل يومٍ منه.. هو بلد يحمل من الثقافات أنواعاً مختلفة... كانت تتمنى أن تكمل حبها معه كما حلما به، مع ذلك كانت قنوعاً ولا ترغب أكثر مما قسمه الله تعالى لها.. نامت مريم وهي تحتضن صورة أحمد بين ذراعيها.. وفي صباح اليوم التالي استيقظت لين على سبعة اتصالات من عبد.. قلقت وسألت نفسها ما خطبه من الصباح!! ولم تشأ أن تردّ عليه.. نهضت وقررت أن تجلس لتتناول الطعام مع والدتها، ومن بعدها ترافقها

إلى المكتبة كي تشتري لها بعض الكتب الجديدة.. وحين كانتا جالستين، رأت مريم لين سارحةً بخيالها بعيداً عن الواقع، فنادتها عدة مرات دون أن تجيب.. فهزّتها من كتفها، فارتعش بدن لين وقالت: ما الأمر يا أمي!! فأجابتها: أنا أم أنتِ؟ أين كنتِ سارحة يا عمري.. أنا هنا معك.. فأجابتها: لا لست معي..

كانت مريم تشعر بابنتها، وأن هناك أمراً قد اقتحم حياتها، أو أن سرّاً ما تخبئه.. فقالت لها: اسمعي مني يا لين ما سأقوله لك... أودّ أن أحميكِ من غدر الزمان.. أنا أمك والله أعلم بما أعلم..

- ما الذي تعلمينه يا أمي!!

- قلبك يا لين..

- ما بال قلبي!

- لا يزال عاشقاً وحائراً في الوقت نفسه..

- هههههه، أمي أنا بخير لا تقلقي..

- لا أقول لكِ نكتة كي تضحكي هكذا..

- متأسّفة يا أمي، لكن لا يوجد شيء من هذا...

- لا تكذبي، فأنا أمك وعائلتك..

- أعلم يا غاليتي ولذلك قلت لكِ إني بخير..

- لكن بخير كلمة تقولينها كي تريحيني..

- أمي، لقد كبرت بما يكفي كي أتحمل كل ما سيواجهني..

- إلا الحب يا لين، ستبقين جاهلة به طوال السنين إن لم

تجدي الشخص الذي يستطيع بكامل رجولته وقلبه أن يسعدكِ..

- أمي، أنت أذكى امرأة مرّت في عمري.. أحزن كثيراً لأجلك لأنكِ لم تعيشي العمر كما يليق بفكركِ وقلبكِ..

- لا تخشي عليّ، اهتمي بنفسكِ وسأكون بأفضل حال...

لنا الله يا أمي.. ولكِ قلبي يا عمري، لذا عليكِ أن تسمعي مني حتى لو لم ترغبي أن تخبريني بما يدور في قلبك..

أنا أعلم أن هناك رجلاً يتحكّم في مزاجيتكِ المتقلبة..

تارة يسعدكِ وتارة يقلب حالكِ ويؤذيكِ..

- لا يا أمي..

- لا تقولي شيئاً ولتسمعي مني بعض النصائح التي ستفيدكِ كي تحافظي على من أحببتِ..فأنا أعلم جيداً أن هناك حبّاً عظيماً يسكن قلبكِ.. كي يسعدكِ ولا ينزعج منك، كي يحبكِ ويغرق في عينيكِ، حاولي أن تكسبي أولاً ثقته كي تستطيعي أن تكسبي قلبه.. فالثقة أساس كلّ العلاقات.. لا تخرجي عن طبيعتكِ، فمن المحال أن يحبكِ وأنت مصطنعة بشخصية لا تشبهكِ، ظنّاً منكِ أنه سيحبكِ... فمن السهل جدّاً أن يفرق الرجل بين الشخصية الحقيقية والمصطنعة.. كوني خفيفة الظل لا ترتدي دوماً ثوب الجدية.. مازحيه، ضاحكيه، وإياك أن تبكيه.. اتركي مساحة في علاقتكما.. لا تتعمقي، كي لا تفقديه ويقتلكِ أثر الشك

ولا تبتعدي كي لا تجعليه يرحل إلى غيركِ، ولكن ابقي ما بين بين..

لا تكوني ثرثارة وتتدخلي في كلّ كبيرة وصغيرة، سيملّكِ ويبغض وجودكِ.. كوني ذكية ومؤمنة دوماً بنفسكِ، فالرجل يحب المرأة الذكية التي تسحره بثقافتها وتكون له مرآةً لذاته أمام أي سؤال يقف في جدار عقله.. فهو يحب أحياناً أن يشعر بكيانكِ ويأخذ رأيكِ في قراراته، ويحدثكِ عن بعض مواقفه وبعض اختياراته المستقبلية... ويحب أن يسمع منكِ أفكاراً ذكية... يحب جدّاً أن يرى بامرأته الأنوثة العفوية، والثقة غير الاعتيادية.. دعيه يرَ بكِ كلّ ما يراه بنفسه من ثقة.. فالرجولة ثقة، والأنوثة عنوانٌ يتحدى كل المصاعب بكل ثقة.. حاولي أن تخرجي أنوثتكِ في الوقت المناسب، ولا تبالغي في مساحيقكِ والأزياء... فالأنوثة براءة، ودلال خجول.. وجمالٌ يفتن الروح قبل العيون... آمني بنفسكِ ومبادئكِ، فالرجل يحب في المرأة مواقفها وقيادتها للأمور، وثقتها الكامنة بنفسها أمام الاستفزازات والتحديات مهما كان حجمها.. ادعميه في أشدّ حالات ضعفه، وضعي ثقتكِ به في أكثر الأوقات التي ترينه بها مزدحماً بالضغوطات.. ولا تكوني مادية، وتتطلّبي وتطلبي الهدايا الثمينة والملابس الباهظة الثمن.. دعيه لظروفه، وثقي أنه سيدللكِ كأنثى، ويمنحكِ كل متطلباتكِ بكل حب حينما يقتدر.. عامليه بلطف، حتى لو أغضبكِ.. عاتبيه، خاصميه.. لكن، إياك أن تهدّديه بالرحيل.. الرجالُ كالأطفال يحبون الدلال مثلنا تماماً، لكن بطريقتهم الخاصة..

عبّري له عن شعوركِ بكل شفافية ووضوح.. دعيه يفهمكِ عن كثب، وحينما تشعرين أنه انزعج أخبريه أنكِ تحبينه وتحبين أن يحبكِ كما أنت.. فمن يرغب أن يتزوجكِ عليه ألا يفكر في تغييركِ، بل عليه أن يحب كلّ ما فيكِ من سلبيات وإيجابيات.. فليس هناك إنسانٌ معصوم من الخطأ..

اهتمي باهتماماته، حتى لو عاكست اهتماماتكِ... شاركيه الحديث في موضوعاته المفضلة، وأطعميه من يدكِ... أحبي أكلاته المفضلة..

- كفى يا أمي، كل هذا!!.. إذاً ما عليه أن يفعل لأجلي، إن كان عليّ أن أفعل له كل هذه الأمور.. لا أحب أن أكون ملاكاً، كي أُرضي محبوبي..

إذاً لمَ لم تنجح علاقتكِ مع أبي؟

- أبوك يا لين هو أعظم رجل في الوجود رغم كل سلبياته، لكني كنت أراه بعين الحب.. لا أحد يعلم ما يدور بين الرجل وامرأته سوى جدران غرفتهما.. إن ظهر لكِ الوجه الحازم من أبيكِ، فهذا لا يعني بتاتاً أنه شرير.. أبوكِ تعامل معي بكل حب، وحينما تكونين في عملكِ، كان يحدثني عن حبنا، وأحلامنا التي لم تتحقق.. لكنه كان يقول لي، رغم أني لم أحقق لكِ أبسط حقوقكِ كحبيبة قبل أن تكوني زوجة لي، لكن ما عاهدتكِ به لم أخلف به.. حافظت عليكِ، ولم أبتعد عنكِ... كنت أخاف عليكِ من شرّ الدنيا،

لأني أحببتكِ كثيراً.. كنت أنانياً بكِ وأردتكِ لي.. أبوكِ حتى آخر يوم في عمره، بقيَ محافظاً على كلمته التي لم يتخلَّ عنها حتى في عزّ مرضه أو غضبه..

- وما هي يا أمي!!...

- كان يقول لي كل صباح، ما أجملكِ يا مريم.. تشبهين اللحن القيصريّ في هدوئكِ، وتشبهين قصائد الغزل في ملامحكِ... كل يوم أراكِ أجمل مما سبق، تكبرين وتظلين مدللتي...

- أبي!! كان يقول لكِ هذا الكلام؟

- أجل يا لين، ما تجهلينه عن أبيكِ أعرفه جيداً، لأنني تعمقت فيه، ومنحته الحبّ والصبر والاهتمام.. لكنكِ لم تحاولي يوماً أن تتعمقي فيه، فقد كنت تخشين الحديث معه، ومناقشته.. حتى أنكِ لم تمنحيه ضحكاتكِ..

- أجل يا أمي لم أفعل، لأنني كنت أخشى منه.. كنت أرى الغضب في عينيه دائماً..

لأنكِ لم تفهميه.. إن كنت ترين الغضب في عينيه، فأنا كنت أرى الطيب والحب.. في العينين نفسيهما، لكن كلّاً منا يرى بعينه كما يشاء.. لو حاولت أن تريه في قلبك، لما كرهته تلك الأيام..

- معكِ كل الحق يا أمي، أشعر أني قد ظلمت أبي ظلماً كبيراً..

- لا يا لين، قدّر الله وما شاء فعل.. لا أحد يغيّر حكمة الله..

وأبوكِ كان يحبكِ جدّاً، وكان يحدثني كم هو فخور بكِ وبشجاعتكِ.. وقدرتكِ على تحمّل مسؤولية كبيرة في هذا العمر.. كان يقول لي إن ثقته بكِ كبيرة، ولذلك حصل ما حصل ذاك اليوم، رحمة الله عليه..

- أجل أنا السبب يا أمي..
- لا تقولي هذا، هو أيضاً لم يحاول أن يقترب.. هذه قسمتكما في الحياة، حسّني من نفسك، وعيشي كما تشائين.. شرط أن تميّزي بين الصواب والخطأ..
- سأفعل إن شاء الله، فأنا أحب أبي كثيراً وأودّ أن أعانقه الآن..
- عانقيه، فهو يشعر بكِ..
- حقّاً!!
- أجل..
- كم أنا سعيدة يا أمي بما قلته عن أبي، فقد كنت أجهل عنه الكثير.. أجهل ما كنت أتجاهله في حياته، ولم أعلمه إلا عند مماته..

لكن يا أمي إن كان عليّ أن أمنح الرجل كلّ ما قمت بذكره، إذاً ماذا تبقّى له كي يهديه لي؟

- سيهدي لكِ الأمان والحب والثقة، وسيكون حينئذٍ رجلاً معكِ..
- وما هو تعريف الرجولة يا أمي!!

- الرجولة، احترامٌ وأخلاق وشهامة وأمان وصبر وتحمل.. الرجل وطنٌ يتحمل، يتحمّل كل أعباء شعبه، وكل تقلّبات فصول السنة.. وكل الحروب التي تقام على أرضه...

شردت لين ثانيةً وقالت في نفسها..

لم تكن يا جود وطناً كالذي تحدثني عنه أمي... ثم استدركت الحديث مع أمها وقالت:

ما أروع وصفكِ يا أماه.. وهل هناك رجل يحمل كل هذه الصفات؟

- نعم.. حينما تمنحينه الحب السليم، سيكون رجلاً معكِ ولأجلكِ ولن يكون رجلاً عليكِ.. بل سيخاف عليكِ أكثر من نفسه، وسيؤذي نفسه إن شعر أنه سيؤذيكِ..
- أشعر أن كلامكِ مدوّنٌ في روايات الخيال..
- اشعري بما شئت، لكن ثقي بأملكِ يا غاليتي..
- ثقة الكون وضعتها بكِ.. يا رباه كم أنا فخورٌ بكونكِ أمي..

شعرت لين بالراحة رغم أن غياب جود قد اغتال فرحةَ أيامها، ومزاجية أحمد قد أفسدت ثقتها أمام ذاتها.. لكنها قوية بما يكفي كي تتحدى كل هذه الصعاب.. فهي تستمدّ قوتها الآن من والدتها.. فرغم ظاهر مريم الضعيف، إلا أنها امرأةٌ ذكية للغاية، تحسب الأمور بكل هدوء كي لا تتعرّض لخطأ هي بغنىً عنه.. وتحديداً بعد خطئها المعيب الذي ارتكبته حينما هربت مع أحمد من العراق..

اتجهت لين إلى عملها.. بعد أن انتهت من التجوال مع والدتها.. وقد وجدت اتصالات عبد العديدة، فقررت أن تخبره برغبتها الأكيدة أنها لا تودّ محادثته.. كانت تتعمّد الصدّ في كل مرة يحاول أن يحادثها؛ فالقسوة في بعض الأحيان مؤلمة، لكن لا بدّ من وجودها في بعض المواقف، كي لا نؤذي الأشخاص الذين يحبوننا أكثر من أذيّتنا السابقة لهم.

حملت هاتفها وفتحت برنامج «الواتس» ودخلت على اسم عبد، وكتبت:

كيف حالك!!

- أنا بخير، كيف حالكِ أنتِ.. لقد اشتقت إليك.

- أنا بخير، لكن هناك موضوعاً هامّاً يجب أن أحدّثك به...

- ما هو!!

- في بداية معرفتي بك، اتفقت معك على أمر ما، صحيح!!

- أجل...

- إذاً ها قد حان موعد الرحيل..

- لم أفهم عليكِ...

- أتمنى ألّا تأخذ على خاطركِ مني، فقد قررت الارتباط، وقريباً سوف تتمّ خطبتي من شخص أحبته وأودّ الارتباط به، ومن المؤكد أنك ستتفهّم موقفي وقراري...

انزعج عبد وكاد يُجن، فليس من السهل على أي عاشق

أن يسمع ممن أحب أنه سيرتبط بسواه، حتى لو كان يدرك الأمر سلفاً...

- لين، هل لي أن أهاتفك الآن؟ فأجابت:
- هل من الضروري أن نتكلم!!
- لا بأس، كما تشائين، أتمنى لك الهناء والتوفيق...

كانت لين تخشى المواجهة.. تخشى أن تسمع الغضب بصوته وتستسلم رغماً عنها لأمر هو محسومٌ لديها أساساً.. لكنها لم تشأ كسر خاطره وقالت له: حسناً لا بأس هيا فلتهاتفني..

رن هاتف لين، لكنها لم تُجب أول مرة.. وعندما ردّت في المرة الثانية، قالت له: هل أنت غاضبٌ مني؟

- سوف أختصر لكِ الكلام يا لين، كانت كل أمنياتي أن يصبح لي في قلبك نبضةٌ.. منذ أن عرفتكِ عاهدتكِ أن أكون رجلاً معكِ لا عليكِ، وسوف أبقى على عهدي حتى لو لم تكوني لي..

اضطربت مشاعر لين وقالت له:

- عبد، هل أحببتني حقّاً، أم أنك كنت تعشق وجودي!!
- «لين أنا أحبك» وتمنيتكِ حلالي مع كل دقة قلب... تمنيت أن تكون عيناي حلال عينيكِ، وحلمت أن تسكن نفسي نفسكِ.. فوجودكِ في عمري كان بالنسبة إلي حياةً أخرى لا تشبه الحياة التي كنت أعيشها قبل رؤيتك.
- لكنك لم تخبرني سابقاً برغبتك في الارتباط بي...

- أنتِ منعتني، أنا لا أتعدّى حدودي، وأعلن رغبتي فيكِ... أنا لا أستطيع أن أخون ذاكرتي أو أخونكِ.. وما زلت أذكر كلّ ما قلته لكِ منذ أن عرفتكِ، فقلبي يحمل اسمكِ، وعقلي قاموسٌ يحتفظ بكل كلمة خرجت من أطراف شفتيكِ.. لقد ظلمتني يا لين، ظلماً عظيماً... فكم سبق، ورددت كلمة أحبكِ، وكنتِ تتجاهلين.. ألا تذكرين؟ قلت لك حينئذ، إن دقات هذا القلب تنبض بكِ... لا تظلمي قلبي وإحساسي تجاهكِ.. لا تلومي عشقي وترسليه إلى منصّة الإعدام.
- لكن يا عبد.. هناك فرقٌ شاسع بين الحب والارتباط... أعلم أنك تحبّني، ولتعتبر أن قراري أحمق.. لكنني قد اتخذت قراري وانتهى الأمر..
- لا تظلميني، فالظلمُ جريمة لا تُغتفر... أنا لم أتكلم بموضوع الارتباط فيما سبق لأنها رغبتكِ فأنا رجل لي عقل واعٍ.. أستطيع من خلاله أن أفرّق بين الحب الموقت والحب المؤبد... لن أتحمّل رحيلكِ، فقد احترمت رغبتكِ في اللاحب، وقبلت أن أحبكِ من طرف واحدٍ، على أمل أن يأتي يوم وتتحرك فيه مشاعركِ تجاهي.. لكني لم أتوقع أن يأتي يوم وتحرميني به من نفسك، إنه ظلمٌ مميت.

صمتت لين، وشعرت بالخيبة من نفسها القذرة...

قال لها: هل شعرتِ بظلمكِ لي؟

- أنا آسفة جداً يا عبد..
- هل لكِ أن تقولي الآن إنكِ لم تظلميني، لقد ظلمتني وحرمتني، وكسرتِ قلبي الذي كان يغفو على أمل أن يراكِ حلماً، ويصحو ليجدكِ في يومٍ من الأيام واقعاً أجمل مما كان يحلم به.
- ما وددت أن أجرحك عن سابق إصرار يا عبد... لكني لم أكذب عليك بمشاعري، لم أمثّل عليك الحب، وأسرق من أنفاسك الحياة..
- لين..
- نعم
- هل تعرفين ما يعني الحرمان!!
- أجل..
- إذاً كيف لكِ أن تحرميني نفسكِ!

وعدتكِ بكل خير... رأيت بسمتكِ، جنونكِ، حتى غضبكِ... ولم أملّ وجودكِ، ولم تنطفئ ناري التي تشتعل أمامكِ بعد كل الأيام التي مضت، فلا تلوميني على أمر قد خرج عن إرادتي، وكنت أرغب فيه وأتمناه بكل ما فيّ!! غلط كهذا، كيف لكِ أن تقترفيه مع شخص مثلي!!

- غلط!! كلمة غلط قليلة جداً أمام الألم الذى عاقبتني به... تخبرينني أنكِ سترحلين، لأنكِ سترتبطين عما قريب... فهناك فرق بين الزواج والحب، ألم تشعري بي!! كنت

أرغب فيكِ طوال العمر زوجةً وحبيبة وأمّاً.. لكنكِ منعتني من حلمي ومنحته لشخص سواي.

- أنت محقٌّ، لكني صدقاً ما كنت أفكر في الارتباط الرسمي بتاتاً... وأنت لم تكن واضحاً معي آنذاك وتحاول الآن أن تحببني بفكرة الارتباط بك... لهذا السبب قد وصلنا إلى هنا...
- اسمعي يا لين، سأسامحكِ بشرطٍ واحدٍ فقط...
- وما هو!!
- أن تجيبي عن سؤالي بكل صدق..
- حسناً قل لي هيا...
- في ذمتكِ وضميركِ، لم تلاحظي اهتمامي ورغبتي الصادقة في الارتباط بكِ!! أحلّفكِ بأغلى ما لديكِ، كم مرة حاولت أن أفتح موضوع ارتباطنا الرسميّ وكان الصدّ يأتي منكِ..
- تقصد بالقول حاليّاً، أنك تودّ أن تتقدم لخطبتي بشكل رسمي!!
- كيف لي أن أقدم على خطوة كهذه وأنت مغرمةٌ بشخص غيري، ومن المؤكد أن ارتباطكما ليس بجديد.. فكيف لي وأنت بالأصل مرتبطة!!

لقد وضعت لكِ مكانة غالية جدّاً.. إلا أني مجروحٌ منكِ الآن كثيراً.

- عبد، لم أتعمّد جرحك بتاتاً.. أعلم جيداً كيف يحبّني

قلبك، وأعلم أني لم أسمح لك بأي فرصة كي تتقرب مني، رغم أنك الآن مدمرٌ بسبب عشقك لي... لكنني لم أصدّك للعبث، بل لأني ما كنت أودّ بتاتاً أن أفكر في أمرٍ كهذا.. وأنت تعلم جيداً ما هو قراري بشأن هذا الموضوع.. فإلى الآن لم أقرر قراراً رسمياً بالارتباط به، ولا حبَّ بداخلي لذاك الشاب.. لكنه يشعرني دوماً أن وجودي في حياته ليس مجرد عبث... وقد كان واقعياً جدّاً، وقد شعرت حالياً أن الارتباط والاستقرار يولّد حياةً أجمل.. لذا، ارتباطي لا يعني بتاتاً أني قد سقطت في مغارة العاشقين.. خطبتي لا تعني بتاتاً أني واقعةٌ في الحب، لا أودّ أن أنكسر أمام أحد.. أحاول فقط حالياً أن أفكر فيه كزوج مناسب، لا كحبيب يوهمني بالحب ليسحبه مني مع مرور السنين.. أجد به شخصاً مناسباً، وأحب اهتمامه غير التقليدي...

- كل هذه الأمور لم تشعري بها معي يا لين!! فقد كنت أنام وأصحو على اسمكِ ولا يهنأ لي طعام ولا شراب دون أن أراك سعيدة، كيف لكِ أن تهملي اهتمامي الباذخ بك!! ألم تشعري بحبي وأشواقي! ألم تُرضِ غروركِ كلماتي التي نثرتها لأجلكِ، لا من أجل سواكِ من النساء؟

- أجل رأيت كل ذلك، لكن أمر ارتباطي ليس بأكيد حتى الآن، فأنا أحاول بناء علاقة كي أستقر... إلا أني لا أفكر في الزواج بتاتاً، ولا أظنّ أني سأكمل بما أنا به الآن...

لكنني أحاول أن أغيّر قناعاتي لعلها تعتدل... وقد أخبرتك الآن كي أكون متحلّلة من كل العقبات التي من الممكن أن تواجهني عند مرحلة الارتباط... فهو يودّ أن يجلب أهله لطلب يدي، ولا أودّ آنذاك أن أتعلّق أو أعلّق من ليس لي به نصيب.. أتمنى لو تفهمني، أعلم أنك تحبّني، لكن حبك أعظم من أن تستحقه أنثى مثلي لا تفكر في الحب.. بل تفكر في الطمأنينة التي تفتقدها..

«هي تلعب على جميع الجهات كي تمنح نفسها استقراراً عاطفيّاً مغشوشاً، لكنها تحاول دوماً أن لا تجرح قلب أحد، لأنها تعلم جيداً ما معنى كلمة الانكسار في الحب..».

لا يوجد شخص معين يودّ قربها، لكنها قررت أن تتخذ كلامها طوق نجاة، كي لا تتورط بعمق في حبه وتشعر بعقدة الذنب بعده.

قال لها:

- قد فعلت الكثير لأجلكِ، كي أنال قربكِ... لكني لم آتِ الآن للعتاب.. كفاني ما عبّرت به من كلمات، فقد تجاهلتِ حبي معلنةً لي أن سواي لا نفع لحياته دون وجودكِ.. ماذا عني!! أتنفّس بكِ، وأعيش لأجلكِ، وأصلّي في كل يوم ركعتي شكر لله لأنه قد أوجدكِ من أجل سعادتي... لن أحزن منكِ بتاتاً، سامحكِ الله يا لين.. لكن، بالله الذي

جمعني بقربك... برب السماوات والأرض، لقد ظلمتني وقطّعتِ قلبي إرباً إرباً..

أستطيع أن أسامحكِ على أمور بسيطة... على أمرٍ بسيط، يمكن أن يُحلّ بكلمتين وعتاب... لكن أن أسامحكِ على حرماني من نفسكِ، فهذا محال.. إنه لأمر قاسٍ عليّ جدّاً..

ردّت لين بكل خجل مما اقترفته بحق عبد من جرح ومعاناة، ليس باليد حيلة.. لو كان بيدي لما تراجعت عن هواك، لكنها لعبة القدر.. لو كان باليد حيلة، لما كسرت قلوباً كثيرة...

ردّ قائلاً: يا لين قلبي، أنا عبد ومن المحال أن أحرم نفسي منكِ، حتى لو قررت الرحيل.. فلا تخافي، أنا على وعدي وعهدي، ومثلما رأيتكِ في المرة الأولى قاصداً لكِ كل خير، فلن يكون بيننا الآن إلا كل خير، فهذه رغبتكِ وحياتكِ... وأتمنى من ربي العالي أن يمنحكِ سعادة الكون وما فيه..

- أجل تذكرت كلامكِ، حينما سألتكِ ذات يوم ما مبتغاك مني..

قلت لي آنذاك: لن يكون بيننا إلا كلّ خير.. لكني تجاهلت خيرك، واتجهت إلى خير سواك

عبد: لين، أرجوكِ ألّا تنسي ثورتي لأجلكِ...

- لن أنسى، لكن لا قدرةَ لي أن أمنحك من الحب قدر ما تستحقّ منه، ولا أستطيع أن أمنح الحب لأي رجل آخر..

ولا لزوجي أيضاً، هذا إن تزوجت.. لأني قد أفرغت طاقةَ حبي كلها على رجل سكن حياتي وفرّ منها على غفلة من الأيام... لذلك.. قررت الرحيل، معلنةً الحداد على نفسي كي لا أظلمك معي... ليس كرهاً بك، فأتمنى أن تفهمني وترحمني من عتابك..

- لن أجامللكِ، وأتفهّم ما قلته لي الآن، لأن ما أعرفه وأشعر به لا يقبل أي تبريرات، حتى لو كانت عظيمة.. ما أشعر به الآن، أني محروم منك، وما أشدّ عذاب المحب إن غاب عنه محبوبه لأي سبب من الأسباب.. لذا، عليكِ أن تفهمي جيداً أني رجل ولي مشاعري
- أعلم أنك رجلٌ شهم ومحب، والكثير من الفتيات يحسدنني على فرصتي بقربك، وينتظرن شخصاً لديه كلّ تفاصيلك...

أغلقت لين هاتفها وكل ما فيها مكسور، لأنها لا تملك الحقّ بأن تعيش حياتها كما يحقّ لها بعيداً عن ذكرى جود وقالت: «أودّ لو تُتاح لي الفرصة كي أتعرّف إليك من جديد، كي أشطب كل ماضيٍ لي معك وكأنني أولد الآن من جديد، كي أتمكّن من تبديل مشاعري تجاهك وتجميدها وأشدد إليك بقسوتي وتجاهلي.. فأنتم يا معشر الرجال لا يُجدي معكم أي طيب، إن أحببناكم ظننتم بِنا سوءاً، وإن ابتعدنا عنكم أحببتمونا وأصبحنا في قلوبكم كلّ شيء.. أودّ لو تُتاح لي فرصة جديدة، لما كنت اعترفت بحبي، ولما قلت

لك كلمة حبِّ واحدة.. وربما كنت أحببتني وتعلقت بي أكثر حينئذ، وبتّ بالنسبة.. إليك أثمن بكثير.. إيبيه لكنه النصيب، ها أنت بعيد، وأنا من بعدك أجرح كلّ شخص يحاول الدخول إلى قلبي..

حاولت لين أن تتأقلم مع واقع حياتها... أن تعيش دون جود، دون ذكراه.. تعاملت مع كلّ من عشقَها دون إحساس، أرادت فقط أن تخرج من خلالهم من حالة الضوضاء التي تسكنها.. ضجيجُ الحب، صوتُ جود، همساته، لمساته وحتى رنة غيتاره المجنونة أمام عينيها المفتونتين به... كانت تشتاق إلى قبلاته، إلى غمراته، إلى محادثات ليلها معه التي كانت تشبع رغبتها كأنثى.. أحبته دون كل الرجال، وأحبها حبّاً عابراً دون إحساس.. كانت تودّ أن تتثبت من مشاعره نحوها، إن كان أحبها كما كانت تشعر معه، أم أن دقات قلوب الرجال متشابهة.. تشتهي اللحظات، وتغدر بلا رحمة، وتفرّ هاربةً أمام أول محنة ومأزق... كانت تحنّ قليلاً إلى رافي، فقد وجدت معه بعض الأشياء التي تتمناها، إلا أن كل شيء لديه لا يساوي شيئاً واحداً مما كان مع جود... لكنها استطاعت أن تنجذب أخيراً، إلى رجل شعرت معه بالحياة.

بحر..

الشاب الذي اقتحم حياة لين عن طريق المصادفة... ولفت انتباهها في أحد المقاهي العامة، حينما كانت مع صديقاتها في زيارة إلى دبي... حاولت أن تحصل على رقمه، ولم يصعب عليها هذا الأمر بتاتاً وباتت تتواصل معه بعد أن عادت إلى المملكة العربية السعودية، وجعلته يظنّ أن حديثها وتواصلها معه جاء عن طريق المصادفة ليس إلا.. إلا أنها اخترعت المصادفة وسيلةً لشدّه وجذب انتباهه.. تحدثت معه مراراً وتكراراً، وانجذبت إليه بطريقة ساحرة شعرت فيها لأول مرة بغياب جود من داخلها وهو أيضاً لم يبعدها، ولم يسمح لها بالفرار واستطاع أن يرميها في مصيدة حبه الذي يشبه النسيم الربيعيّ الدافئ.. باتت تحلم بحياة مستقرة معه، بعيداً عن جود.. ودّت أن تكون زوجة له، وتكمل حياتها معه دون سواه... مرّت شهور عديدة، تعلقت به كثيراً... حتى أنها استطاعت أن تتناسى معه حبها الذي بداخلها والذي كان مرتبطاً بجود فقط... وبعد أن حدث بينهما ما حدث من ودّ وتقارب... حلم كلاهما بموعد الملتقى القريب.. وساعات اللقاء المنعشة إلا أنه فجأة ودون سابق إنذار، طلب منها الفراق دون أي تبرير... خشيت

أن تتكرر خسارتها بعد أن شعرت بمعنى الحياة من جديد... لكن خسارتها كانت أعظم مما تتوقع... طلبت منه أن لا يرحل، وأخبرته أن أملها به كبير قال لها: لا أستطيع أن أبقى بجانبكِ دون أن أحبكِ، ولا أستطيع أن أبقى معكِ... افترقا، لكنها حاولت أن تبقى بجانبه حتى لو من بعيد... حتى أنها فكرت أن تسافر إلى دبي مجدداً كي تلقاه... لكنه حينذاك كان قد عاد إلى مسقط رأسه الأساسيّ في لبنان... لم يكن بإمكانها أن تسافر إلى لبنان لأجله، إلى أن قطعت أملها منه... وأكملت حياتها بعيداً عن كل أمر يتعلق بسيرة الرجال..

كرهت جود وبحر، وصارت لا تفكر في شيء خارج عملها ووالدتها...

ضحكت ذات ليلة وخاطبت نفسها قائلة: «ههههه تبّاً ما أقل حظّي وما أعثره ظننت أن هذا الوسيم بحر سيسرقني من نفسي وسيُنسيني جود وأيام جود، حقّاً إنها حياة بلا طعم ولا أمل.. تخبّطٌ ما بعده تخبط وحيرة ويأس كأن لين خلقت لتحب وتهجر ويُغدر بها.

الجار السعودي

جاء إلى العمارة ساكن جديد، غير متزوج، سعوديّ الجنسية وفي الأربعينيات من عمره... سقط قلبه قتيلاً أمام صفاء مريم وسحرها، وبدا ذلك ظاهراً من خلال حركاته وتصرفاته وطريقة حديثه معها... انزعجت لين من نظرات جارهما محسن إلى والدتها... يوماً تلو الآخر، وكلّ شيء داخل محسن يتحول إلى حبّ وشغف بمريم التي كان يراها ويحاول الاقتراب منها ولفت انتباهها عند خروجها من المنزل... لم تكترث مريم للأمر، إلا أن لين كانت تراقبه بكل غضب.. إلى أن جاء اليوم الذي قرر محسن أن يطرق بابها.. فتحت لين، وحينما رأته تعجّبت واستقبلته بعصبية وبرود...

- ماذا تريد!! لا يوجد لدينا رجل هنا.
- أعتذر منكِ، لكني أودّ الحديث مع والدتكِ ومعكِ أيضاً..

حاولت أن تصطنع الحجج كي يرحل، لكن دون جدوى...

جاءت مريم، هتفت من في الباب يا لين؟ فردت: إنه جارنا محسن...

- ماذا يريد!!
- لا أعلم...

لكنه سرعان ما طلب منهما القليل من الوقت، وأخبرهما أن لديه موضوعاً مهمّاً يودّ أن يتحدث به.. اعتذرت منه مريم بحنكة وقالت: لا يوجد رجل في المنزل، ولا أستطيع أن أدخلك..

المعذرة منكَ، إن كان لديك أمر تودّ أن تحدثني به فلتقله هنا ولتوجز لو سمحت... قال لها إنه معجبٌ بها، ويودّ أن يتقدّم لها على سنة الله ورسوله.. فنظرت إليه بوقار وسكينة..

ثم قالت له بكل هدوء: أنا متزوجة.

فقال: أعلم أن زوجكِ قد توفي منذ سنة..

قالت أجل، لكنه حيٌّ في قلبي.

سكت محسن، وأطرق أمامها خجلاً واحتراماً.. اعتذر منها، وخرج مقرراً أن ينتزعها من قلبه رغم أن ردّها لم يُسقطها من قلبه، بل رفع من شأنها ومكانتها...

فرحت لين كثيراً من ردّة فعل والدتها إذ كانت تخشى كثيراً أن تفكر في الزواج بعد والدها..

«مريم الجمالُ والحكمة شجرة الدر وزهرة الفرات، تراتيلُ نينوى، وأنغامُ بابل وعبقها»..

وصفها أحمد ذات يوم وقال: «إذا أردتم أن تعرفوا عراقة العراق وجماله وجاذبيّته فما عليكم سوى أن تنظروا إلى مريم».

مريم أحبت أحمد بكل ما فيها، رغم أن كل تصرفاته كانت ضدها وضد حجم عواطفها... استمرت حياة لين مع والدتها بهدوء واستقرار، ما عادت تفكر في أحد ولا تهتم بأي شخص...

رغم ذلك ظلت ذكرى إجهاضها لطفلها في تلك الليلة الصماء ترافقها وتحيي ذكرى جود بداخلها، هكذا دون استئذان كانت تسأل نفسها عن مرارة حالتها النفسية التي تقلق خيالها ومزاجها كل لحظة... تحنّ إلى جود وتقول: ذلك الأبله لم يكلّف نفسه عناء الاتصال بي، حينما أراه سأضربه حتى يفقد وعيه... تتساءل في نفسها هل كل ما تمرّ به عقابٌ من الرب، أم لعنة قدر حلّت عليها!! تعاني... وجسدها يترهل من شدة الوهم والتفكير والضنك والشوق العقيم إن صحّ التقدير... وروحها باتت تتفتت وتتمزّق... تعاني أوجاعها الضميرية والدينية تجاه ربها...

لين باتت أضعف مما سبق، وجود لم يعلم ولم يشعر يوماً بمعاناتها ويا للأسف...

سألتها صديقاتها مرة: كيف تشتاقين إليه وتنتظرين هكذا ولا أملَ مرجواً ولا بارقةَ عودة..؟

أجابتهن بثقة لا تدري من أين جاءتها وقالت: رجل يستمع للموسيقى بأعماقه ويلتذّ بها بروحه، هو رجل من المحال أن يكذب... أنا أثق به، رغم أنه لا يستحقّ ثقتي.

لكنها لم تكن تعلم بتاتاً أن الحب في مجتمعنا صار كالبورصة، معادلة لا صدقَ بها ولا إخلاص.. وكلما ازداد حب الطرف الأول، تكبّر قلب الطرف الثاني وتعالى على من أحبه..

لين يا لين من أنت، من لين..؟! يحبها العديد من الرجال وتوهمهم بالاهتمام، رغم أن بداخلها لا تنبض نبضة قلب لأي

رجل منهم... نحن لا نحبّ من يحبنا، بل نحب من يكون باردَ المشاعر معنا من يغرينا أكثر، ويصبح حلماً للتمني بالنسبة إلينا... نحارب أنفسنا، ونتشاجر مع أعماقنا، ويسكننا صراعٌ داخلي.. نرغب في مرارة الحب ونتناسى لذّته، وفي لحظة حنين، نحنّ إلى قلوب عشقَتنا بصدق وتجاهلناها بكل برود... غرورُنا لا يسمح لنا أن نحب بطريقة متكاملة، نهوى العذاب... نحب من لا يحبنا، ونحاول أن نرغمه على حبنا... أنانيةُ قلوبنا تستحق الإعدام، نصارع أنفسنا.. نمثّل على أنفسنا دور العاشقين.

أصبحت لين تشعر أن عواطفها سخيفة، ومحاولاتها للاطمئنان إلى جود.. ليست إلا محاولاتٍ فاشلة... فهو رجل السرطان، يعيش دون أن يشعر بذنب تجاه أي مخلوق كان... وهي تعاني منه وتتحسس إن شعر بحجم اهتمامها دون أن يقابلها بالاهتمام نفسه... رجل جليديّ المشاعر، فيه من تناقض وتعقيد برج السرطان، ومن صلابة وقوة العقرب، ومن تقلّب وحساسية الميزان، ومن مزاجية وهوائية الجوزاء، وتسلّط الثور، وكبرياء الأسد، فيه من غضب القوس، وفوضويّة الدلو، لكنه يفقد رومنسية الحمل، وصدقية الجدي ورجولة العذراء.

جسدي عارٌ عليّ.. ذنبي سيحرقني

أبي مات من صدمته الشديدة بي.. لكنه لم يعطني الفرصة يوماً

ولم يكن يعلم أن الضغط الذي مارسه ضد ابنته، أدى بها إلى منحدر الانحراف..

لم يعاملني بالعدل، ولم يسمح لي أن أعيش كباقي البشر حياة طبيعية مع أسرة غير انطوائية...

أمست لين ترى والدها بشكل يومي ككابوس في منامها

يقول لها: لن يطول عمركِ، ستدفنين عما قريب..

ستموتين يا ساقطة، ستلحقين بي.. لن يرحمكِ أحد.

كانت تستيقظ فزعة وكأن غرفتها مليئةٌ بالأشباح التي ستسحب روحها من الحياة...

حقدت على جود، واعتبرته أكبر أسباب فشلها...

سبب انكسار قلبها، وأهمّ الأسباب التي جعلتها تتقبل العديد من علاقات الحب العابرة دون رغبة أو مشاعر صادقة، فقط كي تحاول أن تنسى ما جناه قلبه عليها...

ذات مساء، جلست لتكتب مذكراتها اليومية، فقررت أن تصف شعورها الآني تجاه جود...

فكتبت قائلة:

لمَ أحبك؟!

ولمَ أشعل النار في قلبي لأجلك!! أسأل نفسي تريليون مرة في اليوم، هل أنت حبيبي أم معذّبي!! لمَ أخاف عليك رغم تدميرك لقلبي!! بأي قلب أخاف عليك!! بأيّ نبضٍ أحبك!! أين تتنفس الآن، بأي بقعة أرض.. ولمَ أسأل نفسي عنك! ألأنك حبيبي، أم

لأنك غلطة قلبي المستضعف! لو عاد الزمان بي إلى الوراء، فلن أحبك... لن أصرخ إلا بكرهي لك... ولو حاربني الحنين إليك، فسأحاربه وأعدمه كي لا يطالبني مجدداً بودّك.. وسأستمع لأغاني الأفراح كي أكسر قلبك الذي سيكون حينئذ مترعاً بالحزن... وأكسر خلفك مئة زجاجة شمبانيا دون أن أتأسّف على بُعدك... وإن جاء يوم ميلادك، فلن أهدي لك إلا الحرقةَ والعذاب... وفي عيد الحب، سأحرق الورد الأحمر، لأجعل منه رماداً أسود كي لا يدقّ قلبي بك وسأجعل من الليل معبداً، كي أدعو به عليك... فقد استعمرني الكره، وتضخّم حجم كبريائي، وأرسلتُ قلبي إلى محكمة الكره كي لا يحبك... ومسحت من خلايا عقلي حروف اسمك... واغتسلت من ذنوبي معك تحت مطر الشتاء، كي أتطهّر من عطرك... وأطهّر جسدي وقلبي من نجاسة قربك... إن صادفت صورتك يوماً على أغلفة المجلات، أو بين اللافتات الكبرى، أو بين دفاتري الصغرى، فسأمزّقها وأمزّقك... لقد أصبحت كالغريب بالنسبة إليّ... ولن يرأف بك القلب ولن يعفو عنك.. ولن تشتاق ليديكَ عروق يدي... ولن أستمع لأغنية ماجدة الرومي «يسمعني حين يراقصني كلمات ليست كالكلمات» بل سأتوجه إلى أعلى قمة في القلب وأصرخ وأقول: كلمات كاذبة ليس لها أساس، وهي ككل الكلمات.. عيناك لم تكونا سوى كذبة كبيرة يا جود.

القولنج

بدأت لين تشعر بوجعٍ في خاصرتها اليمنى، لكنها لم تبالِ به واعتقدت أنه موعد الحيض لا أكثر وبعد مرور أيام جاء موعد الحيض وانتهى، دون أن يزول الوجع السابق... بدأت تشعر بتصلّب في دمائها وخدَر في جسدها، وتشنّج في أعصابها، وصارت الأوجاع لا تحتمل.. شكّت أن تكون هذه الأعراض ناتجة من كثرة تفكيرها وشدّة إرهاقها... بدأت الريم تراقب ملامح وجه لين وتلاحظ الشحوب الشديد فيه.. قالت لها ما خطبُك يا لين!؟ أرى وجهكِ شاحباً وحزيناً..

- لا شيء، أنا بخير.. لكنني أشعر بألم شديد في خاصرتي اليمنى وقد بات يرهقني جدّاً..
- إذاً فلتذهبي إلى الطبيب حالاً..
- لا، لا أتوقّع أن الأمر يستدعي ذهابي إلى الطبيب، ربما هو إرهاق لا أكثر...

كانت لين تخشى الذهاب إلى الطبيب، كي لا تذكر أيام خيبتها السابقة حينما أجهضت طفلها وهو في الشهور الأولى.. ما زال وجع الذاكرة يرافقها، إلى درجة أنها تخشى أن تذهب إلى الطبيب ويقول لها أنت حامل مرة أخرى، فهي دوماً تشعر

بوجود جود في داخلها وأنه ما زال يسكنها رغم حقدها عليه ثم قالت لها، سأذهب في الغد إن بقي الوجع على حاله.. وذهبت إلى المنزل عند انتهاء عملها، وقد أطفأ التعب جسدها... فما كان منها إلا أن حملت هاتفها واتصلت برقم جود القديم... وإذ به يرفع سماعة هاتفه، فأجهشت بالبكاء، وقالت له: أشعر بساعات الموت يا جود.. كم أكرهك وكم أهواك أنا أحبك.. صمت جود، وباتت دقات قلبه تهاجم أسوار صدرها، كما لو أنها رصاصٌ حربيّ وصواريخ موجّهة... شعرت لين أن الرصاص قد أصاب هدف قلبها وجعلها تنهار وتغرق أكثر وأكثر ببكائها...

- لين.. ما بك «يا ابنة قلبي».
- أشعر بوجع يقتل جسدي.. أذكر لحظات موت أبي.
- أبيكِ!! نعم، لقد توفي يا جود، ولم أعلمك بما حلّ بي من وجع.. تركتك تكمل حياتك كما تشاء..
- اهدئي، سوف آتي إليك في الغد..
- لا، لا تأتِ.. فقد تعلمت أن أعيش وحدي وأتحمّل ما جَنته نفسي بنفسي..
- أيتها الحمقاء قد اشتقت إليك.
- لا، لم تشتقْ...

فلو كنت مشتاقاً لما فارقتني، وخضعت لأمري حين طلبت منك أن ترحل دون أن تشعر حينئذ بشدة وجعي وحاجتي إليك... ما منحتني الثقة بحبنا، وهذا ما دمرني، دعني وشأني ولترحل...

توقفت لين عن البكاء، واستعادت قوّتها، وأغلقت هاتفها وتنهّدت كالطفلة اليتيمة.. بقيَ الدمع ينهمر من عينيها طوال الليل، إلى أن أشرقت شمس النهار.. وجدت مئات الاتصالات من جود، لكنها لم تبالِ.. أغلقت هاتفها وقررت أن تذهب إلى الطبيب بعد معاناتها من الوجع طوال الليل بشكل مريع... اتصلت بالريم لتطلب منها الإذن كي تذهب إلى الطبيب.. فقالت لها سأرسل لك السائق حالاً، وإحدى الموظفات كي تستعلم عن حالتكِ من الطبيب.. اتجهت إلى الطبيب وكان الخوف يعتريها، وكأنها تشعر بأن ما سوف تسمعه منه أمر خطيرٌ لأن نفسيتها محطمة... مما يجعلها تتخيّل كل الأحداث بشكل سلبي... سألها الطبيب، ما بك!!

- أشعر باضطراب معوي يتنقل في كل أنحاء معدتي وظهري وخاصرتي، ويرهقني كثيراً..
- منذ متى وأنت تشعرين بهذا الألم!!
- مما يقارب الشهر ونصف الشهر..

طلب منها أن تقوم ببعض التحاليل الهامة، كتحليل الجهاز الهضمي وتحليل الدم والبول وبعض التحليلات الأخرى، كي يتحقّق من سلامتها وتسقط ظنونه.. التي بدأت تشكّل قلقاً خطيراً على نفسيتها..

قامت لين بجميع التحاليل المطلوبة.. وطلب منها الطبيب أن تعاود زيارته خلال يومين، إلى أن تظهر نتيجة التحاليل، وأعطاها حقنة مسكنة للوجع مع وصفة دواء سيقوم بتسكين الوجع ريثما

تظهر النتيجة.. شكرته وذهبت وهي تعلم أنها ليست بخير.. لكنها قالت: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾. ومرّ اليومان كأنهما سنتان، وها قد حان الموعد.. ذهبت لين إلى الطبيب، وجلست تنتظر في قاعة الانتظار إلى أن جاء موعدها..

- مساء الخير دكتور..

الطبيب: مساء النور لين، تفضلي.

- هل لي أن أعلم ما هي نتيجة الفحوصات والتحاليل المخبرية التي قمت بها؟

- أجل، لكن يا لين أريد أن أخبركِ بأمر ما قبل ذلك.

- تفضل..

- ما زال سنّك صغيراً، وما زال العمر أمامك... عليكِ أن تضعي ثقتكِ بالله تعالى ولا تنسي قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾.

- أعلم يا دكتور، لا تقلق عليّ فقد صارعتني الحياة وهاجمتني الظروف وما زلت على قيد الحياة، بسبب وجود الرب في قلبي ومنحه لي الأمل والصبر...

الطبيب: لقد ظهر في التحاليل وحسب الأعراض التي ذكرتِها أنك تعانين من (القولون العصبي) «irritable colon» وقد كَثُرَ في الآونة الأخيرة هذا المرض.. وهو يسبّب لك اضطراباً معويّاً في الأمعاء الغليظة.. وقد صُنِّفَ القولون العصبي في الفترة الأخيرة، على أنه من أكثر أمراض الجهاز الهضمي شيوعاً... وهذا المرض

معروف منذ مدة طويلة.. عرفه الأطباء العرب القدامى وذكروه ووصفوا أعراضه في كتب الطب القديم تحت مسمى متميز وهو (القولنج).. أكثر مسببات هذا المرض، تأتي نتيجة الإهمال الشخصي للذات وكثرة الصعوبات الحياتية التي بات يواجهها الإنسان بشكل أو بآخر في هذا العصر المتسارع الأحداث.. وأحياناً يكون ناتجاً من اضطرابات عاطفية، أو انكسارات داخلية، أو ضغوط نفسية، أو كل ما ذكر سابقاً..

وللأسف ها أنت تدفعين ثمن إهمالكِ لصحتكِ يا عزيزتي..

- لم أفهم يا دكتور!!

فأنا لم أسمع عن مرض كهذا من قبل.. أتعني أنه من المحال شفائي!!

الطبيب: الأمل بشفائكِ منه ليس بمستحيل، لكن هذا الأمر يعتمد عليكِ وعلى ثقتكِ بربّكِ، وثقتكِ بالجانب الجميل في هذه الحياة، عليكِ أن تتخلي عن كل أمر محزن وتجعلي من السعادة رفيقة لكِ.. قالت للطبيب آنذاك: الحمد لله على كل حال (فإذا أَحَبَّ اللهُ عَبداً ابتَلاهُ بِعَظِيمِ البَلاءِ).. فالمرض رسالة من الله إلى العبد، لعلّه يعتبر ويتعلّم ويراجع شريط حياته، كي يجدّدها بشكلٍ أنقى في المستقبل... لذا، علينا أن نؤمن ونرضى بقضاء الله وقدره، ونتقرّب منه أكثر، فالله وحده من يستحقّ الحب النقي... الحب الذي لا يأخذ منه الكبرياء نصيباً، شكراً لك...

تعجّب الطبيب من عزيمتها وشدة إيمانها، وقال لها: لا تخشي شيئاً فإن علاجكِ بيدكِ.. ساعدي نفسكِ كي تخرج من وعكاتها الاضطرابية، وبإذن الله ستكونين بخير.. لكن عليك أن تبدئي بأخذ الدواء بانتظام تام، كي لا تعاني تلك الأوجاع المؤلمة... قالت له، حسناً.. ثم ابتعدت عن الواقع، لتفكر في كل ما مرت به من أوجاع ومصاعب في حياتها، ثم قالت في نفسها: كم حياتنا قصيرة... وجع بسيط كاد يرسلني إلى الهلاك، عندما ظننت أني أحمل مرضاً خبيثاً.. حقّاً إن حياة البشر مرهونةٌ بيد القدر، وأبسط الآلام كفيلةٌ أن ترسل الناس من الحياة إلى الموت.. وأبسطها أيضاً جدير أن يُحيي الإنسان وينسيه عذاب الأمس...ما كانت تخشى على نفسها أكثر من خوفها على والدتها، وتحديداً لأنها تعلم أن لا قلب كقلب الأم.. وأن والدتها ما عاد لها سواها بعد أن توفي والدها في ذاك اليوم المشؤوم.. ظنت أن مرضها عصيب، وأنها ستعاني منه ويترهل جسدها بسببه دون أن تدرك أن الأمر بيدها.. وعليها أن تكون قوية، وترمي أوجاعها خلفها كي تنزع وجعها المتصلّب داخل جسدها..

غادرت لين إلى منزلها، وأخبرت والدتها بما حدث.. حزنت الأم لأن ابنتها ما زالت في ريعان شبابها، وأن الهموم متراكمة دوماً أمامها... وقالت لها: لا تقلقي، أنا معك ومن اليوم سأحاول أن أقوم بأي أمر أعلم أنه سيجلب السعادة لكِ يا ابنتي الجميلة..

- أنا بخير يا أمي لا تقلقي، لكني أودّ أن أخلد إلى النوم وسنتحدث في الغد إن شاء الله.. وما هي إلا ثوانٍ قليلة حتى أغمضت عينيها واستغرقت في النوم. جاءها جود في المنام وأمسك يدها وقال لها: «حبيبتي، أنا معكِ.. روحي معكِ، كلّي معكِ وبكِ ولكِ.. عليك ألّا تقلقي... وقبّل جبينها ومن ثم رحل..». إنه الحب، يسكننا حتى ونحن في أسوأ حالاتنا وأضعف أوقاتنا.. يتغلغل في دمائنا، ويُحيي آمالنا، ويزيد رغبتنا في الحياة..

استيقظت لين وهي تشعر بالفرح والأمل... كانت تتوقع أنها ستجد جود بقربها، لكنها لم تجده... رفعت سماعتها وهاتفته من رقمها.. ردّ عليها «ألو».. ألو.. هي تأخذ نفساً عميقاً، وهو يقول: لين لين!! وما كان منها إلا أن أغلقت الخط دون أن تنطق بحرف واحد.. اتصلت به فقط، كي تشعر أنها ما زالت على قيد الأمل... صوت جود كان بالنسبة إليها نوعاً من أنواع المخدرات التي تُفسد مفعول الطاقة السلبية داخلها، وتنعش الروح.. قرأت بعض الأدعية مع القليل من آيات القرآن الكريم، وطلبت من الرب أن يغفر لها كل ذنب أذنبته في حياتها.. وسألت لروح أبيها الغفران، وتمنت لجود أجمل حياة... كما أنها توسّلت إلى الرب أن يرأف بحال أمها التي تحملت في الحياة أكثر مما تحملته هي في حياتها دون أن تشتكي.. المصيبة إذا حلّت على الإنسان، ستشعره أنه أرخصُ مما كان عليه.. ونحن بشر لا نشعر بضعفنا سوى في أسوأ أيام

عمرنا... بدأت لين تشعر بذنوبها أكثر من شعورها بأوجاعها ذنوبها التي اقترفتها بحقّ نفسها، وبحقّ أبيها الذي ظلمها وخانت ثقته.. وبحق طفلها الذي جَنَت عليه دون ذنب.. وبحق حبها لجود، الذي منحته إياه دون عقل.. أربعة أفعال إجرامية اقترفتُها في عمري دون أن أحسب حساباً لأي أمر.. ومن ثم تنهّدت وتذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما يصيب المؤمنَ من نصَبٍ ولا وَصَب ولا همّ ولا حزنٍ ولا أذى ولا غمّ حتى الشوكةُ يُشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه)..

كانت والدة لين تشعر بالنار التي تشتعل بداخلها، وتخشى عليها من أي وجع سيحلّ على جسدها، ناسية أنها قد تحملت وجع الإجهاض فيما سبق، وقد كان أقسى أنواع الأوجاع بالنسبة إليها... وكررت لين زيارتها لعيادة الدكتور سليم كي يطمئنّ قلبها، وتعلم ما هو حجم هذا الوجع، وهل يتناقص أم يزداد.

اتصلت بالسائق، وبدّلت ملابسها وذهبت.. ورغم أن الدكتور كان منشغلاً بمواعيده، إلا أنها أصرّت على انتظاره كي لا يلتهمها وسواسها.. بعد أربع ساعات من الانتظار نادتها السكرتيرة كي تدخل.. مساء الخير دكتور.. مساء النور يا ابنتي.. قالت لي السكرتيرة إنك تنتظرين منذ مدة طويلة.. أجل دكتور، من فضلك هل لك أن تخبرني كيف لي أن أحمي نفسي من الأوجاع المستفزة التي تهاجمني دون استئذان؟ وما هو مرضي بشكل أوضح مما ذكرته لي سابقاً.. وما أنواع الأدوية التي عليّ أن أقوم بأخذها..

عزيزتي لين، إنّ مرضكِ نفسيّ أكثر منه عضويّاً... فأنتِ لست بحاجة إلى العلاجات والأدوية الكيميائية... فما بكِ الآن ليس بمرض التهاب، لأن القولون العصبي يختلف تماماً عما يشغل مخاوفكِ.. إنه مرض معويّ مؤلم، ويقع مكانه في الأمعاء الغليظة وهو جزء من الجهاز الهضمي.. تظنين أنكِ من خلاله تعانين أمراضاً في الكبد والمثانة والطِّحال والكلى وأحياناً القلب.. حسناً دكتور، وما هو سبب هذا المرض وما هي أهم مسبباته؟! عليك أن تحمي نفسكِ من الاضطرابات النفسية والتوتر، كي لا تحتاجي إلى المهدئات وما شابه من أدوية الأعصاب التي ستسبب لك الإدمان، مما يجعلكِ لا تستطيعين فيما بعد التخلّي عنها.. إذاً، ماذا يجب عليّ أن أفعل؟ لا أحب أن أنكسر وأشعر بضعفي أمام خلق الرب.. حاولي أن تحافظي على نظامكِ الغذائيّ، فأكثر ما سيؤثر فيكِ كأنثى هو الانتفاخ الذي يتسبب به القولنج، والأوجاع المتنقّلة بين أسفل المعدة إلى اليمين والممتدة إلى الأعلى يساراً.. ولا بدّ حينئذ من أخذ المسكنات أو أخذ حقنة مهدئة للوجع إن اضطر الأمر، كي يستقر الوضع ويخفّ مستوى الألم في جسدك.. فالقولون يقوم بامتصاص الماء والأملاح من بقايا الطعام المهضوم قبل دفعه إلى الخارج عن طريق تقلّصات عضلات جداره، مما يسبب لكِ نقصاً في المكمّلات الغذائية للجسد وتحديداً إن كان الجسد قليل المناعة.. فالقولون العصبي مسبب ضار للجسد، مما يسهّل له أن ينمّي البكتيريا المعوية ويسبب الإمساك والإسهال

والأوجاع المرهقة في أعصاب الجسد، وأوجاعاً في الرأس، ومشكلات نفسية وتوتراتٍ وقلقاً واكتئاباً شديداً.. وقد يتطور الأمر إلى الوسواس القهري، إن لم يساعد الشخص نفسه على التخلص من هذه الوسوسات.. كي لا يضطر إلى استخدام العلاجات والأدوية النفسية.. وقد يسبب القولون حرارة في مناطق معينة من الجسم، كحرارة غير مبررة في الظهر وأسفل الظهر.. وبعض المرضى تتركز الحرارة عندهم في الأطراف، أو في الجوف وهناك أعراض مرافقة أخرى مثل الشعور بالاختناق والحموضة، وسوء الهضم... وألم في الجانب الأيسر أسفل البطن.. ومن أهم أسباب القولون العصبي، سوء الغذاء والحياة المسببة لاكتئاب الإنسان.. والصدمات النفسية والخوف... وحبس الأمور السيئة داخل الروح، وقلّة الرفاهية التي تزيد من التفكير السيئ.. ولا يوجد تحليل مخبريّ أو إشعاعيّ نستطيع من خلاله تشخيص وإثبات أن الأعراض التي يعانيها المريض هي أعراض القولون العصبي.. لكن الأعراض التي يتمّ ذكرها من خلال المريض، تثبت تشخيص الحالة بالنسبة إلينا... ونقوم بإجراء بعض الفحوصات كي نستبعد وجود أي أمراض عضوية أخرى... لذا، حاولي ألا تقلقي وأن تهدّئي من روعك... وإن أصابكِ وجع ما، فعليكِ أن تقومي بأخذ بعض الأعشاب الساخنة المتوافرة لديكِ قبل أن تأخذي الأدوية، كالنعناع والكراوية واليانسون أو الحلبة أو الشمّر أو الزنجبيل... فالزنجبيل غنيّ بالعديد من المواد الفعالة التي لها

تأثير في الحركة العصبية للقولون... وكي تحافظي على مستوى توترك، عليكِ بقراءة القرآن الكريم بشكل مستمر، وأن تفكري في الأمور بشكل إيجابي قبل أن تبعثري نفسكِ بين المسبّبات السلبية.. وعليك أيضاً أن تحاولي شغل وقتكِ بما ينفعكِ، وممارسة هوايات جديدة بحبّ.. وأن تأخذي قسطاً كافياً من النوم يوميّاً، ولا تنسي تمارين الاسترخاء كي تسترخي أعصابكِ وأنفاسكِ... الأمر سهل جدّاً عزيزتي لين حاولت أن أشرح لكِ كل الأمور المتعلقة بمرض القولون، كي لا تقلقي وتعتقدي أن ما لديكِ خطير.

- شكراً لك دكتور سليم..

- العفو يا ابنتي.

جلست مريم تنصح ابنتها لين... فقالت لها: لين يا ابنتي، واقع الفتاة يبدأ بعد تجاوز سن العشرين أي عندما ترحل مراهقتها، وتتخلى عن دميتها، وتنهي دراستها... لن يتبقّى لها بعد ذلك سوى التركيز والتفكير في المستقبل الأفضل وأن تحب بعقل لا بقلب، وأن تعمل لتحصّل المال، كي تمحو من وقتها الملل والانكسار أيضاً.. حينئذ ستصبح أحلامها مرهونة بإسعاد ذاتها ومن حولها... إسعاد من أسعدوها، أو من ترغب في إسعادهم هي.. وأن تحمي نفسها من قوقعة الواقع، وتمنح نفسها الحق بالاختيار، اختيار المناسب لا الصحيح، وأن تحاول ألا ترمي نفسها داخل محيط اليأس...

عيشي واخترعي كل ما من شأنه إسعادكِ وقتل الروتين.. وعليكِ أن تتخطّي مقولة الزواج هو المصير الأول والأخير للفتاة في مجتمعنا، فإن وقفتِ أمام هذه النقطة واستسلمت لها، ستصبحين حينئذ أفشلَ النساء أمام نفسكِ وأمام الآخرين... ستغارين من كل النساء اللاتي تغلّبن على فكرة الزواج المبكر، الزواج المستعجل غير المنطقي... ستحلمين لو أنكِ أصبحتِ شخصية فعالة في المجتمع... كي تنجحي، عليكِ ألّا تفكري في قطار الحياة، ولدت، درست، تزوجت، أنجبت... وأصبح لديها خبرة عميقة في مسميات الأطعمة والمواد المنظفة... إلى أن تموتي وتقولي..

(أهلي منيح ربوني وعند الغالي ابن الغالي وصلوني) لا تكوني حمقاء، فأول عدو للنجاح هو الزواج المبكر، والزواج من الرجل غير المناسب والمتفهّم... لا أحرّضكِ على عدم الزواج، لكنني أنصحكِ كي لا تقعي بفخّ الارتباط التقليدي يا ابنتي، أو بفخّ الحب الجارف..

اقرئي دوماً، فالقراءة حياةٌ أخرى تُحيي بداخلكِ الطفولة والصبا وتخبركِ بألاعيب الحياة ومتعتها الخفية في الزوايا المركونة... فحين تتقدم المرأة في العمر، لا تقلّ فرصة زواجها، بل تقلّ رغبتها في الحب والارتباط، وتحديداً إن كانت امرأةً مثقفة وعاملة... وعندما تكبر المرأة وتدخل أبواب الثلاثين، ترى لوحة الحب في إطارها الصحيح والمنطقي تزول منها هرمونات مراهقتها

العاطفية... تُصغي إلى عقلها أكثر من إصغائها إلى نبضات قلبها... وتؤمن ألّا نصيب سيزول عنها، إن تأخرت في الارتباط... فالزواج لا يحتاج إلى عمر، بل يحتاج إلى قرار صحيح، وإحساس مريح.. وإلى تفاهم واحترام بين كيانين أيّاً كان عمرهما... حاولي أن تخرجي من مرحلة اليأس التي تنتابكِ، فكلّ الأوجاع التي تؤلمكِ لها سبب نفسيّ، وأظن أن لها علاقة بذاك الشاب الذي أجهضت طفلكِ منه، انسيه يا ابنتي، لو أرادكِ بصدق لما رحل عنكِ وجعلك أمام خطّ الخطر... انسيه، وأصلحي أخطاءك كي تخفّ الذنوب التي تحملها نفسكِ تجاه والدكِ... فما عدت أتحمل رؤية ضعفكِ وانكساركِ... أسمعُكِ كل ليلة تصرخين في منتصف الليل، وأعلم أن هناك كابوساً فظيعاً قد رافقك...

- أجل يا أمي، أرى أبي دوماً في المنام يرافقني، يعاقبني، يعاتبني، إنني مخنوقة يا أمي... فعندما فقدت أبي، شعرت بأنني فقدت كل شيء رغم برودي نحوه في الآونة الأخيرة... مات وأنا أعلم أنني متّ في عينيه قبل موته.، شعور مؤلم وبينك وبين الموت شعرة، أن يموت في ناظرك أعزُّ شخص تحبه..

لا أدري كيف أعزّي ذاتي، ولا أعلم هل تكفي قراءة القرآن على روحه لكسب رضاه... فقدت من نفسي الأمل والثقة، ولم أعد قادرة على التحدي... وشعور الندم يعتريني في كل وقت، لقد قتلته وقمت بفاحشة عُظمى... كلما نظرت إلى نفسي في المرآة قلت:

«أبي أنت لا تستحقّ ابنة مثلي.. وسرعان ما عاد إلى لين شيطان التناقضات والرغبات بعد مرور وقت بسيط على معاهدتها نفسها بألا تعود كما كانت... ولفتَ أنظارها شادي».

حارت لين وتساءلت كثيراً..كيف لرجل مثل شادي تلقّى تجاهلاتِها دون أن يستسلم أمام رغبته فيها أو ينكسر كما فعل عبد... التقاها في المجمّع التجاري، حينما ذهبت مع بعض صديقاتها لتحضر بعض المستلزمات الخاصة للمركز... وحينما سألته عن أحد المنتجاتِ التي كان مسؤولاً عن تسويقها ولم تجدها، طلب رقمها كي يتواصل معها حين وصولها... وبعد أن أعطته إياه راح يهاتفها دوماً، علّها تميل إليه وتنجذب له كما انجذب إليها... لكنها كانت تبادله الحب باللامبالاة، ويبادلها اللامبالاة بالاهتمام وعمق السؤال... كانت تحاول الفرار دوماً من أمامه،... باتت ترى نفسها أنثى سيئة، يحبها الكثير وتتجاهلهم لأجل رجل لا يرى بعينه كل ما فيها من حب تجاهه.. لكنه لم يرغمها على شيء وكان لا يطلب منها سوى الردّ والقراءة والاستماع... كان مرحاً ومعتدّاً بنفسه أيضاً واستطاع بأسلوبه، وطريقة محادثته أن يخفّف عن لين بعض الهموم... تعلم لين أنه غارق في سحرها، في صوتها وحسنها... إلا أنها لا ترى به سوى صديق يُقَوي عزيمتها وثقتها ويحفّز شعورها بأنوثتها وجمالها... لكنها ليست سعيدة بما هي عليه، وتخشى أن تتقدم ويتكرر أمامها ما فعلته بغيره... وتستمر معاناتها مع ضربات قلبها. حاولت أن

تفكر فيه بشكل جدي وأن تتزوج به زواجاً تقليدياً بعد أن ملّت روحها ونوت الاستقرار... لكنها كالعادة لم تستطع ولم تقدر أن تنزع سكين جود من خاصرتها..

كانت تشعر أن شادي ليس كالباقين رغم أن شروطه تقليدية وأنه متعصبٌ في الحب والغيرة..

يريدها له وحده ولا يرغب أن تمارس أي عمل وهي على ذمّته... يغار عليها من خياله، ويعتبر أن ما عليها.. كامرأته سيكون محدوداً ومرتبطاً به وبمنزله... أي أن تسعده وتطهو له وتحافظ على منزلها وتصونه في غيابه وتمحو من رأسها أي أحلام تتعدى حلمَها به وبأطفاله... لكنها صدّته وابتعدت عنه فاستقبل صدّها بكل صدر رحب ولم يبكِ أو يتذلّل بين يديها.. مما أشعرها ببعض الحنق والصدمة وجعله شخصاً مميزاً مرّ في شريط حياتها اللا منطقي...

سامحينا يا مريم

تعرّفت لين إلى خالتها الكبرى من خلال برنامجها التلفزيونيّ الذي تقدّمه على القناة العراقية كل يوم أحد، فهي مذيعة واشتهرت بشكل واسع، وبات لها برنامج منفرد يسلّط الضوء على القضايا الاجتماعية في مجتمعنا... كما أن خالتها الوسطى قد أصبحت من ألمع الرسامات في العراق واستطاعت أن تمثّل دولتها في أغلب المناسبات العالمية... والدُ مريم توفي عقب سنتين من رحيلها، وعلي قد تزوج وأصبح لديه أربعة أطفال، وقد أخبر الناس أن مريم قد تزوجت في الخارج وسكنت مع زوجها في روما حسب رغبة والده طبعاً.. صارت خالتها تسأل عن مريم، فتجيب لين أنها بخير وأنها سعيدة جدّاً وتتمنى أن تلقاهم جميعاً... رغم يقينها أن عصافيرها قد ماتت وأن حب والدها لهم مات مع هروبها، وأن أرجوحتها قد أُزيلت وأن كل شيء يخصّها هناك قد تبخّر مع رحيلها.. إلا أنها تعلم مدى حبكم الذي كان يغمرها، وهي حيّة على ذكراكم... قالت لها خالتها: ماذا تقصدين بقولكِ يا عزيزتي لين! أقصد أني أكذب، أمي تعيسة جدّاً، والزمن قد أهانها.. تحلم أن ترفع قلماً، لكن الزمن قد أرهق فكرها وعرّى ضوء عقلها...

الخالة: وهل يعقل أن يصيبها كل هذا دون أن نعلم! أبي

قد أوصانا بها، وقد ترك لها قدراً كافياً من المال وكتب جزءاً من القصر باسمها، كما لو أنه كان يعلم بما سيحلّ بها... قولي لها أن تعود، فكلّنا شغفٌ بعودتها... فهي طفلتنا، قبل أن تكون أختنا..

- كم أتمنى ذلك يا خالتي، لكن لا أتوقع أنكم سترونها على ما كانت عليه... حتى خالي علي سوف يرفض وجودها، ولن يشفع لها...
- حاولي، فأمّك امرأةٌ حالمة، كانت ترسم بسمة أبي من لا سبب، عيناها كانتا السبب الرئيس لفرحه.
- لا أستطيع إخبارها بأمر كهذا في الوقت الحالي..
- لمَ!!
- هي دوماً تطمئنّ إليكِ من خلال برنامجكِ التلفزيونيّ... لكنها لا تعلم شيئاً بخصوص محادثاتنا، وترغب أن لا تعلموا بحالها كي لا تشفقوا عليها... فقد أغراها الحب وأعمى بصيرتها، وجعل منها امرأة خائنة بحقّ نفسها..

قررت مريم أن تسافر إلى مسقط رأس لين، لبنان.. لعلّ نفسيتها تشفى من عللها ولعلّها ترتاح قليلاً، وأخبرت لين بالأمر فارتاحت لين لقرار والدتها، ورقص قلبها فرحاً... وعادت نبضاتها تنبض لبحر وقالت: هي فرصة أن ألتقيه، وأن أفاتح أمي بموضوع أهلها في العراق وأني تعرّفت إليهم... عسى أن نجد حلّاً يُعيد إلى أمي ثقتها وذكريات صباها.. وتمنت أن ترى بحر في لبنان، ذاك الوسيم اللافت للأنظار الذي تعلم أنها لا تحبه بل تحبّ سحره

وجماله وكل شيء فيه رغم علمها أنه قد تزوج... لكنّ هناك شوقاً كبيراً بداخلها إليه، يدفعها أن تراه مجدداً.. أن تلمس يديه وأن تشعر بأنفاسه وأن تغرق في تفاصيله ولو مرةً واحدة في العمر...

اتصل عبد بلين كي يطمئنّ إليها.. فأخبرته أن أحوالها جيدةٌ، لكنها متعبة بعد وفاة والدها وتفكر أن تعود إلى بلدها.. جنّ عقله وما عاد يُجيد فهم التفاصيل، قال لها سأقتلكِ إن كان كلامكِ صحيحاً يا لين.. قالت له ما بك عبد هذا الأمر واقعيّ ولا بد أن أعود إلى وطني في نهاية الأمر، التقينا في الغربة كمغتربين ومن الطبيعي أن يأتيَ يوم ويعود كل شخص إلى بلده الأم.. وطلبت منه أن يهدأ، فأجاب بكلّ غضب: أنت لا تعلمين ما بداخلي من حرقة لأجلكِ بالرغم من رفضكِ لي، وأتحمّل وأقبل أن أراكِ أفضل مني ورافضةً لي.. لكن أن تبتعدي عن أنفاسي، فهذا الأمر لا أقبله بتاتاً.. لمَ تصبّين عليّ حمم القهر والغضب.. لمَ لا ترأفين بحالتي، قالت له:

من الطبيعي أن أعود إلى بلدي في أي وقت.. ليس هذا بالأمر الغريب ومن الطبيعي أن أتزوج في أية لحظة، عليك أن تؤهّب نفسك لأي حالة من هذه الحالات.

عبد تزوج كردّة فعل سلبية حينما رفضته لين.. اختار زوجته بطريقة تقليدية وتزوجها وأنجزا كل التجهيزات في أسبوعٍ واحد فقط.. ظنّاً أنه سينسى لين بعد أن صدمته برفضها وأسلوبها السابق معه إلا أنه لم ينسَها، بل زاد تعلّقه بها أضعافاً عن السابق وعرض

عليها الزواج عدة مرات متنازلاً لها عن زواجه الحالي... سعياً لقبولها وما كان منها إلا الرفض، رغم أن حبه لها قد أثار الصخب في كيان لين.

أيّ حب هذا يا عبد الذي هزم كيان رجولتك أمام امرأة رافضة لك!!

تمنت لين لو أنها استطاعت أن تحبه ولو قليلاً، لكن للقلب أقداراً أيضاً كأقدار الإنسان لا يستطيع التنحّي عنها... أنها أقدارٌ خارجة عن قيد الواقع والعقل.. وطلب منها الزواج مرة أخرى، إلا أنها رفضت بشدة، وقالت له عليك أن تفكر فيها لا فيّ.. هي زوجتك ولست أنا، هي أنثاكَ.. وعليك ألا تلتفت إلى غيرها، إنها قيدُ ذمّتك فحافظ عليها، بحقّ ما بك من رجولة.. قال لها: «بتعرفي ليه أنا بعيد عنك.. لأني بحبك، وبتعرفي إذا رحتي عن جد.. رح تصير حياتي فعلاً غربة»، فطلبت منه أن يتروّى ويهدأ.. وأخبرته أنها ستسافر حاليّاً لترى الوضع إن كان مناسباً للعيش هناك.. وإن لم يكن مناسباً فستعود.

قال لها: اطلبي مني ما شئتِ سأقوم بتنفيذه حيال قبول بقائكِ هنا.. قالت له: لا تقلق، لا بدّ أن أعود وسأحاول أن أتواصل معك كي أخبرك بأحوالي هناك.. قال لها: لا تتأخري لأنك سترينني أمامك في أي وقت.

هاتفها بعد ساعة.. وطلب منها أن تنزل إلى أسفل المبنى الذي تسكن فيه.. قالت له: هل جننت!! قال: افعلي ما قلته وإلا

فسأناديك بأعلى صوتي ولن أهتمّ بأحد، ها أنا أحذركِ... فطلبت منه أن يهدأ ويمنحها القليل من الوقت كي ترتدي عباءتها وتنزل إليه، وحينما رآها في ممر المبنى، اقترب نحوها واحتضنها بكل ما فيه.. وحاول تقبيلها فقابلته بالصّد.. بدأ يشتمها ويشدّ حصار عناقه عليها وهي تحاول الابتعاد عنه..

إلا أنه كان يحاربها بقوة جسده المندفعة نحوها.. وبَقي ينظر إليها دون أن يبعد عينيه عنها، قالت له عليّ أن أذهب حالاً.. فقال لها: لا أستطيع السماح لك بالرحيل، أرجوكِ...

لم يفكّ طوق حصاره عنها وعاندته بالصدّ.. قال لها هل تقبلين الزواج بي!! وبكل قسوة أعلنت رفضها رغم أن في داخلها حزناً شديداً لأجله.. وهي تقول لنفسها، أيّ قلب من قلوب العشق يتملّكك.. كسرت تمردي بسبب شدة عاطفتك وكسرتُك بقسوتي عليك ودّعته ومن ثم غادرت كي تجهز حقائب سفرها وفي اليوم التالي اتجهت إلى المطار..

وصلت لين مع مريم إلى مطار بيروت، وعاد أمامها شريط حياتها منذ البداية... تذكرت لحظات خروجها من أرض الوطن، وتفاصيل حياتها السابقة قبل أن تنقلب إلى ما هي عليه... وحينما وصلت حجزت جناحاً في اهم الفنادق هناك،كي تستريح مع والدتها فيه...

حتى مريم أحبت أن ترى بيروت كما لم ترها من قبل، لكنها

طلبت من لين في صباح اليوم التالي أن تذهب لترى أصدقاءها، لم تتردد لين بتاتاً، إلا أنها فوجئت باتصال من عبد..

ردّت عليه مقررةً أن تعلن له عدمِ رغبتها في الحديث معه، مهما حدث.. لكنه فاجأها بكلامه حين ردّت على اتصاله، قائلاً لها: لا يرضيكِ قربي ولا يرضيني بعادكِ.. أنا العليل ما بيني وبينكِ، أقيس المسافات ما بيني وبينكِ.. دون أن أخطر على بالكِ.. تصيبين الوتر وأمام حاجتي إليكِ يبكي الحجر.. عليلٌ أنا بلا قيد تعريف عن ذاتي، باسمكِ فقط أنادي.. لكن الطريق إليكِ شائكٌ وصعب.. وممرات الحياة نحو عالمكِ ضيقة دوماً أمامي.. إني لعينيكِ أنحني وأمام خصركِ أنهزم.. ففي عطركِ موسيقى وفي شفتيكِ كأس نبيذ، تودّ شفتاي به أن تختمر... ستسألينني عن هوى رغبتي وسأجيب عليكِ بالمختصر.. حبكِ خطر وقربكِ مستحيل وأنا أحب أن أخاطر نحو الخطر وأحب أن أعاند المستحيل وأشقّ طريقي نحوه دون تذاكر سفر... دفء صوتكِ، طول شعركِ حنانُكِ وفيضانُ جنونكِ.. كل ما فيكِ يوقظ بداخلي كل أمر مُنْتحر... عانقيني ولو مرة واحدة، وأشعريني أنكِ أنثايَ وحدي بعيداً عن كل البشر.. فأنتِ الطرب والمطر والفصل الخامس من فصول العمر.. ومعكِ تصبح ساعات يومي أربعين ساعة وأيام الأسابيع عشرة.. والسماوات السبع أمامكِ تطلق عنانها ليصبح بها سماء ثامنة لأجلكِ، كي تمكثي بها بعيداً عن كل من لا يقدّر وجودكِ.. اشكّ أن يكون لك أربعون شبيهة، فالله الذي خلقكِ خلق ملامح

الاختلافِ بكِ.. أحبكِ، حاولي أن تفهمي وتقبلي الزواج بي فقد باتت أحلامي مرهونة حدودها بكِ ولأجلكِ...

صمتت لين برهةً من الوقت.. واحتقرت مشاعرها التي لم تهتز أمام رجل به كل هذا القدر الهائل من المشاعر.. فقالت له: كلماتك سكّر محلّى أخشى أن يذوب مع مرارة الحياة.. فقال سكّري لا يذوب لأنه مصنوع من حلاكِ وحلاكِ لا ينطفئ.. فأبسط ما فيكِ هو أحلى ما فيكِ... اندهشت لين وقالت له: هل خُلق الشعر فيك!! فقال لأجلك أجيد ما لا أجيد.. وقريباً سأنتهي من كتابي الشعري، قالت: حقّاً أسعدتني ومتى ستصدره!! قال.. قريباً جدّاً، قالت له، لا بدّ أن أحصل على نسخة منه فقال: لين أتعلمين ما حجم فرحة المؤلف عند إصداره كتاباً فيقرؤه الجميع!! قالت: أجل كبيرة.. قال: لأجلكِ أجدت كتابة الشعر وأنتِ عندي كل الجميع... سأصدر نسخة واحدة فقط لأجلكِ، لأنكِ لديّ كل البشر.. غمرت لين الفرحة العامرة، فقد قدّرها بشكل خاص لم تظن يوماً أن يحصل معها. قال لها هل تعلمين أني لم أستحمّ حتى الآن منذ أن رأيتك، قالت لمَ!! قال لها: لأن عطرك عالقٌ بي.. قالت له هل جننت!! حبك ما عاد حبّاً بل هو هوَسٌ وجنون.. فقال: فلتقولي عني ما شئتِ، المهم أن تستطيعي تقدير هذا الحب الذي يسكنني نحوكِ.. قالت له: عبد عليك أن تتأقلم وتعيش من دوني.. أجابها بانفعال، حينما أحدثّكِ بالشرق ابقَي بالشرق ولا تحدثيني بالشمال والجنوب وبأحاديث الغرب.. قالت له إنها لن

تستطيع محادثته مجدداً ولن تستطيع كسره.. وطلبت منه أن يكمل دونها وأخبرته أن قلبها ليس ملكها ولو كان قلبها خالياً لما أحبت سواه.. وأغلقت هاتفها مقررة أن لا تردّ عليه مجدداً مهما حصل، فحبّه يكسرها يجعلها ضعيفة لا تستطيع أن تتحمّل كل هذا الحب دون أن تقابله بحب.. وقررت أن تكمل أحلامها تجاه بحر علّها تراه خلال سفرها.. وإذ بها تجد رسالة جديدة منه، بعد إغلاقها المحادثة معه.. تفتحها لتقرأها إنها رسالة وداع.. يقول لها فيها:

حبيبتي لين.. أنا على وعدي معكِ

وأنا على عهدي لكِ وأنا مسؤول عنكِ بعدِ غيابكِ عني، مسؤول عن أي ضحكة.. مسؤول عن أي لمسة، مسؤول عن أي شوق أو محبة.. فكل ذلك لغيركِ يا حبيبتي بلا طعم ولا لون.. سأفتقدكِ، سأتألّم.. سأصرخ بصمت شوقاً إليكِ، لن أعاتبكِ.. لن أطلب استنشاق عطركِ، فقط سأطلب العفو من قلبي.. كنت أتخيّل الدفء ولكني سأرتجف برداً.. أرتجف شوقاً، أرتجف رعباً.. لن يكون هناك ليل بلا صوتكِ بلا طيفكِ وبلا دفئكِ.. في رسالتي الأخيرة أعلن لكِ أني أحبك وأحبك وأحبك وبعد إعلاني هذا، أعلم أنكِ لن تكلّفي نفسكِ حتى مسح الدموع، وبعد ذلك أعلن لكِ أني أحبك أيضاً.

أغلقت هاتفها والدموع تغرغر في مقلتيها.. قائلة لنفسها: ما أروعك يا عبد، رأيت فيك الوفاء واكتشفت بنفسي الحقد

واللامبالاة.. ذهبت إلى منزلهم القديم... وأول من رأته أمامها كان إياس، جارها الذي كان يعمل معها ويسكن بجانب منزلها دون أن تعلم... جارها الذي كان يحبها وقد كسره غيابها... وامتنع عن الارتباط بعدها... رآها، وتذكرها فوراً رغم كل التغيرات بشكلها... رغم شعرها الذي ما رآه يوماً... إلا أنها لم تذكره جيداً.. ناداها، لين... نظرت إليه وتذكرته من عينيه اللتين كانتا تلمعان حبّاً لها.. سلّمت عليه وسألها عن أحوالها، وأخبرته بتلك التفاصيل التي مرت معها منذ رحيلها... سألها عن قلبها، فقالت له: لا قلبَ بي ينبض، ولا عاطفة بداخلي تبحر.. قال لها إنه ما زال على حبها باقياً، رغم غيابها الكبير.. فطلبت منه أن يبحر بعيداً عن هواها، لأنها لا تستحقّ شخصاً وفيّاً مثله... كانت تشعر بمدى رخصها، ولا تودّ أن تلوث قلبه العاشق بها، لأنها تعلمٍ أنه أحبها بكل صدق... ذهبت ودخلت إلى المحل الذي كانت تعمل فيه، اشترت ما رغبت فيه نفسها من ملابس، ولم تجد سوى رفيقة واحدة من صديقاتها القدامى... ثم مشت قليلاً وأثناء سيرها سمعت أحد الشبان ينادي بحر... فزّ قلبها، وراحت تلتفت حولها علّها تجده... إلى أن وقعت عيناها عليه، بحر كما هو يشبه بسحره هذا البحر الذي تقف قربه، كأنها لم تفارقه... تركت كل ما بيدها واتجهت إليه مسرعة، دقات قلبها كالبركان... انفعلت، نظر إليها بكل حب وكأنهما عاشقان منذ الصغر... لمست كفّيه حينما سلّمت عليه،

وقالت له إنها حاولت الاتصال به عند وصولها دون جدوى... أخبرها أن رقمه قد تغير، وأعطاها رقمه الجديد وطلب منها أن ترنّ عليه كي يحصل على رقمها... بعد أن عادت إلى المنزل، حدثته فوراً عن طريق الواتس اب.. سعدتُ برؤيتك جدّاً، لم أخلق الموعد بل إن المصادفة كانت كفيلةً أن تجمعني بك...

قال لها إنها كما هي، جميلة للغاية وأخبرها عن مدى شوقه إليها، لكن بحر ارتبط بفتاة سواها، وهذا ما تعلمه وما يُقلقها... كانت تتمنى لو أنه لم يتزوج، وأن نصيبهما لم يغدر بهما... ظنّ بحر أن لين قد نسيته، أخبرته أنها لم تنسه بتاتاً، وأنها قد تمنته بكل صدق... تمنت له زواجاً سعيداً، وتمنى لها أن يصادفها أجمل نصيب... أوجعها قوله كثيراً، لأنها ما كانت تتوقع أن يكون لها نصيب بعد جود إلا هو... أخبرها أنه يودّ لقاءها، كي يلتمس ولو القليل مما حلما به معاً... وقال لها أيضاً إن عينيها قد أفقدتاه الواقع والمنطق، وإن عطرها قد قتله واستفزّ رجولته.. نسيَ بحر وصل ارتباطه بزوجته، ولم يعد يفكر سوى في لين... عاد بحر إلى الوراء كثيراً، فقد مضى على فراقهما وقت طويل.

حين التقيا، استيقظت بداخلهما كل المشاعر المخبأة... أخبرها أن صوتها ما زال حنوناً كما كان، وأن طيفها الطفولي يزوره دائماً حين شروده... قال لها: عليّ ألا أضيّع هذه الفرصة، لأنكِ حدَثٌ مميز في عمري... لن أدعكِ ترحلين عني، مهما كلّفني الأمر... عليكِ أن تقرئي لي شعراً، كي أقرأ لعينيكِ شعري.. قالت:

لا أعرف كتابة الشعر، أو وصف البشر.. أو صناعة الجمل أمام عينيك.

قال: ستقولين لأجلي، ستتعلمين أمام عيني...لين: بحر، أخشى أن أحنّ إليك... قال: فار الحنين بداخلي وانتهى الأمر...

- أخاف أن أنعشَ حبك النائم في قلبي... بحر: أودّ أن أمارس معكِ الحب بكل ما أوتيت من جنون وشغف، وليحصل ما يود أن يحصل لا يهمني الأمر.... أخبرها أنه يودّ عناقها... أن يخرج عن المنطق معها ولو ساعة فقط بعيداً عن الناس... لين كانت تحلم بكلّ أحلام بحر، فقد كانت أحلامهما عميقة، كان يستفزّ أنوثتها، يجعلها تشعر بمشاعر غريبة، لم تشعر بها إلا حين كانت تلتقي جود... أخبرها أنه يودّ أن يقترب منها، ويلمس كل أحلامها على أرض الواقع... قالت له إنه قد نسيَها وتزوج بغيرها، فلمَ يرغب فيها... أخبرها أنه لم ينسَها، وأن هناك شيئاً بداخله ما زال لها، وكان يعتقد أنه نسيها، وحين وجدها عرف أن كلّ اعتقاداته كانت محضَ هُراء..

إن اللقاء الأول عابراً واتفقا على موعد جديد يحدّده بحر..

بقيت لين طوال النهار تفكر فيه، وكانت تنتظر منه اتصالاً علّها تسمع منه أي خبرٍ يريح قلبها، ويعيدها إليه من جديد... شعرت مريم بتغير حال لين، سألتها:

- ما خطبك يا ابنتي!! لمَ لا أراكِ على ما يرام!! هل حصل

ما يزعجكِ؟ لا يا أمي، لكني اشتقت إلى بدر وإلى أبي.. فحينما ذهبتُ إلى جانب بيتنا القديم انتابني شعور غريب، زرتُ منزلنا القديم ورأيت بعض أصدقائي.. وقد دعتني صديقتي أن أمضي يوماً كاملاً معها قبل موعد سفري فأجابتها قائلة: جيّد لكِ أن تفعلي ما شئت، لكن أرجوكِ ألّا تخيّبي ظني بكِ...؟

لا يا أمي، لا تقلقي ما عدت لين الغبية... كانت لين توهم نفسها أنها ستلقى بحر دون أن يمسّها أو يجرّها إلى ارتكاب المحرمات بين يديه، رغم أنها متهيئة وبكل حب لهذا الأمر... إنه أمر مزعج.. التناقض الذاتي، نفسٌ ترغب أن ترتوي، ونفس ترغب أن تجفّ دون قطرة ماء واحدة.. هاتفها بحر ليلاً، وطلب منها ألا تنام كي يتسنّى له عند عودته إلى المنزل أن يحدثها إن استطاع... ظلت لين ساهرة تحاول أن تقرأ كتاباً شعريّاً لنزار، رنّ هاتفها، ردّت عليه فأخبرها أنه ملزم بالتواصل معها عبر برنامج الواتساب، كي لا يلفت نظر زوجته.. احترقت لين من الداخل، باتت تسأل نفسها لمَ هي!! ولمَ ما زال يريدني أنا! لمَ يجرحني بها!! ولمَ يودّ جرحها دون أن تعلم سبب قربه مني!! كانت مشتتة جدّاً ترغب فيه بكل ما فيها وتحاول الابتعاد عن دربه بأي طريقة... سألها، ماذا تفعل؟ تمنّعت حينذاك أن تخبره بمَا كانت تفعله.. فكان ردّها: لا شيء كنت جالسةً أشاهد مسلسلاً هنديّاً... وأخبرته أنها تتمنى أن تجد حباً حقيقياً كالذي يكون في الأفلام والمسلسلات الهندية،

لكنني كلما شاهدتُ مسلسلاً أو فيلماً هنديّاً، وشاهدت جمال العلاقة الموجودة داخل هذا الإطار الذي كتبه الكاتب وتذكرت الواقع، علمتُ أن الحب الحقيقي غير موجود سوى في خيال العقل وفي قصص الروايات لا أكثر، فأخبرها... أنه يعيش حالة من اللاوعي بوجودها... لكنه كان شديد القسوة عليها دون أن يعلم... أخبرها ألا ترنّ على هاتفه، إن لم يرنّ لها بنفسه.. وكل هذا قد كان لأجل زوجته، وطلب منها أن تقدّر وضعه الحالي.. فسألته لمَ لا أحدثك!! فأجاب بلا مبالاة.. بأنه سيكون أغلب الوقت بالقرب من زوجته... اشتعلت لين، وتمنت لو أن زوجته فارقته كي يكون لها من جديد... كانت تظنّ أنه لن يتزوج سواها لو بعد حين... أخبرها بحبه لزوجته، ومراعاته لمشاعرها وكأنه ما كان سيصبح زوجها هي قبل أن ينقلب الزمن ويصبح لسواها... فكرت ألف مرة قبل أن تلقاه، كانت تخشى أن تتعلّق به مجدداً، وأن يكون حلمها به ليس إلا هباءً... قالت له: ما خطبك، ماذا تريد مني إن لم أكن أنثاك.. أليست هي كل حياتك؟ ألا ترى بها صورة أطفالك التي كنت تراها بي!! أنت مرتاح، تسكن حياتك امرأة أحببتها، فلمَ أنت مهتمّ بهواي إذا كنت حاضرة أو معدومة الوجود في دنياك! لن تتغير أمامك ملامح الحياة، فأنا لا أرى لوجودي أي أساس، وخصوصاً أن وجودي موقت وسيزول حين أرحل... وستعود أنت إلى زوجتك، وكأني لم أكن... قال لها إن معزّتها في قلبه فوق حدود الوصف والخيال، وإنه يودّ أن يكون قربها ولو يوماً واحداً..

شرط أن يكونا مجنونَين لا يخافان ولا يفكران في شيء... وأنه كان يحلم بيوم يجمعه بها، يستيقظ ويرى أمامه وجهها. قالت له: بحر، وجودي سيسبب لك العديد من المشكلات لو رآني أحدهم معك، وسوف تتقلّب مشاعرك بيني وبينها... لم تعد تعلم حينذاك ما مرتبتها من حب النساء لديه.. هي، أم زوجته!! أم امرأة ثالثة... لن ينجرح أحدٌ سواي، ستعود إليها وتتركني دونك أنت.. أشتكي حالي إلى حالي دون حتى أن تسمعني... ماذا سأفعل لو عاد الحنين بداخلي إليك!! ماذا سأفعل في الوقت الذي أعلم أنك ستذهب من بين أحضاني لتنام بأحضانها... عليّ أن أضع حدوداً لمشاعري مع رجل كان لي حبيباً وحلماً في يوم من الأيام... لرجل كنت أنثاه وأحلامه وكل مبتغاه... فأخبرها أن لا بدّ للحنين أن يقتحمنا من جديد، لكن سيتبقى لنا من يومنا ذكرى جميلة، وحلمٌ متحقق حتى لو لم تكوني لي.. أخبرته أنها باتت تشتاق إليه... فقال: لين، أودّ أن أعيش تلك اللحظة التي حلمت بها معكِ...

كنت أفكر دوماً في عودتكِ، كيف سنلتقي وماذا سيحلّ بقلبي حينئذ.. حلمت أن تكوني أمامي، وأنظر بكل حب إلى عينيكِ وأستنشق عطركِ الذي كان يفوح من حولي حينما أحدثكِ دون أن تكوني أمامي.. أودّ أن أحتضنكِ، لا أعلم سبب شعوري... أودّ أن تلمس كفّاي يديكِ... بالمختصر.... أودّ أن أكون بقربكِ ومن المؤكد أن يومي حينئذ سيكون أعظم أيام حياتي.. ومن المؤكد

أيضاً أني لن أنسى يوماً تاريخياً كذلك اليوم، ولو مرة واحدة في العمر فلتفعليها يا لين... إنكِ تعنين لي الكثير يا لين أكثر مما تتوقعين.. سهرت كثيراً لأجلكِ، وأحببتكِ حبّاً ما بعده حب... لم أكن أتوقع قط أن أصادفكِ... حلمت بلقياكِ وكنت أفكر فيما سبق حينما كنتِ حبيبتي، إن التقينا كيف سأصفف شعري، ماذا سيكون نوع عطري حينئذ.. ثم ردّد لها أغنية وائل كفوري «كحل سعودي فوق العين ورمش عيونكِ لبناني» ومن ثم غنى لها أيضاً أغنية وديع الصافي.. «رمشة عينك تغوينا وبترمي سهام وتكوينا، نظرة حلوة من عيونك.. بتبل القلب وترويتا.. كيف ما رضيتي بجيرتنا... شو نسّاكي عشيرتنا، بعلمي رضيتي بديرتنا و خاويناكي وخاويتينا».

ضحكت لين وقالت: كنت لا أفكر في وضع المساحيق بتاتاً، لأني أعلم كل العلم أنك تحبني طبيعية شفافة أمامك... كنت سأرتدي ألف ثوب، وأرمي تسعمئة وتسعةً وتسعين جانباً، وأختار واحداً، ومن المؤكد أنني لن أكون حينذاك مقتنعة به، فحيرتي أمام لقياك عظيمة...

قال لها: رأيتك مصادفةً دون موعد، جميلة كما أنتِ... لكن سأنجب لنا موعداً، وسنلتقي دون مساحيق ودون فساتين... دون عطر ممتلئ بالكحول.. سيكون عطر جسدكِ عطريَ المجنون، وسيّد احتفالي بكِ...

بماذا تفكرين أخبريني!!

هل ستستقبلينني بقصيدة جميلة كملامحكِ؟

ضحكت لين، فهو لا يعلم أنها تجيد الكتابة وتهوى القراءة.. أتودّ أن أكتب لك شعراً!!

بحر: بالطبع، أتعلمين..، لا أعلم لمَ تباعدنا، وكيف افترقنا!! لكني أعلم أن هنالك حلماً وموعداً بيني وبينك وسأدعه يتحقق...

أتمناكِ كما يتمنى اليتيم أن يعود إلى أحضان والدته، فكل لحظة سأقضيها قربكِ ستكون بمثابة أمنية لي، وأودّ تحقيقها وقد حان وقتها... سأشتمّ كلِ قارّة وكوكب بكِ، وسأغوص في المجهول معكِ.

أين تودين أن نلتقي!! من المؤكد أننا لن نلتقي أمام الجميع، لأن الكل يعرفني هنا...

قالت له أي مكان يجمعني بك.. أتذكر يا بحر حينما حلمت أن يجمعنا شروق الشمس أمام البحر وحدنا؟

- أجل من المؤكد أنني أذكر، فأنا لم أنسَ شيئاً قد جمعني بكِ يا لين... لم أصدق كيف رأيتك يا بحر!! وأنا أيضاً قلت لصديقي الذي يرافقني حينذاك أن يبتعد قليلاً كي تريني أمامكِ فسألني عنكِ، وأخبرته أني تعرفت إليها في دبي وأحببتها وانتظرتها وحلمت بها كثيراً، وانفصلنا دون أن نلتقي.. وسبحان من جمعنا دون أن ندري!! بقي كلّ ما بيننا حلماً، إلى أن جمعتنا المصادفة دون موعد...

- حين افترقنا تعبت جدّاً، كنت أمسك هاتفي كي أحدثك

وأكابر... سهرت كثيراً بسبب حنيني إليك، ما كان النومِ يصاحبني دون سماع صوتك.. تألمت كثيراً يا بحر.

- تمنيت أن تكوني لي، كي تنامي بين أحضاني كل يوم، فأنتِ كل أحلامي حتى لو لم تكوني لي، فقد تمنيتُ أولادي منكِ أنتِ، وأن تنامي كل ليلة في قلبي وأتصبّح بكِ مع كل بزوغ فجر..
- كأن أحلامك أحلامي، وأمنياتك كل مبتغاي، لكن للنصيب دوراً في الحياة وقدّر الله وما شاء فعل ولا اعتراض على حكمه...
- ستبقين في فكري دائماً، لا تغضبي مني إن احتضنتكِ بكل قوة حين ألقاك... إن قبّلتكِ وانقطعت أنفاسكِ واختلطت بأنفاسي، فهذه أقل أمنياتي، لقد عدتِ بي إلى تلك الأيام، وقد اشتعل الحنين بداخلي وكأن تلك الأيام لم تمضِ عنا... كل ما بي يعلن حبه لكِ من جديد، وكأنك ما زلت حبيبتي ولم يفرقنا أي أمر حقير..
- بحر، كان بيني وبينك حبٌّ جميلٌ، وليس بلهو ولعب بين قصص المغدورين..
- لا عتابَ بداخلي لك، رغم أني حينما التقيتك لم نتكلم بشكل مطوّل وأنت أمامي، لكني تذكرت كل أيامي معك، كل أحلامنا وسكرات شوقنا... كان حلماً بداخلي أن أقول لك «أحبك» أمام عينيك، كي تردّ عليّ بأعلى صوت أنك

تحبني أيضاً... فحينما رأيتك، رأيتك على ما أنت عليه... الشخص نفسه الذي كان يسكنني، ملهمي وستبقى ملهمي دائماً حتى لو لم تكن لي ولم أكن لك.

- بحر، كانت كل أحلامي بك كحلم بعيد الوصال، رغم أنك كنت أقرب من أي قريب...

- لين، لم أجد أنثى مثلكِ بجميع تفاصيلكِ... مجرمة بأنوثتكِ، تعصفين بي كالإعصار، تتملّكين كلّي بنظرة عين من نار.. أحب تمرّدكِ، تقدّمكِ.. أحب إصراركِ وأحسد نفسي أنكِ كنت لي يوماً...

- ما خطبك، هل ما زلت تحبني..!!

- ربما ما زلت على قيد حبك... أظن أن حبي لكِ كان في غيبوبة، وحينما رأيت عينيكِ عاد كل شيء كما كان... لا تسألي كثيراً عن التفاصيل، فما أعرفه أقل بكثير مما أشعر به... لكني أعلم أمراً واحداً، أنني أود أن آخذكِ بعيداً عن عيون الخلق... لا أودّ لأحد أن يرافقنا، ولا أودّ من الهواء أيضاً أن يزعجنا... أودّ أن ألمس يدكِ، وأنظر إلى عينيكِ وأخبرك بكل أحلامي التي حلمتها بقربكِ...

- ألا تخشى أن يعود حبك لي بعد أن نلتقي!!

- لم أفكر في هذا الأمر، كل ما أفكر فيه الآن هو أن أكون قربكِ فقط، لا أعلم لماذا... هل ما زلت تثقين بي!!

- أجل، رغم كل ما حصل بيني وبينك، ورغم أن النساء هنّ أهم اهتماماتك، إلا أني أثق بك لأن قلبي يثق بك..

- لا يوجد رجل لا يحب النساء يا لين لكن..

«وحياة لين وبحر، حبيتك وما ممكن حدا يزهر بقلبي متل ما زهرتي....

غيرك زهرو ودبلو بس أنتِ ما بتدبلي لأنك موجودة بالدورة الدموية، وما بتدبلي غير لما يموت قلبي».

- لكنك أحببت سواي وتزوجت امرأةً غيري...

حين تزوجت أحسست أن ما بيني وبينك ليس حبّاً، لا أعلم ما كان... لكن الحب يبقى دائماً دون أن يموت، وأنت قد قتلت حبي وروحي حينما منحت نفسك لامرأة سواي...

- أرجوكِ بحق الرب العالي أن تنسي موضوع زوجتي، وأن تكوني من الآن إلى حين موعدنا حبيبتي، أريد أن أحقق أحلامنا ولو بضعة أيام، لا تحرمي قلبينا من تحقيق تلك الأمنيات...

- لكنك تحبها وسوف تتشابك مشاعرك بيني وبينها...

- لو لم أحبها لما تزوجتها، «لكنكِ حلمي»... ولن أقبل إلا أن أحصل على حظّي بكِ ولو يوماً واحداً بالعمر... عليّ الذهاب إلى عملي الآن، وأرجو منكِ عدم الاتصال بي، سأهاتفكِ حينما أستطيع..

- لمَ تعرّض نفسك لأمورٍ أنت في غنىً عنها.. تحبها، ابقَ بجانبها ولتكفَّ عن تعذيبي... تحدثني وكأنك ما كنت يوماً حبيبي، وكأني ما كنت أملك حقّاً بك... كنت أهاتفك دون موعد، كانت حياتي لك وحياتك ملكي... لمَ تحاول تجريدي!! إن كنت تحبها فلا تخُنها لأجلي، لا أستطيع أن أتحمّل تلك الفكرة القبيحة.. أنك ستكون حبيبي يوماً واحداً، دون محبس يدك ودون أي مشاعر لسواي... أي كذبٍ هذا!

- أرجوكِ يا لين، تحمّلي قليلاً لأجلي...

تردّدت لين لكن رغبتها به كانت أقوى من كل شيء فقالت: حسناً، سأفعل ليوم واحدٍ فقط...

مرّت الأيام ولين تفكر في موعدها، حتى أنها مدّدت إجازتها أسبوعين بدل أسبوع واحد كي تنتظر من بحر تحديد موعدهما... وقد أخبرها أنه سيلقاها يوم الاثنين... وفي اليومين اللذين كانا يقفان كالحاجز أمام موعدهما، قررت لين أن تجلب مرشداً سياحيّاً كي يأخذها مع والدتها في جولة سياحية... لفّت كل أرجاء الوطن، واقتنت كل ما أعجبها، وتعرفت إلى أناس جدد... شعرت أنها تعيش حياة مختلفة عما كانت تعيش به... حاولت أن تبحث عن منزل جود علّها تراه ولو من بعيد... لكن حين مرت قرب منزله كما أخبرها ذات يوم، لم تستطع أن تحدّد مكانه بشكل دقيق... إلى أن جاء موعد لقائها ببحر... هي مشتّتة لا تعلم ما مبتغاها منه،

وتحديداً أنه قد بات رجلاً متزوجاً، وتفكر في جود دوماً رغم خجلها منه بسبب تفكيرها المنحرف الذي يدور داخلها لرجل سواه... فهي تعلم جيداً ما الذي سيحصل بينها وبين بحر وكم ستنحرف معه في ذلك اليوم...

جاء يوم اللقاء...كانت خائفة جدّاً، ستغامر بقلبها من أجل رجل لا يستحقّها.. وستخون جود مع رجل أحبته، لكن ليس كالحب الذي شعرت به مع جود، لكنها أحبته وتمنته... ورغبت أن تُحيي انحرافها في لقاء غير شرعي بينها وبين بحر... حدّد لها مكاناً بعيداً عن المدينة كي لا يراهما أحد، وبقيت تنتظر مجيئه مدة نصف ساعة دون أن يأتي... قلقت كثيراً وتوقّعت عدم قدومه، وإذ بها تراه أمامها من جديد يرافقها ويخلع محبس زواجه من يده، كي يكون متحرراً من أي رباط يمنعه عنها، ناسياً رابط الضمير والثقة بينه وبين زوجته... أخبرها أنها حبيبته، وذهبا في نزهة جميلة في أرجاء لبنان... احتضنها، ووضع لها أجمل أغاني الحب، ومن بينها تلك الأغنية التي تقول: «أنا رجالك رجالك، فيي شوفي حالك والله متل خيالك بدي أبقى لاحقك.. انا يا سعدي يا سعدي، قاطف أجمل وردة.. الليلة وقعتي وصرتي بيدي ومن يدي ما بطيرك».

قالت له: هل تذكر يا بحر تلك الأغنية التي أهديتها لي ذات يوم؟ قال أي أغنية! لقد غنيت لكِ بصوتي النشاز كثيراً... ضحك كلاهما وكأن حبهما ما غاب، وكأنهما حقّاً حبيبان نسيا كل ما

حولهما... وكأن الدنيا خالية من البشر في موعد لقائهما هذا... وصلا إلى منزل جميل للغاية، اقترب منها وقبّلها من شفتيها، وسألها: هل تثقين بي!! قالت أجل، وأثق بقلبينا.. نزلت معه، ودخلت إلى ذاك المنزل جلسا في الصالة وبدآ يتحدثان، إلى أن سألته وهي متربعة بين أحضانه... لمَ رحلت عني!! فارتاب أمامها وخجل منها، وباتت الكلمات تتراجع، ودقات قلبه تتسارع... فقالت له: لقد قلت لي ذات يوم: «لا أستطيع البقاء معكِ دون أن أحبك، ولا أستطيع البقاء»... وسألته، لمَ قلتها لي ذات يوم ورحلت؟ فأخبرها أن عمه كان يودّ منه أن يرتبط بابنته منذ طفولته، وأن ما حصل حينذاك كان صعباً عليه جدّاً... عندما جاء عمه وفرض عليه الارتباط بها، ما كان يودّ أن يرتبط بها بكذبة وأنه ارتبط بها رغم عدمِ استطاعته التأقلم معها بتاتاً... وبمرور الأيام قرر الانفصال عنها، متجاهلاً كل الحروب التي ستحصل داخل عائلتهم بسبب فسخ هذه العلاقة... وطلب منها أن تنسى كل هذه الأمور ولا تلتفت إلى ما فات... فسألته، لكنك تزوجت غيري ولم تعد لي رغم أني لم أنسَك!!

فأخبرها أن كل ما يدور على كوكب الكرة الأرضية، يحكمه القدر والنصيب... لذا، لا بدّ أن نخضع لحكم النصيب... احتضنها بكل ما فيه من حب، تمنت لو لم تفارقه يوماً... كانتْ تعلم جيداً أنه سيفارقها ويعود إلى زوجته، سينسى كل ما حصل بينهما عندما تمرّ ساعة على فراقهما... كان يراقب ساعة يده، فقد كان للقائهما

توقيتٌ زمنيٌّ خبيثٌ.. لن يتعدّى ساعتين فقط،... ألقى على مسامعها شعراً، وقال لها قصيدة وهما تحت الماء «ريتا والشتاء» لمحمود درويش، وحين طلب منها أن تلقي أمامه القصيدة التي طلبها منها، قبّلته على شفتيه، على وجنتيه.. وجبينه وعنقه وقالت له: هذه أبلغ قصيدة يمكنني أن أكتبها برائحة أنفاسي على جميع حواسك... فغنى لها «يا عاشقة الورد» فسألته، ما الأغنية التي أهديتها لي لرامي عياش ذات يوم؟ قال: لا أذكر، وحاولت أن تتذكرها دون جدوى... واستمر العناق والتقبيل والشدّ والجذب والتنهد والتحرّق والضحك المفعم بالنشوة واللهفة... نظر إليها وقال: «يا ريت بترضي يا ريت حبيبة قلبي تكوني، بعمرلك بعيوني بيت حيطانو ريف جفوني» ومن بعدها جاء موعد افتراقهما عند المفرق نفسه الذي قابلها فيه وأخبرته أنها لن تقدر على غيابه... فأخبرها أن فراقهما خير لهما، وعليهما أن يخضعا للأمر الواقع.

ذهبت وهي على أمل أن يهاتفها وتحديداً أنه قد طلب منها عدم الاتصال به إذا لم يتصل بها من تلقاء نفسه، وعليها أن تنتظر اتصاله... كانت تعلم أنه عاد إليها، إلى زوجته التي بدأت لين تغار منها بشكل جنونيّ بعد أن رأت بحر.. رأت صورهما في المساء عبر موقعٍ إلكتروني... لم تستطع أن تنسى كلمة أحبك التي صرخ بها وهي في أحضانه أمام البحر... وقالت له حينذاك: هل تذكر أني قد تمنيت من الله كثيراً أن يجمعنا أمام بزوغ الفجر في موعد على سطح الرمال وأمام البحر؟ وطلبت منه أن يعدها أن يذكرها

في كل مرة يزور البحر، من الآن حتى نهاية العمر، وقد وعدها حباً بها، فهو يعلم جيداً كم أحبته... مرت الأيام دون اتصال، وقد بدأت تشعر بحجم رخصها وجنون ما فعلته وقسوته.

عادت إلى المملكة العربية السعودية دون أن تلقاه مجدداً... حاولت أن تتأقلم بعملها وحياتها لكن دون جدوى، فقد التمس كل ما فيها من نقاط ضعف.. حاولت أن تنساه وتعوّد نفسها فراقه مجدداً لكن محاولاتها كانت تفشل دوماً، كانت تسأل نفسها هل أحببته أم أنني كنت أود أن أعيش معه ما لا يحق لي به الآن.. تمنيت أن ينسى زوجته ويتركها بعد لقيانا، إلا أنه عاد إليها وكأن لا شيء حصل بيننا.

حاولت لين أن تنتزعه من قلبها، لكن كل ما فيها كان يرغب فيه... عانت ونازعت وتشتتت أفكارها وتمزق قلبها... باتت تفتح حسابه في الفيس بوك يومياً كي ترى أي تحديث جديد منه، إلّا أن ما كانت تراه كان يصدمها، صوره مع زوجته بأبهى الحلل.. أصبح خيالها يقنعها، أنه سيتخلى عن زوجته لأجل حبها، لكن أوهامها أغرقتها وعمّقت الجرح داخلها... كانت تنتظر منه اتصالاً يجعلها تطمئن أنه ما زال يرغب فيها، ما زال يحبها ويودّ قربها.. مرت الأيام وصار يهاتفها بين الحين والآخر، وكأنه يودّ أن لا تنساه دون أن يعود إليها، إلى أن قررت أن تخلعه من داخلها وتتركه نهائيّاً.. نظرت إلى نفسها وتأملت ماضيها معه وفكرت جيداً، واقتنعت أنها لم تكن تحبه بقدر ما كانت ترغب فيه، وألا شيء

ينقصها حتى تنتظر منه اتصالاً... وسرعان ما رنّ هاتفها وصوته الحنون يحدثها... أخبرته أنها ستنزعه من حياتها بشكل تام... قال لها لماذا!! فأخبرته أنها اقتنعت أنه ليس لها، وعليه أن يكون سعيداً بحياته بعيداً عنها.. وعليها أن تقتنع بالواقع وتتخلى عن أوهامها به... قال لها إنه سيظهر لها من كل مكان كي لا تنساه.. لكنها قررت أن تنساه كي تعيش بكرامتها بعيداً عن رجل لم يقدّرها وتزوج بغيرها رغم حبهما.

أكملت حياتها وهي بأفضل حال أمام الخلق، رغم شعورها بالنقص في داخلها.. فهي تكره تاريخها المنحرف الملوث بقذارة أفكارها.

حاولت مريم أن تبقى قريبةً من لين، كي لا تنجرف نحو الهاوية من جديد، لقد غفرت لها أفعالها لأنها تعلم أن سبب دمارها الداخلي الذي أوصلها إلى هنا، هو أساس عائلتها.. ولأن أحمد قد شدّ حبلاً من التعقيد حول عنق لين، فانجرفت نحو اللامنطق.. قررت مريم أن تسألها عن الشاب الذي أجهضت طفلها منه، فقد شعرت أن الوقت قد حان كي تكتشف هويته..

فقالت لها: أخبريني عنه يا لين..

- من يا أمي!

مريم: الرجل الذي أحببته ورحل تاركاً لكِ الحزن والانكسار... أخبريني ولتعتبريني صديقتكِ، فقد قضينا العمر معاً وغفرت لكِ أسوأ أفعالكِ، فلا تقلقي أو تخافي..

- حسناً، سأخبركِ لكن عديني أن لا تسألي عنه مرة أخرى لأن اسمه يصيبني بألف جرح يا أمي..

- اتفقنا يا لين هيا قولي لي..

أذكر أول يوم رأيت جود، كنت في التاسعة عشرة من عمري.. التقيته آنذاك في مطار بيروت حينما سافرنا أول مرة، لم أكن أعرف أحداً هناك حينما ذهبت مع مساعد السيدة الريم كي أؤمن على أغراضنا ولينهي أوراق سفرنا داخل المطار.. وحينما كنت ذاهبة نحوكم، رأيت شخصاً يقف أمامه العديد من الناس ويحاولون الحديث معه وطلب صورة تذكارية برفقته، كان شابّاً وسيماً، محاطاً بالكثير من الفتيات والمعجبين.. وحينما وقعت عيني على عينه، دق قلبي بقوة.. وكأني أول مرة أرى رجلاً في حياتي. وأول مرة أشعر بالخجل بسبب رجل.. مع العلم أني لم أعجب بأحد في أي يوم، على العكس كنت أسخر من الفتيات المعجبات بالشبان الذين يدخلون محل الملابس الذي كنت أعمل به.. لم أفهم لمَ أحسست بفرحة عندما رأيته.

كانت إحدى الفتيات المعجبات به تدعوه كي يتصور معها، فاعتذر منها وتقدم نحوي وطلب مني أن أتصور معه وكأني مشهورة من مشاهير الفن.. فسمحت له وأحسست أن قلبي سيخرج من مكانه فقد كان يدق بقوة طوال الوقت... حتى أني خفت أن يسمع دقات قلبي فتفضحني أمامه...

وكنت أستغربُ نفسي، فمن ذلك اليوم أحببته وأحبني وكان أسعد يوم وأحلى لحظة في حياتي.

أصبحنا صديقين، ولم يعترف أحدنا للآخر...كنت أرى غيرته وخوفه عليّ، وأشعر بحبه.. ومرّ ذلك العام وأصبح أقرب إنسان لي، أحكي له كل ما يقلقني... لكن الحياة فرّقتنا، كنت أشعر بوحدة شديدة خصوصاً أني متعلقة به كثيراً.. كنا نتشاجر ونتصالح ولا أراه إلا في العطل الأسبوعية.. كنت أكتفي بالساعات القليلة التي أقضيها معه، وكلما رأيته خفق قلبي من جديد.. وحين أودّعه، ينتابني شعور بالخوف، أشعر خلاله أنها المرة الأخيرة التي سأراه، لا أدري لماذا!.. آخر مرة رأيته حضنني بقوة وقال: عديني أن لا يفرقنا شيء، فوعدته.. ثم أطرق رأسه قائلاً: حتى الموت!؟ قلت نعم.. في ذلك اليوم فقط أحسست بالطمأنينة، وآمنت أننا لن نفترق... مرّ الآن على ذلك اليوم.. عدة أعوام.. ستتساءلين عن السبب، صدقيني لم أعرف الحقيقة بأكملها.. رغم أني أودّ أن أفهم حقيقةً واحدة فقط، إن كان أحبني بصدق، أو أنه أحبني لبعضِ الوقت لا أكثر.. كل ما أعلمه، أنه أحبَّني بكل علَلي وأحببتُه بكل علَله، إلّا أن علل الحبّ عقّدتنا، وأفسدت دلال حبّنا، وكأن عيناً قد أصابتنا.. حسبي الله على كل من رأى نبض قلبينا ولم يذكر اسم الله علينا.. كانت فرحتنا ستكتمل، إلّا آنّنا افترقنا.. كنت أشعر أنه تغير وأصبح بارداً.. كنت أسأله عن السبب ولا يعطيني جواباً منطقيّاً.. أصبحنا لا نتحدث كثيراً.. قلت له دعنا نبتعد قليلاً لعلّه

يرتب أفكاره... ففي الحقيقة شككت أنه لم يعد يحبني وأنه قد تعرف إلى فتاة أخرى.. بعدها قال لي كلاماً جارحاً، بأنه رجع إلى صوابه وأنه ندم على الوقت الذي قضاه معي، وأنه لن يريني وجهه مرة أخرى... قلت له إني لست نادمة على شيء، وافترقنا.

حزنت أنه لم يضحِّ لأجلي، فقد أخبرني أن الفوارق الاجتماعية بيننا غير مقبولة لدى عائلته وأنه سيتزوج بغيري. بعد حوالى شهرين، اتصل بي وكان صوته مخنوقاً وأنا كنت أمثل دور القوية، وكأني نسيته ونسيت كل شيء ممتع معه، كان يتصل كل فترة.. أحياناً في أوقات متأخرة فلا أجيب، قال لي ذات يوم إنه دائماً يراني في أحلامه ويتذكرني.. ذات شتاء، قلت له إني قادمة وأرغب في رؤيته..كنت أريد أن أعرف سبب ابتعاده الحقيقي ان كان فراقه عني سبب الظروف او ان حبه انعدم نحوي.. اتفقنا على اللقاء، إلّا أنه حين أتى الموعد لم يرد على الهاتف... استغربت كثيراً وانتظرت اتصاله دون فائدة ومنذ ذلك اليوم قررت أن أمحوه من قلبي.

اتصل بي بعدها ولكني لم أرد، واتصل بي الشهر الماضي في ساعة متأخرة من رقم آخر رددت عليه ولكنه لم يُجب ثم أرسل رسالة وكتب لين، فأجبت بعدها وكنت أحدثه ببرود شديد.. قال إنه اتصل ليطمئنّ إلي، وقال إنه لم يأتِ ذلك اليوم لأن خالته توفيت، وحاول الاتصال بي عدة مرات.. وأراد أن ينبش الماضي، إلا أني رفضت متعلّلة بأنها قصة منتهية وليس هناك أي جدوى من

الحديث، قال لي أنت الفتاة الوحيدة التي خفت عليها، وسأظل دائماً أخاف عليكِ وأنت تعلمين لماذا.. لم أجبه، منذ ذلك اليوم وأنا أفكر وأنتظر مكالمته... ندمتُ لأني لم أقل له ما يدور في خلجات قلبي... بعد أسبوع، أرسلت إليه رسالة في الليل.. كان نائماً، فاتصل بي في الصباح الباكر.. كان قلقاً ظنّ أني أواجه مشكلة ما.. لم أقوَ مرة أخرى على الكلام، كانت كبريائي تمنعني.. في العيد تحدثنا أيضاً وسألني إن كنت أفكر في الارتباط، فقلت له حين يحين الوقت سأقول لك وستكون أول المدعوين يوم زفافي فضحك باستهزاء وقال: أعلم أنه لن يصعب عليك وتمنى لي السعادة.. أنا في الحقيقة لا أتخيل نفسي مع غيره! منذ يومين قررت أن أكلمه وأقول له حقيقة مشاعري.. دخلت على صفحته على الفيسبوك، لكنني ترددت كثيراً.. ثم امتنعت! احترت كثيراً وبكيت كثيراً، ثم أرسلت إليه رسالة وقلت له إني أريد أن أتحدث معك.. فاتصل بي وقال إنه يشعر بحبي له وأنه لا يزال قويّاً.. فأنكرت وقلت له لا أعلم عمَّ تتحدث، فارتبك ثم قال: لقد نسيتكِ يا لين.. فصُعقت وتجمّدت أطرافي، وتبلّد كل حسّ ينبض بي.. ثم قلت له أتمنى لك السعادة وسكتّ.. فقال لمَ سكتِّ، قلت لا أملك ما أقول سوى أن أتمنى لك السعادة.. وقلت إني لا أملك الحقّ بمعاتبتك وتذكيرك بما كان بيننا.. قال إن والدته قد أصرّت على ارتباطه ولم تُتح له فرصة الرفض.. ثم سألني عمّ كنت أريد قوله... رفضت في البداية بعد ما سمعته ثم قلت له، إني لم أنسَه وإني

أتذكره دائماً.. فقال إنه أيضاً لن ينسى أكثرَ امرأة أحبها، وسيسمي ابنته على اسمها، وهي أنا! وبعد مكالمة دامت عشرين دقيقة أرسل رسالة يتمنى لي فيها أن يكتب لي الله ما أتمناه وكلاماً آخر، فأجبته بأني تمنيت شيئاً واحداً هو أنت، ولكننا لا نحصل على كل ما نتمناه.. وبالرغم من أنك جرحتني كثيراً تذكر دائماً أني أريدك سعيداً.. قلت له إن كل ما أتمناه الآن أن تذكرني دائماً، ويبقى لي مكان ولو صغير في قلبك.. وأعتذرُ لأني أقول هذا في وقت غير مناسب.. لا أدري ماذا أفعل؟ كيف أنسى حبّ سنوات! لا أتخيل نفسي مع سواه، ولا أدري كيف سأتحمل... فالذي قتلني أني متيقنةٌ أنه ما زال يحبني رغم أنه قال نسيتك يا لين.. لا أبرّر له أو لنفسي ولكني أحاول إيجاد تفسير لعلاقتي به.. لكن عليّ أن أنسى يا أمي، وأكمل حياتي دونه ودون ذكراه.

كذبك حلو وغدرك مر...

دخلت لين حجرتها.. وشعرت بالضعف جرّاء ما دار بينها وبين والدتها، شعرت بالإحباط العاطفي، الذى يضعف كل أحاسيسها حينما يغتالها... كانت تودّ أن تحدث جود بعد أن تلبّسها الحنين نحوه.. إلا أن مشاعرها اتجهت نحو شخص مختلف جذرياً.. ضعفت وشعرت أن حياتها تتأزّم، كل ما فيها معتدل عدا عاطفتها المترجحة.. تارةً تشعر بالضعف أمام شريط ذكرياتها مع بحر، وتارة أخرى نحو حبها اليتيم لجود، فهما من أحبت وتمنت إلا أن نصيبها كان ضدها ولم تكن من نصيب أحدهما وما هي إلا لحظات سريعة حتى أمسكت هاتفها باحثة عن رقم بحر.. مقررة أن تشحن طاقة مشاعرها به، حتى لو كان الأمر محدوداً بمدة زمنية معينة، ليظهر لها رقمه عبر برنامج الواتساب.. وبدأ وجعها يتجدد حينما رأت صورته برفقة زوجته يبتسمان.. انهارت أعصابها وشعرت باليأس والإحباط ورغم ذلك قررت أن تنتظر حتى الساعة الواحدة ليلاً.. كي تحادثه دون أن تلاقي منه أي صد بحجة وجود زوجته.. فهي بأمسّ الحاجة لأن تغذّي مشاعرها بصوته وكلماته التي تقوم بإحيائها، باتت مع كل دقيقة تتوتّر وتفكر بشكل جدي أن تقف ضد عاطفتها.. كي لا تتقدم نحوه بضعفها،

فهو يعلم كل العلم أنه ضعفها.. وهي تقوى به، دقت الساعة الواحدة والنصف ليلاً وكتبت له مساء الخير. فردّ عليها فوراً.. مساء النور، شعرت أنها على قيد الحب من جديد وكأنها لم تفترق عنه، تمالكت نفسها ومن ثم كتبت: أعتذر إن قمت بإزعاجك.

لا أبداً سعيد جدّاً بمحادثتكِ.. إلا أنه طلب منها أن تقوم بمحادثته بعد ساعة، وطلب منها ألّا تنام لأنه يودّ أن يتحدث معها.

بدأت تتعطر وتصفف شعرها وكأنها ستلقاه بشكل مباشر، رغم أن لقاءهما عبارة عن محادثة صوتية لكنها أحبت أن تتألق وتتجمّل بأنوثتها أمام ذاتها.. لعلّه يلمح خيال رسمها من خلف الهاتف أو يستنشق عطرها بإحساسه، مرّت ساعة كاملة دون أن يتحدث.. ظنت أن موعده تأجل أو أنه نسيَ واستكبر، لكن وبشكل مفاجئ على قلبها.. كتب لها: لين يا لين.. فردت كالبرق «عيونها».. ماذا بكِ أشعر أن هناك ألماً يجتاحكِ!؟ أنا لستُ بخير يا بحر وأعلم أن تواصلي معك ليس من حقي أعتذر منك، لا تتفوهي بهذه السخافات بالعكس أسعدني تواصلكِ.. وعدتُ نفسي ألا أكلمك مرة ثانية، لكن لا أعرف لم تطفّلت على ذاتي وأحرجت نفسي كي أتحدث إليك مجدداً.. قولي لي ما بكِ!؟ ما عليك قليل من الضغوطات.. لكن حديثي معك ليس للتذمر والمشتكى، بل لأن الحديث معك راحةٌ بالنسبة إلي، هناك أشخاص يستطيعون منحنا طاقة إيجابية تؤثر في الروح وأنت تملك هذه الطاقة ولأجل هذا الأمر أتحدث معك.. قالت له مجددًا إنها لا تودّ أن تسبب له

أي مشكلات وتحديداً أنها تعلم كل العلم أن زوجته نائمة بقربه، بحر أودّ أن أسمعك لا أن تسمعني بحاجة إلى سماع أي أمر عنك، ردّ قائلاً.. هل تعلمين مازلت أحلم بكِ دوماً حتى أنني أشتم عطرك عند أول كلمة أسمعها منكِ.. لم أنسَ دفء جسدكِ إلى هذه اللحظة، ولا عواصف أنفاسكِ ولا هدوء عطركِ الذي يثيرني دون أن يتحرك.

ردّت بانفعال، هذا يعني أنك مشتاق وحينما يشتاق المحب إلى من أحب يحدثه، لكنك لم تحدثني قط.. قال لها: لا أستطيع التحدث إليكِ.. أخاف أن أتعلّق بكِ من جديد.. أرسلي إلي المزيد من الصور، أحب أن أراكِ دوماً، أحب إغراءك.. جاذبيتكِ لون جسدكِ.. أنت أكثر أنثى مثيرة رأيتها في حياتي أعلم كل العلم أنكِ أنثى ذكية جدّاً، أكنت تعلمين ماذا سيحدث بيننا قبل أن نلتقي في المرة السابقة!؟

- نعم وقد قمت بتأهيل نفسي نفسياً قبل رؤيتك.. لكني أعلم أنك تحبها كثيراً وأنك لا تودّ خسارتها وتحبني أيضاً لكنك لم تطمح إلى وصالي، إني أعجبك كامرأة كانت حبيبتك ذات يوم.. فلو وددتُ أن ألعب بقلبك وأقلب حياتك سأستطيع..

فقال لها: أعلم لكني لا أودّ أن أخسر هذا الشعور معكِ، الذي لم تمنحني إياه امرأة حتى الآن.. أجابته بكل عقلانية، حياتك

معها أجمل ومهما كانِ شكل المصادفة التي جمعتك بها، فلم تشبه قصتنا ولن تشبهها ومن الصعب عليك أن تنساني..

قال لها: لا شيء في الدنيا يستطيع أن ينسيني إياك، من المستحيل أن يحدث هذا الأمر مستحيل أن أنساك، سأهاتفك غداً في الوقت نفسه وأودّ أن أسمح لنفسي أن أعترف لكِ بشيء ولا أكذب بقولي.. صدقيني أنت امرأةٌ لا تتكرر في تاريخي، أنت لا تعجبينني وحسب.. أنا أحبك والله أعلم بشعوري، الشعور الذي أشعره معكِ يختلف عن شعوري نحو سواك.. أحب أنوثتكِ إحساسكِ شعوركِ وكلامكِ وحبكِ لي، كل هذه التفاصيل ترغمني على حبك.. سأحدثكِ غداً يا جمليتي.

نامت لين وهي تتمتم باسم بحر بربيع شفتيها المزهرتين بماء العشق، كانت تحلم أن تلمس حواسه وتتنفّسه من جديد.. هو استطاع أن يشتمّ عطرها عن بُعد وهي أيضاً تستطيع أن تلمس إحساسها بحواسّه.. حتى لو كانت تفصلهما مئات الأميال، فهي تشعر به من خلال حواس الحب.. نامت وهي تشعر أنه مستلقٍ بجانبها يقبّلها، يدللها ويهمس بأذنها كلمات تصعق قلبها.. يُسكر عينيها وبالغزل يسقي أنوثتها.. غفت لين وهي الأسعد بين نساء الأرض.. مرّ اليوم وهي تنظر إلى ساعتها وتقول لنفسها: متى ستأتي الساعة الواحدة والنصف وجاءت الساعة الثانية والثالثة ليلاً والرابعة والخامسة دون أي رسالة منه، أصابها قلقٌ مرعب.. هي تعلم أنه أجبن من أن يحتفظ بوعوده لها، لكنها وضعت أملها به

لليوم الثاني ظنّاً منها أنه قد غفا سهواً، وحينما استيقظت لم تجد منه أي رسالة. وعندما حلّ المساء، استوعبت مدى حماقتها وأنه لم يتصل ولن يتصل حتى لو انتظرته أعواماً وليس أشهراً أو أياماً.. جمعت لين قواها ولملمت خيبتها التي باتت متكررة في حياتها وأرسلت إليه رسالة تعبّر بها عن مدى صدمتها به ومدى جبنه للقائها..

«يا ريتك تبقى.. تبقى ع طول وما تفل»

كان في موعد بيني وبينك بس هالمرة، ما حكيت.. رح خبرك ليه، لأنك خايف وما بدّك تعلّق قلبك من جديد فيني.. ولأنك بتعرف مدى تأثيري عليك، فضّلت تتهرب كرمال ترضي خوفك، الحب مش عيب، بس أنت كمان عداك العيب.. ما بدك تخسر الإنسانة اللي معك، أكيد صار إلها جزء كبير بحياتك.. أكبر من اللي أخدتو أنا، خليني بخيالك ذكرى.. أنا كمان ما بدّي أتعلق بوجع، بعلاقة ما في منها أمل.. لو كنت إلي، كنت رح تبقى إلي من البداية.. بلا ما تفل، بس الله كتبك إلها وفرّقنا لتلتقي فيها.

ما بدّي خرّب حياتك، كتير لابقين لبعض أنتو وبتمنى من ربي أنها تسعدك وتكون مصدر سعادة لقلبك، عادي أتحمّل خسارتك بس تجي هي الخسارة ومن بعدها أعرف أنك موجوع أو مش مبسوط فهالشي ما رح أقدر أتحملو أو أقبل فيه، تجاهل رسالتي واتركها بلا رد وامسح رقمي وكأنو ما التقينا.. ما حبينا، ما حلمنا وبكينا.. كون مبسوط وبس وربي يحفظك من كل شر، هالمرة بدعي الله أنو ما تلاقيني فيك الصدفة، مش كرهاً فيك.. بس عشان ما تجي عيني بعينك وأتذكر أنك مش إلي وخليها ع غيابك تدمع.

وبالفعل قرأ بحر رسالتها دون أن يردّ.

أي جُبنٍ هذا!؟ رجل في أول الثلاثينيات يستطيع أن يتلاعب بالمشاعر لمجرد لحظات جُبن ولحظات رغبة مرّت الأيام ووجدت له صورة جديدة على الواتساب له ولزوجته وهما مبتسمان، حينذاك فقط استطاعت أن تفهم جيداً أن علاقته بها بعد زواجه وبعد العلاقة التي قامت بينهما ما عادت علاقة عاطفية، بل إنها علاقةٌ سطحية، نزوة لا أكثر.. اتضحت الصورة أكثر وقررت لين ألا تضع نفسها في هذه الدائرة القذرة بحقّ نفسها، فقررت أن تمسحه بشكل كلّي من حياتها وتركت له الباب مفتوحاً لحياته وأغلقت أمام اسمه أبواب قلبها..

كانت لين تذكر دوماً الأغاني التي أهداها لها جود ومن أهمها أغنية الرحباني «بلا ولا شي بحبك» التي غنتها معه رشا رزق، وتذكر جيداً أغنية وائل كفوري، «يا ضلّي يا روحي» التي كان يغنيها لها بشكل متكرر إلى أن ضلّت طريقها معه واتجهت بمشاعرها تجاه بحر، إلا أن بحر كان غداراً تماماً.. كالبحر الذي اقتبس اسمه منه، فبدأت تشبّه علاقتهما بأغنية وائل جسار «موجوع» وتسأل حالها السؤال نفسه الذي سأله أدهم نابلسي بأغنيته «كيف بحبك هيك»، وتتساءل كيف لصديقها الذي التقته في بيروت علي المولى أن يكتب أغنية تترجم كلّ ما فيها وتجعلها تذكرُ ماضيها من خلال صوت آدم بأغنية «خلصت الحكاية».

فقد لعبت كلمات صديقها علي دوراً كبيراً في حياتها وتحديداً أنها أهدت إلى جود أُغنيةً من كلماته قبل أن تتعرف إليه

في بيروت وتعلم أنه من كتبها.. كانت تقول فيها كارول سماحة: قلت لك روح فل والكلمة منا مقتنعة إني قلتها، قلت لك روح فل يا ريتا لما توصلك.. يخلص صوتا.. وردّ عليها جود حينذاك على أغنية من كلماته، يا للمصادفة العظيمة حقاً.. مرسلاً إليها أغنية أدهم نابلسي: أنا كيف بدي أنساكِ وفل أنا عم دور بعيون الكل، ع نسخة منك طبق الأصل حتى فيها أنساكِ..

لكنها لم تنسَ بتاتاً أنه اهدى إليها قبل أن يتركها أغنية أيضاً من كلمات علي المولى وبصوت أدهم نابلسي.. يقول فيها:

«ع بالي عيد الي عشته معك، بس مش معك وحسّ اللي حسّيته الك، بس مش الك.. مشتاق للطريقة اللي حبيتك فيها، بس مانّي مشتاقلك.. مشتاق أعشق حدا قد ربع ما عشقتك أو شوف بعيوني حدا بس متل ما شفتك، مشتاق حبّ بغبا.. امشي وما احسبا ويكون هيدا الحدا أبداً مش متلك، جبان من بعدك صرت هلق خلص بطلت أمّن لحدا وأعطي فرص.. نحنا ما منشتاق للناس، نحنا منشتاق للاحساس.. اللي معن عشنا».

ولم تنسَ لين بتاتاً هذة الأغنية، على قدر ما أعجبتها كلماتها، جرحتها.. فقد أدركت لين أن الحب ليس إلا وهماً وحاجة نلبّيها لعواطفنا، كي لا تقع في حفرة جفافها وتغني بها في ليالي سكرتنا أغنية القيصر، ماتت لهفتنا المجنونة ما أقساه وما أقساني أتساءل وحدي أتألّم يا ترى من منّا الجاني، فالحكايا التي مرّت في حياة

لين تلخّصت من خلال أغنية ميادة بسيليس «كذبك حلو» وكما قالت فيروز «تعى ولا تجي» فوعَدها دون أن يأتي.

قررت لين أن ترافق صديقتها إلى سهرة في إحدى الاستراحات التي تقام بها الحفلات الخاصة.. وحينما دخلت رأت ما لم تره من قبل، فهي ما زالت تكتشف ما لم تره في أيامها السابقة حينما كانت مأسورةً بحبال والدها.. فتياتٌ شبه عاريات وإضاءة خافتة ومشروبات كحوليّة وأصوات عالية.. دخلت لين مقررة أن تخرج الطاقة السلبية التي تَسبب لها بها بحر من خلال هذا المكان المنحرف، ظنّت أنها ستكون سعيدة إن شربت كأساً من النبيذ أو الخمر.. فشربت وبدأت ترقص بجنون وتصرخ بصوت مرتفع، أكرههم جميعهم.. وبدأت تصرخ وتهلوس وترمي كلماتها في كل حدبٍ وصوب.. فلا أحد يسمع الآخر هناك، كلّهم سُكارى والتفتت إليها فتاة وقالت لها هل أنت مسرورة!؟ فأجابت أنها تشعر باسترخاء وسعادة.. فقالت لها هل تودّين أن تستمتعي بشكل أكبر!؟ فأجابتها كيف.. هل لديك مشروبٌ أقوى!؟ فقالت لديّ شيء أكثر شدة من المشروب.. هل تودّين تجربته!؟ فقالت لين: أجل أودّ أن أجرّب كل شيء. كانت لين فاقدة الوعي في ذاك المكان الخالي من الرقابة والبعيد عن أنظار الأشخاص المعترضين.. فوضعت لها القليل من مسحوق الكوكايين في طبق صغير وقالت لها أغلقي منخراً واحداً مع فمك واسحبي هذه الكمية في منخرك الأيمن مرة واحدة، فالخمرة ستسكرك

أما الكوكايين فسيجعلكِ مستيقظةً وسعيدة. وفعلاً حدث ما قالت عنه، شعرت لين بشعور غريب ليس بسبب ما حدث معها، بل لأنها فعلت أمراً جريئاً، شعرت بقوتها وبأنها حرة.. عادت لين إلى منزلها وحينما اقتربت من باب شقّتها رأت خيال والدها أمامها، فأيقظت نفسها من هلوساتها وسَكرتها ودخلت إلى والدتها.. فسألتها مريم كيف كانت حفلة ميلاد صديقتك!؟ فأخبرتها أنها جيدة لكن لم تكن بالمستوى الذي توقعته.. وقالت لها إنها ستدخل كي تستحم، جلست تحت الماء تهلوس وتتكلم على كل أمر أوجعها، وعلى كلّ شخص أحبته وعلى قهرها من والدها، فقد كانت لين تنظر إلى أبيها نظرة سلبية ترى بها كل أنواع اليأس والتشاؤم، كلّ أنواع الخوف والانكسار.. كانت نظرتها نحوه سلبية مما جعل شخصيتها.. مندفعة نحو أيّ أمر سلبي، بدافع التجربة والتحرر.. كي لا تشعر أنها نسخةٌ طبق الأصل عن أبيها، الذي يسير بجانب الحائط دوماً.. خوفاً على اسم عائلته من كلام من حوله، باتت تبحث بكل رجل عن صورة معاكسة لصورة أبيها.. إلا أنها انكسرت من خلال كل تجاربها التي مرت بها.. صارت تهلوس وتعبّر عن كرهها لجود.. لأنه لم يهتمّ بها وتحديداً بعد ذاك الموقف الذي واجهها مع صديقه عمار، تكرهه.. لأنه جعلها تجهض طفله دون أن ترى رسمه أو تعلم جنسه، فهو لم يمنح علاقتهما الثقة حتى تستطيع أن تبوح له حينذاك أنها حامل منه.. شتمت بحر واتهمته بالجُبن وكرهت نفسها لأنها سلّمت له قلبها

ولم تتسلم من قلبه إلا النفاق ومن ثمّ لفت جسدها بقماشة بيضاء ودخلت إلى غرفتها وأقفلت بابها، لتنام عارية الجسد.. علّ أفكارها السوداء تتعرّى وتتبخّر منها، استيقظت في الصباح الباكر وحضّرت قهوتها وطلبت من أمها أن تجلس معها كي تحتسي قهوتها وبدأت مريم بتحفيز روح لين كي تقرأ وتملأ حياتها بأمر مفيد لها..

فقالت لها:

المرأة المثقفة تستطيع أن تحرّك العالم دون أن تحرّك خصرها وتستطيع أن تبتلع مئة جمرة، إن كانت ستقابلهم بأمر يرضي خاطرها، المرأة القارئة تستطيع أن ترفعك بثقافتها نحو القمة والمرأة الحالمة بين الروايات والقصص تستطيع أن تنتبه جيداً لواقعها وتتجنّب بثقافتها أي خطر، حاولي أن تقرئي يا ابنتي في وقت فراغكِ.. ستشعرين حينذاك أن حياتكِ كقوس قزح جميلة ومنوّعة المضمون، ستعيشين داخل الكلمات وتبتسمين حيناً وتبكين حيناً آخر.. ستبدين جميلة، حينما تكونين امرأة قارئة..

ردّت عليها لين قائلة: صدقتِ يا أمي سأبدأ بالقراءة كي أصبح جميلة مثلكِ، قبّلتها لين ومن ثمّ قالت لها: إن كنت تودين شيئاً من السوق فأخبريني كي أطلب من السائق أن يأتي ليأخذكِ حتى تجلبي حاجاتك.. فقالت لها: أجل أحتاج إلى بعض الأمور سأجهز نفسي كي أذهب معكِ الآن ليوصلني سائق عملكِ إلى السوق.. فقالت لها حسناً سأجهز نفسي الآن كي لا أتأخر.

وبالمناسبة نسيت أن أخبرك أنه يجب عليّ أن أسافر الأسبوع

المقبل إلى لندن، لإقامة عرض خاص لأزياء بالريم، أرجو منكِ أن لا ترفضي طلبي، وإن شئت أن تسافري معي فسأقنع السيدة الريم وبالتأكيد لن تمانع...

- تسافرين!! لا أخفي عليكِ خوفي، لكني سأدعكِ تسافرين وحدكِ.. علّكِ تجرّبين الحياة من بعدي، فقد كبرت يا ابنتي ولا أودّ أن أعاملك كطفلة.. عليكِ أن تتحمّلي مسؤولية نفسكِ، أن تخطي خطواتكِ بكلّ ثقة دون أن تنزلقي نحو حُفَر الشر...

- لا تقلقي يا أمي سأكون هذه المرة عند حسن ظنكِ بي...

أثقلني الحنين وتمردت على عاطفتي

دخلت لين كي تستريح من الثقل الذي يعتريها، تلَوّنت الخيبات في خلجات قلبها وباتت تشعر أن الرجال جميعهم متشابهون.. تحب من لا يرغب فيها ويرغب فيها من لا رغبة لها به.. هي حيرة الحب تتموج في قلوبنا، تأخذنا الى حيث ما لا نشاء.. دخلت إلى حسابها في الفيسبوك لترى إن كان هناك أي خبرٍ جديد على حائط الصفحة الخاصة ببحر، شوقها يدفعها دوماً لتتنازل عن قراراتها وتحديداً إن كان الأمر متعلقاً بجود أو ببحر، حتى أن اسم كل منهما مكون من ثلاثة أحرف كعدد أحرف اسمها.. هي تؤمن بما يؤمن به قلبها وتتمنى ألّا تخسر أحداً منهما، بالرغم من أن كلّاً منهما قد أصبح على ذمة أخرى سواها. وجدت صوراً جديدة لبحر مع زوجته التي كان يرافقها ليحتفل بعيد مولدها، فجنّ جنونها.. كانت تظن أنه سيهزم وسيعود إليها في يومٍ ما.. إلّا أن ظنها به قد خذلها، وفي اليوم التالي وجدت منه رسالة كتب لها فيها «ليه ما فيني أنسى ريحتك وصوتك». تعجبت من المصادفة التي أوصلت رسالته بعد أن رأت صوره قبل يوم واحد من رسالته.. فقالت له: أرجو منك نسياني لقد رأيت بالأمس صورك معها، خنقني دخانُ ألمي منك في بداية الأمر.. لكني آمنت

بقضاء الله وقدره، فالرجاء منك الابتعاد عني وكفاك تجريحاً بي وبكرامتي.. تأتيني بين الحين والآخر كي تستغلّ حناني وتستفزّ حنيني، أرجوك لا تحدثني مرة أخرى مهما حصل..

فأجابها قائلاً: الأمر ليس بيدي ولا أظنني قادراً على نزعكِ من قلبي..

- بحر ماذا تريد مني، تزوجتها وأحببتها.. لو كنت تشاء قربي لما رحلت عني.

ردّ عليها قائلاً: كلامكِ صحيح، لكنني غير قادر على نسيانكِ صدقيني حتى لو أصبح لدي أولاد منها..

لم أقدر على نسيانكِ، إنه لأمر مستحيل فهناك شعور بداخلي تجاهكِ.. ذاتي لم تجد له تفسيراً، قالت: كانت علاقتنا جميلة جدّاً وفيها من الذكريات الجميلة ما يكفي كي لا أنساك ولا تنساني، فلا تشوهها بتجريحك وتمزيقك لي.. رد عليها بحر متألماً، لن أنسى.. فلا يوجد شيء يستطيع منعي من ذكراكِ.. أو الحديث معكِ، قاطعته لين أنا من ستمنعك من التقرب مني مجدداً.. أردف بحر قائلاً: لن تستطيعي، فأنتِ غارقةٌ في حبي كحجم الغرق الذي أصابني.

أجابته لين لقد قررتَ أن تكمل معها وأنا سأكمل دونك ومع سواك، لن يرجعني إلى حبك أي أمر بالكون مهما كان حجمه، فوجعي منك يفوق كل تعابير الخيبة والألم، أولادنا لم يكونوا منا كما حلمنا.. فلمَ أتيت بعدما تركتني دون رد دون أي تبرير منك.. أنت مزاجيٌّ وأناني، ما بداخلك ليس حبّاً لي.. أرجوك افهم هذا

الأمر.. «أنت أناني بي» فعقلك الشرقي لا يقوى على تصديق حقيقة أنني سأكون من نصيب غيرك، تريد تملكي فقط...

- أنا لست بمزاجي يا لين لمَ تعذبينني؟

«كيف ما بحبك كيف.. ليش ما قادر إنسى ليش».

قالت له لين: انظر إلى صورتك معها، عليك أن تستيقظ يا بحر مما أنت به.. كنت معك، لو كان تعلقك بي أكبر لكنت اخترتني وما اخترتها وما دمت معها فلا بد أن يكون حبك لها أكبر، كفى أرجوك يا بحر فقد سئمت تكرار الكلام.. قلت لي ذات يوم، لن أدعكِ تنسينني وكلما أوشكتِ على نسياني سآتي لأذكركِ بي.. أناني، أنانيٌّ أنت يا بحر، تريد الماضي والحاضر بين يديكِ.. وتريد امرأتين في قلبك..

أجل أجل، يا لين أنا أناني جدّاً بكِ.. لكنني سأرحل الآن وإذا متُّ فلن أدعكِ تعرفين عن خبر موتي، انتبهي لنفسكِ.

شعرت لين بتوقف قلبها حينما ذكر الموت على لسانه، فقالت له: أبعد الله عن قلبك كلّ سوء.. لماذا تتفوه بهذا الكلام الآن، ماذا بك يا بحر!؟

يكفي أنا بخير وكل شيء على ما يرام وسعيد جدّاً وبالي مرتاح...

لم تشعر لين بالراحة قط، شعرت أن هناك أمراً خطيراً يخفيه عنها بحر.

بدأ قلبها ينتفض ومشاعرها تتوتر والشك والحيرة أتعباها.. وتحديداً أن بحراً لا يود أن يصرح لها بما يتعبه وما الذي يجري في حياته، فهي تعرفه جيداً وتشعر به، حتى أنها تشعر بدقات قلبه وكأنها تسكن قلبه.. فطلبت منه أن يخبرها كي لا تفقد صوابها، فأخبرها أنه مريض ومتعب كثيراً وطلب منها ألا تشغل بالها وقال لها إنني لم أخبر أحداً سواكِ.. فقد قال لي الطبيب إن لديه شكوكاً في وجود مرض خبيث في جسدي «السرطان» لكن أرجوكِ ألا تقلقي، احتجت للحديث معكِ عندما شعرت بحجم حاجتي إليكِ.. اشتقت إليكِ صدقيني لين عمري لا تقلقي أرجوكِ.

كان لا يكفي لين الكتابة بالحروف لتعبر عن ألمها، فسارعت في الحديث معه صوتياً وصوت نحيبها بات واضحاً لبحر، لم تستوعب ما سمعته فقد شعرت أن الله يعاقبها بأكثر شخص أحبته، فلا رجل استطاع أن يقتحم قلب لين بعد عمق حبها الشديد لجود سوى بحر.. رد عليها وطلب منها أن تهدأ وأخبرها أن ما قاله ليس إلا ظنوناً من الطبيب، لذا طلب منه أن يقوم ببعض التحليلات كي يطمئن وأنه سيقوم بإجراء هذه الفحوصات المخبرية خلال اليومين القادمين، فقالت له لين: لن أتركك أنا معك.. لا تقلق ستكون بخير، أنا مؤمنة بهذا الشعور الذي يسكنني.. أنت بخير لا تقلق حبيبي لا تقلق ولا تخفْ كلها تهيؤات كما قلت.

أنا لست خائفاً يا لين مهما حصل فسأتقبل الأمر فإن إيماني

بالله كبير.. قالت له أنا بقربك فلا تقلق مهما حدث فستجدني بجانبك.. أجابها بحر أنا سعيد جدّاً لأنكِ بجانبي حتى لو كان المرض واقعياً فسيكفيني وجودكِ بقربي في آخر أيام حياتي، لم تكفّ لين عن البكاء كما لو أن المرض بجسدها.. فهي تحب بحر بشكل جنوني، هو حلمها كما أنها حلمه.. هو أمنيتها وأمان قلبها، قدرهما أن يحب كلاهما الآخر دون أن يكونا معاً.. أكّد لها بحر أن لا أحد يعلم بما يحدث معه، فطلبت منه أن لا يخبر أحداً لأنها لا ترغب من أحد أن يشفق عليه أو يؤثر فيه بشكل سلبي وأكدت له أنها ستبقى بقربه مهما حصل.

فقال لها ليس لدي شك في ما قلت، لكن من الغريب جدّاً ألا تشعري أني لست بخير، لأول مرة لا تشعرين بي حتى لو لم أكن بجانبكِ.

فقالت يجب أن أكون قاسية عليك حتى لو كان شعور عدم الطمأنينة يعتريني، أريد أن تكون بخير هذا أهم أمر بالنسبة إلي في الوقت الحالي ولو كان بيدي أن أمنحك من صحتي وعافيتي ونبض قلبي لمنحتك بكل حب يا بحر.

لقد تركتك لترى السعادة كما وددت بعيداً عني، لكن من المحال أن أتركك وأنت بأمسّ الحاجة إلى وجودي بقربك.

«بضعفك بتقوى فيني» أرجوك أن تنتبه لنفسك وتُطمئن قلبي عليك حينما تستطيع فأجابها قائلاً:

- نعم!؟.. أنا أحبكِ والله أعلم بصدق حبي لكِ، فقالت له أعلم أنك تحبني لكن حبك جراح يجرح قلبي دون أن يمنحه الدواء، حبك مرض مستعصٍ يسريِ في الجسد دون أن يقتل الروح من الحياة بل إنه يشلّ الروح من الداخل وينحر نبض الحب ويشنق شعور العاطفة والإحساس مع أحد غيرك.
- لا تقولي إني لا أحبك وأنا عن حبكِ لن أتوب ولن أيأس من لقيانا ثانية تحت سقف الحلال، حبكِ دين وصلاة وتراتيل عشق تنبض مع النبضات.. حبك عبادةٌ في عالم العشق لن أكفّ عنه ولن أكتفي به.. صحيح أني معها جسداً لكن قلبي معكِ. قالت له لين ومشاعر الحزن والحب تجتمع أمامها إنه لأمر خاطئ، لا يجوز بحق قلبينا ولا يجوز أن تظلمها، فهي زوجتك ولا يجوز أن تخونها بحبك لي، حبك لي ماضٍ وانتهى.. أجابها بحر: أعلم هذا الأمر لكن قلبي بلا شعور معها..
- فلتكمل لأجلها بعقلك وقلبك، فلا يجوز بالعلاقة الزوجية تقسيم الحواس.
- لا أستطيع يا لين، الأمر خرج من يدي.
- يا بحر زوجتك لطيفة وجميلة وعليك أن تكتفي بها..
- أعلم هذا الأمر، لكنكِ مميزة لا تشبهين أي امرأة على وجه الكون.

لين: تركتك لتكون سعيداً.. فأنا لا أودّ من الدنيا سوى سعادتك، لا أود أن تكون معها وقلبك معي.

- أنتِ عمري وأنفاسي وسعادتي..
- هي سعادتك.
- أنتِ سعادتي يا لين أرجوكِ لا تجرحيني بكرم أخلاقكِ، أعلم أني قد خنت حبكِ حينما أحببت سواكِ، لكني ظننت حينذاك أنكِ قد نسيتِني، أحبك لين..
- أرجو ألا تقولها مجدداً يكفي.
- «أحبك»...

(خبرتك حبك بيجرح).

- بحبك..

قالت لين: لن أتركك وأنت بحالة سيئة، لكن هذا لا يعني أني سأسمح لك بالتفكير فيّ مجدداً. ختمت لين حديثها مع بحر دون رغبة منها في ذلك، إلّا أن الدمع قد تملك صوتها.. لذا قررت أن تغلق الهاتف لتستفردَ بحزنها بعيداً عن مسمعه.. فهي لا تحب أن يرى ضعفها، بدأت تبكي وتسأل ربها لمَ يا ألله تود أن تحرمني من أكثر شخص أحببته، فأنا لا أتصور الحياة بدون وجود بحر، حتى لو لم يكن لي..

وبدأت تصلي لأجله وتدعو الرب أن تكون تلك الظنون التي تكلم عنها الطبيب ليست سوى وهم.

هي لعنة الحب تتملكنا دون سابق إنذار.. تسلط علينا ضوءها

وكأنها تستلذ إيذاءنا، لين عانت الحب كثيراً.. حاولت أن تبحث عن الحب الحقيقي خارج محيط منزلها الذي ما كان يسكنه سوى اليأس والعتم، إلا أنّ نصيبها بالحب معدوم، وكلما حاولت أن تقترب إلى نافذة النور وجدت أمامها أخشاباً مغلقة بالمسامير على نوافذها، ملعونٌ حظها رغم أنها حاولت بطرائق شتى أن تجد لها طوق نجاة دون فائدة.. مر اليومان على لين وكأن تقرير التحاليل المخبرية هي تحاليلها وليست لبحر. اتصل بها بحر وأخبرها أنه ولله الحمد بصحة جيدة والتحاليل سليمة، فرحت لين كثيراً واطمأنّ قلبها وكأن هناك حملاً ثقيل الوزن قد زال عن جسدها، فتمنّت له كل خير وطلبت منه أن يكمل حياته بسلام دونها.. إلا أنها وخلال يومين فقط دخلت على اسمه وكتبت بحر ووضعت له بعض الكلمات التي كان يقولها كلاهما للآخر من قبل، فهي لا تستطيع نسيانه رغم أنها حاولت كثيراً، لكن محاولاتها كانت تبوء بالفشل الذريع دوماً، فقال لها: أحياناً يكون القلم جارحاً أكثر من الخنجر لا تكوني قاسية عليّ، فأنا رجلٌ مصاب بمرض القدر.. هل كان بوسعكِ أن تغيري شيئاً من قدرك المحتوم، هناك أشياء في حياتنا لا نملك القدرة على السيطرة عليها والإمساك بها.. فعلاً أحببتك وربما لم أزل على حبي ولكني لم أملك شجاعة التمرد على عقلي أشتاق إليك كل يوم.. كل ليلة مع كل نفس وفي كل حلم جميل، أفتقد مشهد القبلة والغمرة ولكن اطمئني عزيزتي..

ما زلت أحضن وهمي كل ليلة على أنكِ جانبي وأشتمّ عطركِ كل سهرة، فاتنتي أنتِ وستبقين صدقيني.

ما كانت لين تود الرد عليه خافت أن تضعف أضعاف ضعفها وبعد خمس دقائق قالت له: «آآآآخ، بس كيف لي أن أنساك»، فقال لها: لن تستطيعي نسياني ولن أقدر على نسيانكِ.. قدرنا أن نبقى حبيبين طوال العمر حتى لو لم نكن من نصيب بعضنا بعضاً..

لين: أتعلم أني بتّ أخشى العودة إلى لبنان، لا أود أن أعود..

بتّ أخشى على نفسي من رؤيتك، «ستعودين إلي» حياتك بدوني بلا معنى وحياتي بدونكِ كما انقطاع الهواء، أنتِ حلمٌ لا ينتهي بالنسبة إلي.. أتمنى أن تعودي إلى لبنان وتعيشي فيه وتبقي بقربي دوماً...

لين: لو جاء موعد موتي فسأخبرهم أني أحببت بلادي كثيراً، لكن حبي لك قد جعلني أكره العودة إليها، من الصعب أن تلمح عيناي عينيك دون أن تفضح رغبتي فيك أمام كل البشر.. علينا أن ننسى، فخلف قصتنا قصص كثيرة قد خالفها القدر.. علينا أن نتقبل حقيقة انفصالنا يا بحر..

فأجابها بقوله: لكن كيف تنسي حضني..

ريحتي

بوستي

نفسي..

كيف!؟

ردت عليه قائلة: بحق الله ارحمني يكفي أرجوك بحر.

- بحق الله أنتِ اشعري بي لا أستطيع نسيانكِ، لا قدرة لي على عيش الواقع من دونكِ.. أرجوكِ افهميني، لم أشعر بطعم السعادة مع زوجتي كما شعرت به معكِ.. لم أشعر بحنانٍ كالذي التمسته من حنانكِ ولم أرَ مثل أنوثتكِ.. أنتِ لا تقارنين بأحد.
- لكنك أحببتها.
- أحببتكِ أكثر بكثير من حبي لأي شخص في هذا الكون، لم أنسَ حتى الآن رعشاتي التي شعرت بها معكِ ورعشاتكِ بين يدي ولا أودّ أن أنسى..
- ولن تنسى من المحال أن تنسى..
- أعلم.. علّ الموت يتملكني إن نسيت، أنتِ لستِ عادية في حياتي.
- «خلينا نكمل كل حدا بطريق بركي منلتقي بصدفة جديدة شي يوم بيتسملك وبتذكر كلمة بحبك منك وبكمل طريقي وبفل».
- «حبيتك وحبي إلك حتشوفيه بكل رجل وما رح تنسيني».

نعم انتهى موعد حبهما دون أن ينتهي الحب من قلبيهما، إنها أحكام القدر.. فمهما صرخ كلاهما لا أحد سيشعر بوجعهما كما يشعران به، فمن الصعب أن يتمنى المرء شخصاً دون أن

يرضي غرور قلبه بوجوده، إنه الحب حلوٌ ومر، مرارٌ وانهيار.. شمسٌ ونهار، طرقه تؤدي دوماً إلى جهة اليسار لا بوصلة صائبة به، قد يتعاطف العالم مع قصة أي شخص فقدَ من أحب، لكن من المحال أن يشعر بما يشعر به.. فأوجاع كل علاقة تختلف عن الأخرى، إلا أن التفاصيل التي كانت تمرّ في أزقة المشاعر والذاكرة من المحال أن يشعر بها أو يتألم بسببها سوى من لدغ بها؛ فالمشاعر المتراكمة فوق أوتار الحنين تؤلم كثيراً.. من المحال وصفها تترجم بآلاف الصرخات دون أن تصل بشكل تام إلى المتلقي ولن ينصت أحد إلى أوجاع أحد كما تنصت الروح إلى آسرها.

في جميع مراحل الحب التي مررت بها في عمري.. لم يمرّ في دربي رجل يستطيع أن يضحي بأي أمر لأجلي.. لم يمرّ في دربي رجل لا يستطيع تحمّل غيابي أو مناخ مزاجي السيئ.. لا يقبل بحزني، جميعهم أنانيون يلومونني على حقدي.. لم أرَ رجلاً حتى الآن يمرض من أجل مرضي ويلومونني على عاطفتي ويتهمونني أنني مبالغة في منحهم عاطفتي كما تضجّ بداخلي، كصوت مئذنة تمنح السلام لا الحرب.. أنا سيئة جدّاً بالحب، يفشل قلبي دوماً في ساحة العشق.. فقد أحببت العديد من الرجال دون أن أجد بينهم من يحبني بالقدر نفسه «لا عين تنقص وجهي ولا جروح مشوهة على شفتي ولا عظام بارزة في ملامح وجهي

ولا تجاعيد تكسو مرسمي»، جميلة أنا بما يكفي لأُغري ألف رجل بذكاء عقلي قبل شكلي.. تعددت علاقاتي بالحب ليس بسبب قلبي، بل بسبب سوء اختياري فجميعهم يخيبون ظن قلبي، يحاولون التقليلَ من ثقتي ويكسرون مرآتي، لكنهم أقل من أن أخيب وزن أنوثتي لأجلهم، ومن المحال أن أضحي بسعادتي بدافع عدم إتعاسهم، فأنا أحب نفسي إلى درجة أن لا رجل في العالم يستطيع كسري، أتألم أبكي يؤلمني قلبي بعد كل علاقة حب زائلة، لأنني عاطفية إلى أبعد حد.. أمنح نفسي حق الحزن.. لكنني فيما بعد أقوى وأستردّ طاقتي بكل رضا عن نفسي.

كانت لين تستمع دوماً لأغنية حلم، لهبة طوجي وتستمتع بالصراع الداخلي الذي يصيبها حيال سماعها لها.. تتفاعل مع ألحانها وكلماتها التي تقلب بداخلها أربعة فصول في آن واحد وتسأل نفسها كيف للمرء أن يحب شخصين بقدر كمية الحب من خلال قلب واحد، كانت تظن أن لديها انفصاماً شخصيّاً وأحياناً كانت تشك إن كانت حقّاً أحبتهما كما تشعر أم أنها مجرد تهيئة أتت من عالم عاطفتها المهتز أمام أي إشارة حب، إنها أنثى غريبة الأطوار.. هي نفسها لا تعلم ماذا تريد وكيف تفكر وأحياناً تسأل حالها من أنا!؟.. كانت لين تخشى على نفسها الفشل من أن تصبح كما أراد لها أبوها أن تكون، أن تتعود أصابعها الناعمة مساحيق التنظيف.. كانت تخشى أن لا تعيش الحب، أن تتزوج زواجاً تقليديّاً كانت تخشى أن تكون امرأة عادية، مملة أمام ذاتها قبل أن

تكون بعين قارئٍ لتفاصيل حياتها هكذا.. لذا سعت لتقدم كل ما ترغب فيه ولا ترغب فيه برغبة المعرفة.. برغبة الثقة أن لا شيء يستطيع أن يقف أمام أحلامها ورغباتها في الحياة.

مرّت الأيام بسرعة البرق وحان موعد سفر لين، ودّعتها والدتها والدمع يحتضن خدّيها وقلبها، لأول مرة ستغيب عنها لين مدة أسبوع كامل وستسافر إلى بلد غريب عنها... سافرت لين وبداخلها اقتناع أنها ستتغير وستصبح إنسانة أفضل مما كانت عليه.. سافرت لين وقامت بأفضل عرض على الإطلاق، فقد كانت العارضة الرئيسة كالمعتاد... وقبل يومين من موعد سفرها قرّرت أن تذهب إلى بعض المحال كي تقتني الملابس لها وبعض الهدايا لوالدتها، ويا للمصادفة التي أفقدتها صوابها... حبيبها جود بعد مرور سنوات عديدة أمام عينيها.

جود، بملامحه البسيطة نفسها، وعينيه الجميلتين... لكن كانت بصحبته امرأة غريبة تحمل طفلاً بين يديها، وحاولت لين أن تخفي وجودها عنه، كي لا تخدش حياء كبريائها.. لأنها أدركت أن من كانت بصحبته هي زوجته وهي تعلم منذ أن فارقها رغبة أمه في زواجه من قريبته اليتيمة.. قالت بينها وبين ذاتها: لقد مضى على فراقنا أعوامٌ، وبضعة أشهر.. وساعات وثوانٍ قليلة، وما زلتُ أعشقك كما لو أني أراك لأول دقيقة... فوالله بَعدك لم ينقصني شيء سواك، لكن يبدو أنك قد اكتفيت بسواي فهنيئاً لك حياتك، وهنيئاً لي تعاستي.. ثم عادت لتراه جالساً في مقهى المجمع

التجاري بصحبة تلك الفتاة، كادت أعصابها تنفجر، وراحت تتلوّع وتتحرّق... إلّا أنها تمالكت نفسها ونادت النادل.. من فضلك هل لك أن تأخذ إلى تلك الطاولة كيكة التيراميسو؟

قال لها النادل: إلى من!! قالت.. إلى ذاك الرجل الذي يجلس بجانب تلك المرأة التي ترتدي ثوباً أحمر... ولتأخذ معها كوباً من القهوة الفرنسية من دون مكعبات السكّر... وطلبت منه ورقة، وكتبت عليها «لن أنسى أنك تحب القهوة الفرنسيّة بالبندق من دون سكّر»... ورشّت القليل من عطرها على طرف الورقة، وطلبت منه إرسالها إليه دون أن يخبره من المرسل.. وقفت خلف الجدار لترى ماذا ستكون ردّة فعله أمام زوجته... قدّم النادل الطلب، فقال له جود: أنا لم أطلب هذا الطلب.. قال له: أعلم يا سيدي، لكن أحدهم طلب مني أن أرسله إليك مع هذه الورقة... اشتمّ عطرها قبل أن يقرأها ابتسمت عيناه وقرأ ما بها... وقال له: أين هيَ؟ أعتذر يا سيدي لقد رحلت... ونهض محاولاً الوصول إليها، لكنها كانت تبتعد كلما رآته يقترب، إلى أن غادرت المجمّع.. طلبت سيارة أجرة، فرآها... ناداها، لكنها كانت تبكي ولا ترغب أن يراها في لحظات ضعفها.. استقلّت السيارة وذهبت دون أن تلتفت إليه ولو بنظرة، بعد قطيعة طويلة... رآها هي نفسها، جميلته لين.. حبيبة قلبه، آسرة مشاعره.. قال: لمَ تركتني ومضيتِ بعيداً عني، فأنا مشتاق إليكِ... مشتاق أن أغرق بكِ، كطفل باكٍ على صدر أمه... عودي، فبداخلي شوقٌ إليك جعلني كجثة هامدة من بعدكِ... ذاك العطر، ليس فيه رائحة العطر الذي

وضعته، بل رائحةجميع ذكرياتنا التي مضت ولم تمضِ من داخلي... فكرت لين بجود وهي جالسة في مقعد سيارة الأجرة متوجهة إلى الفندق الذي تنزل به كيف حرق قلبها وتركها، وباتت تقول لنفسها كما لو أنه أمامها: لما جعلتني أعصي الله بك! ومن بعد ذلك تزوجت بغيري... وأنجبت من غيري!؟ كيف لك أن تعانقها، أن تقبّلها، أن تعتصرها كالعطر بداخلك... من كنت أنا بالنسبة إليك؟ ومن هي الآن بالنسبة إليك؟ حُرمت من طفلي الذي أجهضته من روحي كي لا أؤذي مستقبلك الذي كان أهمّ من حبنا بالنسبة إليك... لكن ماذا بالنسبة إليها؟ هل أحبها أكثر مني، أو أن مركزها الاجتماعي أفضل من مركزي!! اعتقدت أنك لن تستطيع أن تعشق بعدي، وأن قلبك سيصبح محطماً بعد فراقي، بارداً بلا جنوني وأن فراشك سيصبح بارداً من دونها وسيشعر بمرار الحلو عند غيابي... وسيشيب شعرك على رحيلي، وسيفتّش عني في مسامات قلبك الذي سيصبح مهشّماً بعدي... لكن ظنوني ما كانت في محلّها، فها أنت سعيد من دوني..

بقيت ليلتها تفكر فيه والدمع يُغرق عينيها.. ما عادت تودّ النوم، بقيت جالسة تعيد شريط حياتها معه.. في اليوم الثاني فوجئت بوجوده في الفندق نفسه الذي تنزل فيه.. وبينما كانت تتمشّى في حديقة الفندق الخلفية رآها فناداها بكلّ حرقة، لكنها لم تلتفت ورفضت الردّ عليه.. فأمسكها عنوة وأخبرها أنه يحبها.. فقط يحبها ولم ينطق بحرف واحد.. قالت له: اذهب إلى زوجتك واتركني وشأني.. فقال لها إنه قد انفصل عن زوجته وإن المرأة

التي كانت تجلس معه هي امرأة صديقه، ثم قال لها: فلتغفري لي، ما كان عقلي يجيد التفكير.. سرقتني أنانيّتي، وأبعدتني عنك..

- أغفر لك!؟ عن ماذا وماذا يا جووود!! هل تعلم كم تسبّبت لي بجراح؟ أتعلم أني قد فقدت حقّي بأن أكون أمّاً؟ أرجوك اصمت... أتعلم أني قد تعرّضت للموت، ورغم كلّ هذا لم أذكر سواك في ذلك الحين.. اصمت، تلك الأنثى العفويّة ما عادت تشبهني...

- أرجوك تفهّمي وضعي، وبعدها لك كامل الحق أن تلوميني.

- أتفهّم ماذا، أو ماذا!؟ لا تضحكني أرجوك..

- أنا لم أحرمكِ أن تكوني أمّاً.. ولو كنت متزوجة الآن، لكنت تمنيت لكِ السعادة وابتعدت عنكِ كي لا أخفي إشراقة حياتكِ.. هل ارتبطتِ بشخص بعدي!!...

صمتت لين، فهي لا تعرف الجواب الذي عليها أن تخبره إياه.. قالت بينها وبين ذاتها: من الطبيعي جدّاً أن أشعر بفراغٍ عاطفي، أن أحاول الارتباط بأيّ شخصٍ كان، حتى لو لم يكن مطلباً للقلب كي ألبّي رغبة أنوثتي... كي لا يجتاحني الملل، وتجفّ ينابيع مشاعري.. كم من أُنثى غيري تعيش حالتي نفسها!! هل هو مرض نفسيّ، أم عجزٌ عاطفي!! بالتأكيد هناك فرق كبير جدّاً.. لا يعلم به إلّا من تعمّق بداخله حجم الفراغ.... «نحن لا نحب من نرغب بهم وقت فراغنا، بل نلَبّي رغبات أنفسنا بوجودهم.. نضحك على أنفسنا، ونسرق أرواحهم بلا أي شعورٍ

بالمسؤولية تجاه كيانهم العاطفي.. نحارب أنفسنا كي لا نظلمهم، لكن أنانيّتنا بتلبية رغباتنا ومصالحنا، وتغذية مشاعرنا، تجبرنا أن نخون أنفسنا بهم»...

ثم قالت له: نعم أحببت، لكن هذا الأمر لا يعنيك بتاتاً... ألم تتزوج ابنة خالتك؟

- بلى تزوجتها، لكن الأمر كان خارجاً عن إرادتي، وأنتِ تعلمين..

لم تستوعب لين يوماً أن جسد جود الذي احتضنها سيقدر على احتضان جسد سواها... كرهت كلّ ما فيها، حتى أنها كرهت حبها له في تلك اللحظة، فقالت له بكل ألم وانكسار وقوة واندفاع: هل أنجبت لك طفلاً بدلاً من الذي أسقطته روحاً بعد رحيلك عني. أتوق الآن إلى عناقك، لكنك ممنوع عني، ومحجوب وجودك في قلبي.. كل ما حولي يمنعني عنك، كرامتي، عنادي، أحاسيسي... ممنوع علينا أن نعود، وصلُنا بات محرماً وكأنك طلّقتني طلقاتي الثلاث..

- لين، لقد تزوجتها إنه أمر صحيح.. لكني لم أكن أطيق حياتي بقربها، ولم أنجب منها... فامرأتي عاقر لا تستطيع الإنجاب، ولست حزيناً بسبب هذا الأمر، لأني كنت أدعو الله دوماً أن لا يرزقني أطفالاً إلا منك.. سامحيني أرجوك، سأقوم بإصلاح كل ما ارتكبته من أخطاء بحقّ حبّنا...

- على ماذا أسامحك!! على زواجك بامرأة سواي! ما ذنب

طفلي أن يسقط قبل أن يولد.. عُد إليها، فهي الأحقّ بك الآن..

صرخ جود بعد أن استوعب الكلام قائلاً:، طفلي!!! لين هل كنت حاملاً مني...!!

- أجل، لقد أسقطت طفلنا حينما أخبرتني برغبتك في الانفصال عني... كنت أخشى أن تتهمني بالكذب وتأليف القصص كي تعودَ إليّ... وتركتك لشأنك، وتصرفت بمُصابي وحدي... كنت أعلم كل العلم أنك لن تفعل أي شيء. فقد تكلّمت كلاماً جارحاً بحقي، جعلتني لا شيء حينما أخبرتني بالأسباب التي ستواجهك حيال ارتباطك بي... هل تعلم.. لو لم يمت طفلنا، لكان عمره الآن سنتين وأربعة أشهر وثمانية أيام!!

- لكنكِ لم تخبريني..

- بم أخبرك، بجريمتنا!! هل كنت ستتزوجني!! ما كنت ستفعل، تكلّم..

- كيف لكِ أن تسقطي طفلنا!! إنه طفلي أيضاً يا حمقاء.. كيف لكِ أن ترتكبي ذنباً كهذا!! ألم تذكري ما قلته لك حينما رحلت... أخبرتكِ ألا تحزني، فأنثى مثلك تستحقّ من هو أفضل مني... رجلاً كاملاً يقدّر أنوثتها وطيبة قلبها، ويبادلها الاهتمام... أما أنا، فرجل من ثلج لا أنفع لامرأة من النار والريح... قلبكِ نقيّ، وقلبي خبيث... منطقكِ

راقٍ، وفلسفتكِ تغريني.. لكني لا أعرف ماذا أريد... أريدك، ولا أريد أن تتحمّلي رجلاً مثلي... حياتي عبارة عن موسيقى وأوتار ومعجبين... فأنا لكِ نصف رجل، وأنت لي كل نساء الأرض... لذا، لم أشأ أن أظلمكِ، وأكسر حقّكِ بالحب لأجل قلبي السخيف أخبرتكِ أني مجبرٌ على بعادي عنكِ، لكن هذا الأمر لا يحلّل لكِ قتل طفلنا الأول..

- اصمت يا جود، أكنتَ ستعود لأجل طفلنا!!

- لو أخبرتني منذ البداية يا غبيّة كنت سأعود بالتأكيد وأتحدى كل شيء لأجلنا....

- أنت كاذب، حبنا كان أكبر من أي أمر سيحصل في الحياة، ولم تستطع أن تعود لأجل هذا الحب.. فلا بدّ لي ألا أثق بعودتك حينذاك... لقد قلت منذ أعوام، إنه من الواجب علينا أن نفترق، فوضعك جدّاً حساس، وخبرٌ كهذا إن ظهر إلى العلن، فلن يفلت من أخبار الصحافة الصفراء.. سيفبركون إشاعات كثيرة موثقة وغير موثقة، كي يثيروا ضجة إعلامية ووضعك لا يسمح لك أن تظهر أمام الجمهور كعاشق..

- افهميني يا لين.. أنا لا أخاف منكِ، بل أخاف عليكِ منهم... ولتثقي أن من المحال أن تملأ عيني امرأة غيركِ، فأنا ضرير من بعدكِ، فإن كان القدر هذة المرة حليفي فلن تكوني سوى من نصيبي.

أصبح جود فناناً مشهوراً جدّاً وله اسم كبير في الوسط الفني، في الوقت الذي غاب فيه عن لين.. لاقى شهرة كبيرة عند فوزه بأحد البرامج الغنائية... لديه صوت حنون، ويجيد العزف على أوتار الغيتار بشكل موهوب.. يعلم جيداً رغبة الفتيات فيه، ويستطيع أن يفرّق بين الإناث الطبيعيات غير المتكلّفات في أشكالهنّ وحديثهنّ ونبضات قلوبهنّ، وبين الفتيات اللواتي يصطنعن الدلع ويقمن بفذلكات التمرّد والغرور على أنهنّ مرغوباتٌ من كل الوجود.. هو يكره هذا النوع الساذج من الفتيات، فهو رجل شرقي لا يُخدع بسهولة، ويستطيع أن يكشف أقنعتهنّ ببراعة فتاكة، دون أن يأبه لمشاعرهنّ ولا لمركزه الفنيّ... فإن كان كيد النساء عظيماً، فمكر الرجال خبيث جدّاً...

لين لم تغب عن روحه بتاتاً،كان يفكر بها دوماً.. لكن ارتباطه بابنة خالته التي طلبت منه والدته الزواج بها لأجل بعض المصالح العملية بحجة أنها يتيمة طبعاً، قد منعه من وصالها.. فعاش كلٌّ منهما حزيناً على رحيل قلبه منه، إلا أن قدر الله كبير وقد جمعهما مجدّداً.

قال لها: قد كان قلبي يحلم بوجودك قبل وجودي بآلاف الأعوام.. يا ذات الطّهر، يا نقية القلب.. أنا لا أملكُ قلباً كقلبك، لذا تعالي وعلّميني الحب، فأنت أنثى الحب، وضوعة عطرٍ مشبعة للروح والقلب أحلم بكِ وبعقلكِ وقلبكِ، وبجميع تفاصيلكِ التي ما خلقها الله بسواكِ... يا وردةً متراقصة على شرياني، اقتحمي

بأنوثتكِ مملكة هوايَ من جديد.. يا قمراً مكتملاً ينير ديني ودنياي، أكملي لي نصف ديني معك... حدثيني عنكِ، عن أحلامكِ الوردية التي تشبه مشاعركِ الغزلية... عيشي معي في قصرٍ.. في بيت، في كوخ صغير... المهم أن يكون كياني منكِ قريباً.. دعينا نتبادل القُبل الدافئة من جديد... أعلم جيداً أن شفتيكِ ما زالتا ناعمتين... حدثيني عنكِ، وعن أحلامكِ بي.. هل تحبينني أيتها الغالية؟؟

حاول جود بطرائق شتّى أن يفتح له باباً للغفران في قلب لين، إلا أن وجعها كان أليماً... قالت لنفسها حينما كانت تحاور ذاتها المتألمة: في كل صباح كنت أخبر قلبي أنك تستحقّ فرصة ثانية، لكني لم أستطع أن أغفر لك،. أحاول دوماً أن أغفر لك فلا أستطيع... رأفة بهذا القلب رباه أخبرني ما عليّ فعله.. ما دمت أنت العفوّ الرحيم.

إني أحبك، بقدر الأوجاع التي تسكن قلبي، فلمَ عليّ أن أحقد إلى هذه الدرجة على قطعة قلب قد أسعدتني ومنحتني كل أمان الكون... أعلم أن الحب أمرٌ رائعٌ للغاية، لكن حماقة العاشقين تفسد روعته بكلّ ما فيها عند أول نزوة حمقاء تحت الغطاء... لكنني أحببته، أحببته بقلبي ولم أستطع أن أدرك أنه أحبني كما أحببته، أو أحب انحرافي لأجله!!.. غابت عنه أياماً وبعد عودتها، أخبرت أمها التي عاهدتها ألا تخفي عنها أي أمر يحصل معها... أخبرتها بما حدث وأنها قد رأته مجدداً..

فسألتها مريم: هل ما زلت تحبينه؟ فقالت: لا أعلم، لكنه يعيش في داخلي منذ أن عرفته.. لا أنام دون أن أذكر اسمه، في الصباح أذكره وأتعوّذ بالله ألف مرة من ذكراه...

- حسناً، إن كان يحبك بصدق ومتمسكاً بكِ كما يقول، فدعيه يأتِ كي أقابله...
- لكن يا أمي..
- بدون لكن، دعيه يأتِ إن كنتِ تحبينه، فعليكِ أن تغفري له لأنه ما زال يعيش على قيد حبك.
- وهل يعقل أنه ما زال يحبني!!

دعيه يأتِ وسأختبره.

- حسناً..

هاتفته وكان قلبها يدقّ بشكل هستيري..

لم يصدّق أن اسمها مكتوب في شاشة هاتفه...

ردّ عليها وقال: ستعودين إلي يا من لم تغيبي عني، يا قطعة مني!!

- لا أعلم، لكن إن شئت أن أفكر في العودة إليك، فعليك أن تقابل والدتي، وإن قبلتك فسأعود حتماً...

فرح كثيراً، وأخبرها أنه سيزورهما في المساء.. لبست أجمل ما عندها ورشّت عطراً على جسدها، وسرّحت شعرها ولبست تلك القلادة التي أهداها لها يوم ميلادها كي تخبره من خلالها أنها لم تنسَه قط...

جاء المساء، ودق باب منزلها... كانت مريم تثق بأن هذا الشاب سيكون من نصيب ابنتها، وأنه سيكون دواءها من كل العلل التي أصابتها، دخل ورحبت مريم به...

كانت لين في غرفتها ولم تخرج حسب طلب والدتها... جلست معه وعاتبته على كل الأوجاع التي تسبّب بها لابنتها... وسألته ماذا تريد منها الآن؟ قال: أريد أن أتزوجها على سنة الله ورسوله... فقالت له: ماذا عن وضعك الاجتماعي وعائلتك وثقافتك...؟

قال لها: لين عائلتي وثقافتي وكل حياتي.

- لكنك ستواجه الرفض من قِبل أهلك ومجتمعك، كيف ستواجههم؟

- خالتي، لقد تزوجت حسب رغبة عائلتي وضاع حبي مني... كنت أخشى على شهرتي أن تتأثر بسبب زواجي بفتاة غير معروفة في الوسط الفني، لكني كنت مخطئاً ولم أدرك خطئي إلا حينما غبت عن لين... تألمتُ كثيراً بسبب إخفاء لين خبر حملها عني...

صدّقيني، لو كنت أعلم حينذاك لما تركتها ترحل عني... لكن النصيب شاء، وها قد جمعتنا المصادفة مجدّداً ولن أسمح لها أن تغيب كي لا تغيب معها الروح..

- حسناً، هل أنجبت زوجتك السابقة أولاداً لك؟

- لا، كان زواجاً تقليديّاً مرتبطاً بمصالح عائلية... كنت أظن

في بداية الأمر أن والدتي تودّ أن أتزوجها لأنها يتيمة، لكن ظهر لي عكس ذلك... كانوا يودّون أن أتزوج بها كي يستطيعوا إتمام صفقة لها علاقة بإرثها من أبيها، وحينما اكتشفت الأمر، قررت أن أفسخ عقد زواجي بها... ولم أكن أرغب أن أنجب منها، لأن مشاعري تجاهها كانت معدومة وقد كانت بالأصل عاقراً، ولا أودّ لأطفالي أن يأتوا إلى الحياة دون أن يكون والداهم مرتبطين ارتباطاً قلبيّاً وروحيّاً مقدساً... وصراحة، سأقول لكِ إني ما كنت أرى صورة أطفالي، إلا من جميلتي التي أحبها لين...

- إذاً يجب أن تأتي عائلتك كي تطلب يد لين، ويجب أن يكونوا راضين كلّ الرضا عن ارتباطك بها...
- لا تقلقي سأفعل ذلك بالتأكيد، لكن أرجوكِ اسمحي لي أن أرى لين ولو قليلاً...

عندما سمعت لين ما قاله لها، نسيت كل ما مرّ في حياتها... نسيت رافي، وعبد، وشادي وحتى بحر.. وكأنها لم تعرف رجلاً مرّ في عمرها سوى جود... وشعرت بالطمأنينة حينما حدثته والدتها وعاتبته وجعلته يعترف بقدرها... خرجت لين، ووقعت عينا جود على القلادة التي تحيط عنقها، فقال لها: أما زلتِ تحبينني يا لين؟.. خجلت وكأنها تشعر بالحب لأول مرة، لم تردّ عليه... دخلت والدتها إلى المطبخ كي تجلب العصير...

فقال لها: عطرك ما زال يغريني، أما أنت، فقد أصبحت مغريتي العظمى..

ابتسمت بخجل، وقالت له: عليك تنفيذ ما طلبته أمي منك، كي تنال قربي...

فقال: غداً مساءً سنزوركما... دخلت غرفتها وهي ترقص فرحاً وتقول: غداً عيدي، غداً أجمل أيامي...

سمعتها مريم دون أن تعلم، فقالت لجود: إن كتب الله لكما أن تكونا معاً، عليك أن تحافظ عليها جيداً، فهي تحبك كثيراً... قال لها: أعلم، إنها ابنة قلبي.. ذهب جود إلى والديه كي يخبرهما برغبته في الزواج بلين، فرفضا بشدة، وقالا له: تريد الزواج بفتاة ليس لها أصل ولا نسب، وتعمل عارضة أزياء أيضاً... لكنه هدّدهما، أنه سيهاجر من البلاد إن لم تكن له... حاولا أن يمنعاه، لكن جدار الحب في قلبه كان أقوى، فخضعا لقراره... وجاءا لطلب يد لين وأعجبا بها وأحباها كثيراً، وأدركا أن ليس من مصلحتهما خسارة ابنهما الوحيد وخصوصاً أنهما أرغماه في السابق على زواج لا رغبة له فيه... وحدّدوا موعد الزفاف سريعاً، فهو يعرفها جيداً ولا يودّ أن يمرّ بمرحلة الخطبة معها لأنها ليست حبيبته فقط، بل هي زوجته منذ أن اشتمّ عطرها في السابق... بدآ يحضران لليلة الزفاف ووعدها أن يغنّي لها بصوته أمام الجميع.. فدعوا أصدقاءهم وأقرباء جود، لأن لين وحيدة دون عائلة... لكن أمها كانت عائلتها وسندها وقوتها... كان زفافهما بعيداً عن الوسط

الفنيّ، كي يعيشا معاً حياة طبيعية منذ أول لحظة ارتباط رسميّ بينهما... زفّها إلى منزلهما الذي قضيا فيه أجمل ذكرياتهما، هناك بجانب منزل الجار مازن... لكنها عاهدته أن تصرخ وترقص وتغنّي بصوت مرتفع هذه المرة كي يسمعها الجميع وإن غضب جارهما فلا بأس... أصبحت حلاله بعد يأس وحزن وانكسار وقلة أمل دخلت منزلها الممتلئ بالأزهار والشموع، فوجدت على الطاولة لوحاً من الشوكولا المفضلة لديها عانقته كالأطفال، وبدآ معاً حياتهما على عهد الحب والاستقرار.

سألها جود.. هل غفرت لي يا لين!؟

فقالت: غفرت لك ولم أغفر لنفسي، غفرت لك لأني أعلم أن خطاياك أقلُّ إثماً من خطاياي، وبأني سأقلّل من ذنبي بعد زواجي بك... أجل أحبك، لكن هناك أموراً عدّة قد تحطّمت في داخلي، وحقّي في الأمومة الذي انكسر، كان أكبر عقاب لي من الله...

- أرجوكِ ضعي الماضي جانباً ولا تكترثي لما فات.. فالآن لا بدّ لأحلامنا أن تكبر معنا ونكبر بها، ومن أجلها.. ولن نسمح للماضي أن يعكّر علينا صفو حياتنا مجدداً..

- «بدّي تضل قريب، لما أنساك وأقسى.. وبدّي تضل حنون لما فل وأنسى...».

فأخبرها أن حياته دونها لا يحقَّ لها أن تسمّى حياة واليوم عادت له ولها الحياة الأصلية.. ارتاح قلبها وقررت أن تبدأ معه حياة جديدة علّها تنسى بها كلّ ما فات، وتنسى كل ما حصل مع

بحر تحديداً.. بحر الذي انفصل عن زوجته بعد مشاكل عديدة حصلت بينهما، وقد حاول أن يعود إلى لين، إلّا أنها لم تقبل العودة إليه حينذاك بعد أن مات شغفها نحوه.. ما عادت تشعر به كما كانت تشعر فيما سبق، كانت تود أن تجدد الحب بينهما لكن مشاعرها كانت ضدها، ما عادت ترغب به إلّا أن ذكرها لم تموت من داخلها بتاتاً وستبقى محفورة بذاكرتها مدى الحياة.

«هناك حروبٌ أعظم من حروب العالم.. هناك غزوٌ أقوى من غزو الجيوش على مقدّسات الوطن.. هناك حرب لها طعم آخر يخوضها الرجل داخل موطن أنثاه في لحظة تساوي لديهما كلّ العمر».

ليلة زفافهما هي ليلة ترابط قلبيهما

نظر إليها قائلاً: حاولي أن تفهمي حجم شغفي بكِ.. فلعينيكِ المنفى وبك أستقيم وأمام خدود ربيعكِ أشهدُ بحبي للكِ يوم الدين.. رجل أنا معك، فكوني لي كلّ نساء الأرض.. أنت شهيّتي وكفري وانحلالي.. إيماني وطهري واعتدالي، بكِ كلّ ما أشتهي وأمام حبكِ لن أنحني.. اعتصري بي كعطر فريد لم يشمّه بشر قبلي.. أحبيني كما لا يحب البشر وقبّليني قبلة تجعل كلّ شفاه الإنس تضلّ الطريق، عانقيني بقسوة ودمريني كما لو كنت عدوّاً جباناً رست سفينته بأرضكِ.. لعينيكِ المنفى وبكِ أستقيم ودونكِ.. لا سقف لي ولا قاع، عندما أنظر إليكِ كأنني أسمع الناس يقولون ذاك الرجل قد ضاع.. أحببتكِ حبّاً ما رأى الحب مثله رجلاً لو قلتِ له اقتل نفسك أطاع.. لأنني سيد بالحب يا حلوتي وأمام رقّتكِ كلّي يراع، لنترك خفاء حبنا يا حلوتي ولنجعل حبنا على ألسنة الناس يُذاع.. تثيرني أنوثتكِ، وتُسكرني نظرتكِ.. هل يوجد أجمل من أن أتقلّب في أحضانكِ، وبك أغرق يا حلالي!! وأحب أن أرتشف خمري منهما سأخلد بكِ وأعيش بكِ، ولن أموت إلا بك..

لين: لا تنجيني منك، فأنا بربع عقل الآن، والانحراف في هذه اللحظة سيّد الموقف..

أيا فاتنة الحُسن يا كلّ النساءِ، أيّ أنوثةٍ أسألُك بالله تملُكين... رغبتي أنتِ، زهرتي أنتِ، همستي أنتِ.. قُبلتي التي تتدحرجُ من شفتي أنتِ.. أترين كيف تجتاحُني مشاعرُ الهوى حينما تكونين بقربي، كأنني أجمعُ شوق الكون، رغبة الكون، حاجة الكون كلّها بي كي أمطرها بكِ.

لين: لا أودّ استنشاق غيرك، وأعلم بأنني لن أموت... فكلّ شهقة حب منك تخلّدني ألف عام...

جود: تخيّلي يا شهيّتي أيّ حبٌّ أحبك!! أنت حصريةُ الجمال، لؤلؤة الغزل، جفنُ القمر، رمق السماء... كلّكِ يا مُلهمتي عالمٌ آخر... أنتِ عالمي الحقيقي، وسنيني وأنيني.

مجنون أنت!! أجل، بكِ مجنون لا بل مفتون... لا بل غارقٌ في عينيك حدّ الجنون، فصمتك صلاةٌ أقدّسها، وصوتك أنغام أعشقها.. فبدأ يدندن لها أغنية وائل كفوري: «بليلة ندهني الحب آآآه مشواري ابتدى، وبغفلة عمر بلش عمر تاني وصار جاي الشوق صوبي عالهدا، وهب الهوا وبعيد وداني وهالقلب فيكِ يا روحي اهتدى، وشفت الدني أعياد وغناني».

كانت ليلتهما من أروع ليالي العمر، وحينما صعدت أنوار الصباح طلبت لين من جود الاستيقظ، فردّ قائلاً لها: لا أستطيع أن أنهض.. تعالي ولو قليلاً ومن ثمّ افعلي ما تودّين فعله...مشتاقٌ إليك، كشوق رجل لم تحتضنه والدته منذ ولادته، ولم يمسّ امرأة قبل امرأته.

جود، هيا حبيبي يجب علينا أن نذهب لزيارة أمي، أودّ أن أطمئنّ إليها...

- مستبدة ومغرورة، أكرهكِ اتبخلين عليّ، بكِ!؟..

- أنا كلي لك وطوال الحياة. ولن أرحل عنك وسأبقى بقربك فلا داعي للشك والكلام غير المستحب، أحبك جداً.. لكن كل ما في الأمر أنني أود أن اطمئن على أمي فلا بد أنها تفكر بي الآن، فلا أحد لها الآن سواي.

وسواي يا حبيبتي، فأنا أصبحت منكِ كما أصبحتِ مني.. يا أنا يا أنا.

عودة مريم

بعد محاولات لين الفاشلة فيما سبق لإقناع أمها بتواصل مع عائلتها قررت أن تعود وتطلب منها مجدداً أن تقبل التواصل معهم، فبعد أن مر على زواجها من جود شهر كامل.. بدأت تشعر بحجم حاجة مريم إليهم، وتعرف جيداً ما هو حجم الفراغ الذي يسكنها خصوصاً بعد أن توفي والدها وتزوجت فراحت تحاول بطرائق شتّى أن تتواصل مع خالها علي، الذي تسبّب بتدمير حياة والدتها.. لم يبخل عليها جود بتاتاً، وقرر أن يسافر معها إلى العراق دون أن يخبرا مريم بأي تفاصيل.. لم تكن مريم تفرض سلطتها كأم على لين، وحين أخبراها أنهما سيسافران مدة أيام إلى دبي، كي تشاهد لين عرض أزياء خاصّاً بالمصمم اللبناني إيلي صعب، لم تمانع قط... وأخبرتهما أنها ستستغل غيابهما، وتبدأ بكتابة رواية خاصة بها.. مريم قد انطلقت من جديد وما سمحت للحياة أن تكسرها أو تشتّتها، فشخصيّتها تزداد ألقاً كلّما تقدّمت في العمر.. وجمالها الطبيعي يشرق، كما لو أنها ابنة العشرين.. في عينيها أملٌ مستمر، ورغم حجم الآهات داخلها، إلا أنها متفائلة وطموحٌ إلى أبعد حد..

سافرت لين وجود يوم الأحد إلى العراق، بعد أن تواصلت

مع خالتها كي تستقبلهما في المطار.. تمّت كلّ الأمور على ما يرام، إلا أن علياً لا يعلم شيئاً عن لين!! من لين!! وعندما دخلا عليه تساءل من هذه الفتاة والشاب وما الذي يريدانه؟ وعندما رأته لين ابتسمت وقالت له: أنا مريم يا أخي، وهذا زوجي أحمد وأحمل في أحشائي طفلة صغيرة سأسمّيها لين... تعجّب، صمت، تخدّر، وما عاد يستطيع أن يتكلّم.. بات عاجزاً مندهشاً، كما لو أنه قد فهم ما تودّ أن تقوله هذه الفتاة.. أجهش بالبكاء كطفلٍ قد توفيت أمه توّاً.

أين مريم!! أين هي، أدخلوها إلى هنا...

مريم لم تأت معنا إلى العراق يا خالي.. سقط أمامها باكياً.. أين هي، ما الذي حدث لها أخبريني.. أتوسّل إليكِ.. حزنٌ عظيم يتملّكني منذ أن رحلت، إلا أنني بقيت أقاوم أمامِ الجميع كي لا أنكسر.. أرى أمكِ كلّ ليلة في منامي تناديني بكلّ حب، رغم أني منحتها الألم والحزن..

- أبي توفي وأخي أيضاً، وأنا هنا أمامك مع زوجي جود.. ما كنت لآتي إليك بعد ما فعلته من شرٍّ بحقّ أمي...آهٍ لو تعلم ما مرّت به تلك الجميلة التي دمّرت أحلامها بسببك، وحُرمت من عائلتها بسببك أيضاً، لمَ!! أأنت بشر، أم أنّ شيطانك كان يسيطر عليك ذاك الحين!!
- أرجوكِ لا تقسي عليّ يا ابنتي..
- ابنتك!! كلّ شخص مسيء إلى أمي، هو عدوي الأول...

رغم أنها تحبك وتذكرك بالخير دوماً.. قرأتُ في مذكراتها الشخصية حروف أوجاعها الحقيقية.. أمي أعظم امرأة في تاريخي، تبادل الشرّ بالخير، وتتعامل مع الجميع بأخلاقها وإيمانها.. آآآه لو تعلم ما مرّت به أمي، لقطّعت نفسك إرباً إرباً الآن أمامي..

سقط خالُها أمام قدميها راجياً منها أن تسامحه، وتعيد مريم مجدداً إلى عائلتها بعد أن ضاع عمرها دون أن تفعل به ما تتمناه.. علي عانى المرّ في حياته، فقد قلّ رزقه، وشلّ أحد أطفاله، ولم تفارق أحلام ليله صورة مريم.. كان يحاول دوماً أن يبحث عنها دون أن يرفع علم استسلامه أمام أي شخصٍ.

- دعيها تعدْ وسنمنحها ما تشاء، دعيها تسامحني..
- على ماذا وماذا يا أخا أمي!! عليك الذهاب إليها، وطلب السماح منها لا مني..
- أين هي، سأذهب حالاً..
- إنها في المملكة العربية السعودية..
- سأحجز على أول طائرة وأسافر إليها..
- لا ليس الآن، فقد بدأت أمي بكتابة رواية أدبية خاصة بها، ولا أودّ أن تعكّر مزاجها.. فقد بدأت بتحقيق ما كانت تحلم به من قبل، لا أودّ أن تصيبها حالة من الهلع.. وإن فكرت أن تسافر، فعليك أن تسافر معنا بعد أيام قليلة من الآن.

- حسناً، لكن اتصلي بها ودعيني أسمع صوتها.. أريد أن أشعر بنبضها مجدّداً.. كم خشيت ألّا أراها ثانية..
- حسناً، لكن عند المساء.. لا تعتقد أن كلّ ما تطلبه سيتحقّق لك فوراً. طلبت لين من العاملة في المنزل، أن تحمل حقيبة ملابسها وتضعها في غرفة والدتها.. وجلست مع خالتها التي طالما حلمت أن تجلس بأحضانها، وتشعر أن لها عائلة ككلّ البشر، رغم أن أمها ما أشعرتها يوماً أنها دون عائلة كغيرها...

فقد كانت لها العائلة والشقيقة والصديقة والسند، ومصدر القوة والحنان..

فلا امرأة أجمل من مريم ومن روح مريم.. ومن سكّر كلمات مريم.. ولا امرأة تحمل صبر مريم وإيمان مريم.. ولا امرأة تملك طيبَ مريم وعطاء مريم.. صعدت لين إلى غرفة والدتها، فوجدت غرفة فنية جميلة المنظر.. فقد كانت إحدى وصايا والد مريم لشقيقاتها، أن تكلّف إحدى العاملات ترتيب وتعطير غرفة مريم بشكلٍ يومي.. واقتناء الكتب الجديدة، وإضافتها إلى مكتبتها التي تحمل الكثير من الثروات الأدبية، وخصوصاً كتب كاتبها المفضل محمود درويش.. وقالت في نفسها، أحقّاً كانت حياتك جميلة هكذا!! كم حلمت في سنّك أن أملك غرفة كهذه، ومنزلاً واسعاً ذا حديقة مشرقة كما أراها هنا، كلّ هذا لأجل أبي!! كم كان قلبك محظوظاً بأمي يا أبي.. تركت كلّ شيءٍ جميل وفرّت معك إلى

الجحيم، لا بدّ أنها كانت ترى كل شيء جميلاً بك... بدأت مريم بكتابة روايتها التي لم تختر لها اسماً في البداية، لكنها قررت أن تبدأ مقدّمتها بالحديث عنها.. حملت قلمها وكتبت: «بقايا أحلام تقف على حافّة الانتظار، لأنثى قد افترشَ الخريف بقاياها، وأحرقتها كثرةُ الآمال.. لكنها كتبت بكل أمل وبكل حب، كتبت صرخاتها قبل ضحكاتها، وكتبت عن حبها قبل آلامها..». استغلّت مريم غياب لين وجود كي تُفرغ ما بداخلها بصوت مرتفع لأول مرة دون خوف، رغم أنها لم تكن تدري بما سيحصل لها بعد أيام «على المرء ألّا يستسلم حتى لو مرّ على عمره الكثير من الأعوام، فلا بدّ لفرج الله أن يحلّ حينما يشاء»... قرر جود أن يذهب مع لين في جولة اكتشاف، كي يرى جمال العراق.. وطلبت منه أن تذهب أولاً لزيارة قبر جدّها وجدّتها، ومن ثم الذهاب إلى بداية الأحداث التي مرّت بها والدتها في شارع المتنبي، حينما التقت أحمد.. الكثير من الكتب والمكتبات.. جمالٌ ثقافيّ لا مثيل له، يقتل رائحة البارود، ويُزيل أصوات الصواريخ والحروب.. تلك البلاد الجميلة بأهلها وسمائها، تسرق روح زائرها دون استئذان، تحتلّ العين بسحرها.. ويا لطيب أخلاق أهلها.. نساؤها عنوان الحقّ والشرف ورجالها عنوان الرجولة والأخلاق.. جابا شوارعها، واحتسيا القهوة في مقاهيها، وشعرا أنهما في شهر عسل، شهر حبّ وأمان.. في تلك الأثناء اتصلت الريم بلين وطلبت منها العودة إلى السعودية، بسبب اشتراكها في معرض مفاجئ، وتودّ من لين أن تقوم بجميع

الإجراءات اللازمة خلال أيام، وتكون عارضة الأزياء الأساسية.. لأن المعرض سيكون على مستوىً عالٍ جدّاً وستتم تغطيته إعلامياً.. وستزوره العديد من الأميرات السعوديات.. وافقت لين على الفور، فلريم حبٌّ كبير بقلب لين.. فهي لم تعاملها يوماً كموظفة لديها بل كانت تشعر أنها أختها الكبرى التي كانت تتمنى أن يمنحها الله إياها.

عادت لين واتصلت بوالدتها وأخبرتها أنها ستعود مع ذكر الأسباب.. وطلبت منها أن ترتدي أجمل ما لديها، لأن إحدى صديقاتها ستعود معها من دبي، كي تقيم لديها بعض الوقت.. وأن وصولها سيكون عند الساعة التاسعة مساءً.. لم تشكّ مريم في شيءٍ، وقامت تحضّر الطعام وبعض الحلويات.ودخلت كي تستحمّ وارتدت ثوباً جميلاً لتستقبل به لين وجود وضيفتهما من السفر.. لم تضع المساحيق على وجهها.. ما عدا القليل من المسكرة وأحمر الخدود فقط، فشفتاها ورديتان ولا تحتاجان إلى ملوّنات.. اقترب الموعد، وبدأت لين تشعر بالخوف مما سيصيب والدتها عند رؤيتها شقيقها الذي فارقت بلادها بسببه منذ سنين طويلة.. عندما لم يكن هناك شيب في شعرها الجميل.. الساعة الآن العاشرة وخمس وعشرون دقيقة، لقد تمّت إجراءات المطار... استقلّ جود سيارته واتجه إلى المنزل.. نزلوا من السيارة نحو البيت... دقّ علي باب المنزل، أجابت مريم.. من الطارق!! فقال بحرقة: ماضيكِ يا أختاه..

فاح عبق الماضي واشتمّته مريم، عرفت أنه أخوها علي من نبرة صوته التي تشبه نبرة صوت والدها.. اشتمّت أنفاس العراق من أنفاسه، ومرّ شريط ذكرياتها أمامها في غضون خمس ثوانٍ فقط، بينما كان علي واقفاً وراء الباب ينتظر من مريم السماح له بالدخول..

علي: افتحي يا مريم، يا قطعة السكّر... يا دوائي من مرضي المزمن الذي طال علاجه... عاقبيني كيفما شئتِ، لكن دعيني أولاً أرمِ ثقل دنيايَ في حجرك... اغفري لي عذابك الذي تسبّبت لكِ به، أعطيني فرصة كي نسير ثانية في الطريق الذي شطرته نصفين بيني وبينكِ..

غرغرت الدمعة في عينيْ مريم وقالت: كيف لك أن تطلب مني الغفران، هل لك أن تعيد إلي أحلامي!! هل لك أن تعيد إلي ضحكتي التي اغتالها شبحك!! هل لك أن تعيد إلي حضن أبي الذي حرمتني منه!! مخطئ أنت يا من تربطني بك صلة الدم.. مخطئٌ إن ظننتَ أن كلّ هذا سأمسحه من ذاكرتي، وكأن شيئاً لم يكن..

اغرورقت عينا علي بالدموع، وصار يعضّ على أصابعه من شدة الألم الداخلي.. في تلك الأثناء كانت لين قد وصلت، ففتحت الباب عنوةً على أمها..

علي: صغيرتي مريم، ما أجملك!! أنت ما زلتِ كما أنت، لم يُفقدكِ العمر جمالكِ الأخّاذ..

حاول التقرّب منها كي يغمرها بحب، لكنها أشاحت بوجهها عنه..

لين: اغفري له يا أمي من أجل بدر..

مريم: بدر.. آآه لو أن الاموات يعودون؟

فأشارت لين إلى بطنها، إنه بدر يا أمي هو في أحشائي وينتظر موعد حضوره للحياة.

مريم: ماذا!! أنت حامل يا لين، يا لسعادتي يا ابنتي.. بدر سيعود من جديد، سيرقص قلبي ثانية وستغنّي حروفي طرباً واحتفالاً بقدومه. اعترت الجميع مشاعر الغبطة والفرح وصاحبت الدموع تلك المشاعر.. ضمّت مريم أخاها إلى صدرها بقوة، أحست خلالها أن عظام علي تفتّت من شدة العناق.. جلسوا معاً، يتحدثون حتى طلعت الشمس.. أخبرها علي أن والدها ترك لها مالاً قام بإيداعه البنك إلى حين العثور عليها.. فرحت مريم، فأخيراً ستحقّق أحلامها.

غادرت مريم برفقة علي إلى مسقط رأسها العراق، وشاهدت عائلتها وكانت سعادتها لا توصف تسلمت شيكّاً بمستحقّاتها الشرعية، وطبعت كتابها الأول الذي كان بمثابة حلم بالنسبة إليها، إلا أن دار النشر حاولت ابتزازها وإنكار حقّها، فقرّرت أن تفتح دار نشر خاصة بها، لمساعدة الكتّاب الجدد على إبراز حقّهم، للحيلولة دون وقوعهم في فخّ دور النشر التي تقوم باستغلال المبتدئين في عالم الكتابة، وقامت بفتح مكتبة بيروت الموجودة في

شارع المتنبي، التي ما زالت فيها أنفاس أحمد وذكرياتها الجميلة معه... وقررت تقسيم وقتها بين العراق والسعودية ووطن زوجها (لبنان)..

عادت مريم إلى السعودية، واهتمت بابنتها خلال فترة حملها إلى أن منّ الله عليهم بقدوم طفلها بدر. كانت سعادة لين ببدر لا توصف وفرحتها بقدومه ليس كمثلها فرحة، تركت لين مجال العروض من أجل التفرّغ للاهتمام بطفلها... وفيما بعد افتتحت داراً للأزياء تعرض فيها تصاميم أهمّ المشاهير.. أما مريم فأصبحت أشهر من نار على علم في مجال الرواية.. لقد أيقنت لين أن الله وحده صانعُ الأقدار والمدبّر لكلّ كبيرة وصغيرة وما على الإنسان إلا أن يطلب منه ويكون صادقاً مع نفسه ومع الآخرين، فقد مشيناها خُطىً كُتبت علينا ومَن كُتبت عليه خُطىً مشاها وكما قال المتنبي: «ما كلُّ ما يتمنّى المرءُ يُدركهُ.. تجري الرياحُ بما لا تشتَهي السّفُنُ» إلا أن مشيئة الله كانت قادرة على تغيير المسار وعلى النحو الجيد.. لم تنكر لين أنها أخطأت وتعلمت.. وأنها انحرفت وانجرفت، وقد كان عقلها يسير حسب رغبتها وبكامل قناعة منها لمعرفة كل ما هو جديد من حولها، إلا أنها اكتفت بما وصلت إليه.. و ما زالت تسأل حالها عن سبب حبها لبحر، رغم جنونها بجود... لكنها أدركت أن القلب لا يستطيع أن يحب اثنين في الآن نفسه بل إنه يستطيع أن يحب عشرة.. إنها علاقات موقتة

تحدث في حياة الإنسان حينما يتبلد وينكسر فيصبح متأهباً بكل برود وشغف لأي حالة حب جديدة، كي لا يشعر أنه منبوذ.. يعيش الحب ويشعر بمتعته كي يخبئ انكساراته بكل كبرياء وشموخ، وبالفعل تكون تلك المشاعر صادقة ولا خيانة فيها لأحد إلّا لصاحب القلب نفسه الذي تعرض لوعكة ألم صادمة ادخلته في ممرات خاطئة لا رغبة له بالمرور فيها، ولم يكن هناك أي حل سوى بتكملتها ليرى ما الذي سيجده فيها عند نهايتها، وكل هذا سيكون مخبّئاً لا علم لأحد به سوى الله والوقت كفيل بكشف الأمور فيما بعد..

عاشت لين حياة سعيدة لكنها لا تعلم ما ستخبئه لها الأيام فيما بعد.. هل ستلتقى بحراً مجدداً، وهل ستبقى مع جود.. وهل ستكون محل ثقة والدتها بها أو أنها ستخيب كل تلك الظنون؟

من الطبيعي جدًّا أن أشعر بفراغ عاطفي ، أن أحاول الارتباط بأيِّ شخص كان ، حتى لو لم يكن مطلباً للقلب كي ألبّي رغبة أنوثتي ... كي لا يجتاحني الملل ، وتجفّ ينابيع مشاعري .. كم من أنثى غيري تعيش حالتي نفسها !! هل هو مرض نفسيٌّ ، أم عجز عاطفي !! بالتأكيد هناك فرق كبير جدّاً .. لا يعلم به إلّا من تعمّق بداخله حجم الفراغ ...

"نحن لا نحب من نرغب بهم وقت فراغنا ، بل نلبّي رغبات أنفسنا بوجودهم .. نضحك على أنفسنا ، ونسرق أرواحهم بلا أي شعورٍ بالمسؤولية تجاه كيانهم العاطفي .. نحارب أنفسنا كي لا نظلمهم ، لكن أنانيّتنا بتلبية رغباتنا ومصالحنا ، وتغذية مشاعرنا ، تجبرنا أن نخون أنفسنا بهم"...

نصف عقل وأطراف أنثى

فاتن حمّود

faten.88

fatenhammoud88

السعر: 1200 دج



